كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريـــــخ

تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

Slave Trade During The Burji Mameluke's Sultanate

(٧٨٤-٩٢٣A.H/١٣٨٢-١٥١٧A.D)

إعداد الطالب

محمود صالح محمود العواد

الرقم الجامعي: ١٦٧٠٣٠٣٠٠٨

إشراف الدكتور أنور عودة الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

تخصص التاريخ

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

(١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم}[1].

١.سورة الحجرات: اية رقم (١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تفويض

أنا .....، أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات او المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: / / ٢٠١٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: محمود صالح محمود العواد الرقم الجامعي:١٦٧٠٣٠٣٠٠٨

التخصص: التاريخ الكلية: الآداب والعلوم الانسانية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعولة المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

مراعيا الأمانة العملية المتعارف عليها في البحث العلمي. كما أنني أعلن بأنَّ رسالتي هذه غير مستلة أو منقولة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وبناء على ما ذكر فإنني أتحمل أشد المسؤولية إذ اتضح غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي درجة الماجستير التي حصلت عليها وإلغاء شهادة التخرج بعد صدورها، دون أن يكون لي أي محاولة للتظلم أو الطعن أو الاعتراض بأي شكل من الأشكال في القرار المتخذ عن مجلس العمداء.

توقيع الطالب: .....التاريخ: ١٨ / ٧ / ٢٠١٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى سندي وقدوتي في هذه الحياة، إلى من رسم الابتسامة على وجهي، إلى أبي لا أراني الله فيه مكروه.....

إلى ينبوع الحنان والتفاؤل، إلى أملي وسر وجودي في هذه الحياة، إلى من كان دعائها سر نجاحي، إلى أمي الغالية.....

إلى رفقاء دربي ورياحين حياتي إلى من زرعوا دربي بالورد والرياحين إلى ملاذي في هذه الحياة، أخواتي وأخواني .....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أوجه شكري وخالص تقديري للدكتور أنور عودة الخالدي، الذي تفضل مشكوراً بقبول الأشراف على هذه الاطروحة، فقد كان كما عهدناه لا يبخل في تقديم يد العون والمساعدة، وكان له الدور الكبير في تذليل الصعاب التي واجهتني في إعداد هذه البحث.

كما أتوجه بوافر الشكر إلى الأساتذة الكرام محكمي الأطروحة لقبولهم التحكيم وتحملهم عناء السفر، والذي نلتمس منهم جوداً على جود لسد ثغرات هذا البحث الذي يعتبر الخطوة الأولى في مسارنا الأكاديمي.

والشكر الموصول إلى عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجميع أساتذة قسم التاريخ الذين لم يبخلوا عليّ في تقويم اعوجاجي.

وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان من الأستاذ الفاضل سامر بني عيسى الذي كان نعم الأخ والصديق، والخال خالد بني حمد ابو مروان لوقوفه لجانبي طول فترة إعداد الأطروحة.

كما أنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذا العمل العلمي على ما هو عليه.

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المحتويات

تفويض..... ج
إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها..... د
الاهداء..... ه
شكر وتقدير..... و
قائمة المحتويات..... ز
الملخص..... ط
المقدمة..... ١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:..... ٢
صعوبات الدراسة:..... ٢
منهجية الدراسة:..... ٣
موضوع الدراسة:..... ٣
التعريف ببعض مصادر الدراسة:..... ٤
الدراسات السابقة:..... ٨
الدراسة التمهيدية تطور الرق في العصر المملوكي..... ٩
الفصل الأول موارد جلب المماليك في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة..... ٣٦
أولا : سيطرة المماليك على الحكم في مصر:..... ٣٧
ثانياً: موارد جلب المماليك:..... ٤١
ثالثاً: القواعد المتبعة في تربية وتعليم غلمان المماليك()..... ٤٨
رابعاً: فرق المماليك..... ٥٣
خامساً: وظائف المماليك:..... ٥٧
الفصل الثاني تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك..... ٦٥
أولاً: تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة..... ٦٦
١. اهتمام المماليك بالتجارة العالمية..... ٦٦
٢. تجار الرقيق النخاس، أو تاجر الخاص، أو تاجر الخواجة..... ٦٧
٣. جمارك الرقيق (المكوس)..... ٦٩
٤. أسواق الرقيق في مصر..... ٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. أساليب البيــع وتــداول الــرقيق في الأسواق. ٧١
ثانياً: مراكز تجمع الرقيق والطرق والموانئ التجارية المملوكية: ٧٥
١.مراكز تجمع المملوك الأبيض وسماتهم: ٧٦
٢. الطريق البحري القادم من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى بحر القلزم[0]: ٨٦
٣. الطريق البري من وسط آسيا عبر الهند والسند وبلاد الصين: ٩٣
الفصل الثالث أسباب تراجع تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك ٩٩
١. أثر الصراع على السلطة بين أفراد البيت المملوكي: ١٠٠
٢- أثر علاقة المماليك الأجلاب بالعامة وإثارة الفوضى والاضطرابات: ١٠٢
٣. دور البابوية في فرض الحصار الاقتصادي على سلطنة المماليك: ١٢٠
٤. أثر حركة الكشوف الجغرافية على تجارة الرقيق: ١٢٥
الخاتمــة ١٣٦
قائمة المصادر والمراجع ١٣٧
أولاً: المصادر العربية المخطوطة: ١٣٧
ثانيًا: المصادر العربية المطبوعة: ١٣٧
ثالثاً: المراجــع العربيــة: ١٤٨
رابعًا: المراجع الأجنبية: ١٥٤
خامساً: الشبكة الالكترونية: ١٥٤
الملاحق ١٥٥
Abstract ١٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

(٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

إعداد الباحث: محمد صالح محمود العواد

إشراف: الدكتور انور الخالدي.

الملـخـــص

استهدفت من هذه الدراسة إلى القاء الضوء على تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة في مصر، حيث ازدهار عالمي للتجارة في تلك الفترة وتجارة المماليك بشكل خاص وتراجعت تجارة المماليك مع نهاية دولة سلاطين المماليك الجراكسة.

وتم والتعرف على هؤلاء المماليك المجلوبين من مراكز تجمعهم المختلفة، والطرق التي سلكها، واسواقهم وتجار المماليك والظروف التي أوجبت الاكثار منهم في ظل الخطر الصليبي والمغولي، ووضعهم الاجتماعي وظروف تربيتهم تدريبهم في الطباق.

ولتحقيق تلك الاهداف تم الاعتماد على المصادر المعاصرة والقريبة لفترة الدراسة، وتم تقسيم الدراسة الى مقدمة، فصل تمهيد وثلاث فصول، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وملاحق.

واشارت نتائج الدراسة إلى ان الرقيق هم اساس بنية دولة سلاطين المماليك الجراكسة، وازدهرت تجارتهم في زمن السلاطين الاقوياء، الذين اهتموا بهم وضعفت بذبول الاهتمام بهم ومراعات حقوقهم، ولعبت عدة عوامل اثرت على تجارتهم كالعوامل السياسية والاقتصادية وغير ذلك.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمــة

لعب الرقيق دوراً مهماً ومؤثراً في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في العصور الوسطى، ووجد الرق منذ القدم ويعتبر من الظواهر الإجتماعية، التي نشأت نتيجة استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان ليساعدهُ في متطلبات عمله اليومية، عند تحوله من حياة الصيد إلى حياة الزراعة، وتتطلب الزراعة العمل والاستقرار، وبدأ الإنسان القوي يستغل أخيه الضعيف في الأعمال الشاقة.

عرفت الامم السابقة الرقيق على نطاق واسع، فكان معروفاً عند الفرس والروم والروس والهنود واليونان والصين واليهود، وعرب الجاهلية وغيرهم من الأمم.

وبعد مجيء الإسلام لم يستطع أن يلغي الرق مباشرة؛ كونه نظامًا اجتماعيًا يحكمهُ القانون وتقبلتهُ النفس البشرية وزاولته، بل عمل على التضييق على موارد الرقيق، وشرع كثيرًا من الأحكام التي توجب حرية الرقيق كفارة عن الذنوب لمن ارتكبها.

أحتلت تجارة الرقيق في العصور الوسطى مركز الصدارة إلى جانب تجارة التوابل والسلع الأخرى، ولأهمية تجارة الرقيق حظيت أسواقه بالعناية الشديدة من جانب الأفراد والتجار والدول، فظهر الأهتمام البالغ في تلك الأسواق والاشراف عليها لمراقبة أعمال البيع والشراء.

وأهتم سلاطين المماليك بالتجارة الخارجية والداخلية، واقاموا علاقات تجارية داخلية بين مصر ونيابات بلاد الشام، واقاموا علاقات خارجية مع الدول وسمحوا لتجارها بإنشاء مراكز تجارية لتسهيل تجارتهم، كما عملت الدولة على انشاء الاماكن العمرانية كالخانات والفنادق والاسواق من أجل دعم وتشجيع التجارة الداخلية والخارجية.

وتعتبر فترة دولة سلاطين المماليك العصر الذهبي لتجارة الرقيق في مصر، وتوسع سلاطين دولة المماليك الجراكسة من عمليات الشراء للمملوك الأبيض والذي اصبح يمثل نواة الحكم والاقتصاد في الدولة لفترة طويلة من الزمن ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م أي ما يقارب قرنين ونصف من الزمن.

وانقسمت دولة الرق الأبيض في تاريخها إلى دولة المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م والتي اعتمدت في تكوينها على العنصر التركي وبشكل خاص على الرقيق المجلوب من بلاد القفجاق، ودولة المماليك الجراكسة ٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٢٠-١٥١٧م والتي اعتمدت على عنصر الرقيق الجركسي والمجلوب من بلاد الجراكسة الذي كان يشكل الدعائم الأساسية في تكوين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجيوش، وكما اعتمدت الدولة على غيرهما من عناصر الرقيق المجلوبة من الأمم الأخرى.
ومن تلك العناصر المجلوبة من الرقيق كان سلاطين المماليك الذين حكموا في مصر وبلاد الشام، وان كان هؤلاء في الأصل مماليك جلبوا عبر طريق القوافل التجارية البرية والبحرية من مراكز تجمع الرقيق المختلفة، ومروا بكثير من الاسواق لينتهي بهم المطاف في الطباق ويخضعوا لتربية نفسية وبدنية وتعليم ديني اسلامي، وليرتقوا عبر تسلسل هرمي منظم ليصلوا إلى أعلى المناصب في دولة سلاطين المماليك.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة في الديار المصرية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

استهدفت من هذه الدراسة إلى القاء الضوء على تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة في مصر، حيث ازدهار عالمي للتجارة في تلك الفترة ثم لم يلبث أن تراجعت التجارة العالمية بشكل عام وتجارة الرقيق (المماليك) بشكل خاص مع نهاية دولة المماليك، والتعرف على هؤلاء المماليك المجلوبين من مراكز تجمعهم المختلفة، والطرق التي سلكها، واسواقهم وتجار المماليك والظروف التي أوجبت الاكثار منهم في ظل الخطر الصليبي والمغولي، ووضعهم الاجتماعي وظروف تدريبهم في الطباق.

وسبب اختيار الباحث لهذا الفترة ٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م، لأنها تعتبر فترة تاريخية لدولة سلاطين المماليك الجراكسة، والذين أسسوا دولة المماليك الجراكسة والذين جلبوا من المناطق المختلفة التي يكثر بها تواجد الرقيق الابيض وخاصة بلاد القفجاق.

صعوبات الدراسة:

واجه الباحث صعوبات عدة في اعداد الدراسة في مقدمتها قلة المصادر التاريخية التي تحدثت عن الرقيق، فغالباً ما تذكر المادة الاولية في المصادر التاريخية التاريخ السياسي والحضاري للدول وسير الخلفاء والحكام، تُهمل الحديث عن الطبقات الدنيا والتعرض لها، مما جعل الحصول على المعلومات يتطلب القراءة الواسعة في شتى المصار والبحث العميق بين المصادر المختلفة والمتنوعة، للخروج بمادة علمية متكاملة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهجية الدراسة:

واتبع الباحث المنهج الوصفي في هذا البحث، والهادف اساساً إلى رصد تطور ظاهرة الرقيق من حيث الوقوف على تتبع روافد الاسترقاق وتتبع وضعية الرقيق الاجتماعية، واستخدام المنهج الوصفي في إبراز السمات العامة للرقيق، واستخدام المنهج المقارن خاصة فيما يتعلق بوضعية الرقيق في دولة المماليك البحرية والبرجية، والمنهج الانثروبولوجي في دراسة أجناس الرقيق المختلفة.

وسيتم تغطية جوانب الدراسة، بالاعتماد على المصادر المتنوعة والمعاصرة والقريبة لفترة الدراسة ما أمكن ذلك، وسيتم التعريف بالأماكن والمصطلحات والمفاهيم، واستخدام الجداول، وسيتم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول، وخاتمة ونتائج، وملاحق، وخرائط توضح الطرق التجارية المهمة التي عبر الرقيق من خلالها.

موضوع الدراسة:

وسيتم الحديث عن في الدراسة التمهيدية عن الرقيق، وتعريف الرقيق ووقفة تاريخية عن معاملة الشعوب للرقيق وتشمل: معاملة الشعوب غير المسلمة ، ومعاملة العرب في الجاهلية ، ومعاملة الإسلام. المماليك أصولهم وبداية ظهورهم،

وتناول الباحث في الفصل الأول الحديث عن المماليك وسيطرتهم على الحكم في مصر، وقيام دولة المماليك في الديار المصرية، وسيتم التطرق إلى موارد الرق سواءً كان عن طريق الحرب (الأسر) أو الخطف أو الخراج أو الإهداء أو التجارة أو الوراثة. والحديث عن القواعد المتبعة في تربية وتعليم المماليك، والتطرق إلى فرق المماليك ووظائفهم.

وخصص الباحث الفصل الثاني لدراسة تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة، واهتمام سلاطين المماليك بالتجارة العالمية، والتعرف على تاجر الرقيق والذي أطلق عليه العديد من الألفاظ كتاجر الخاصة وتاجر الخواجة، وصفاتهُ، وأهم أسواق الرقيق الداخلية في مصر، وأساليب البيع وتداول الرقيق في الأسواق والتشريعات الإسلامية في ذلك. وسنوضح في الفصل الثاني أيضاً مراكز تجمع الرقيق والطرق والموانئ التجارية المملوكية التي خدمت تجارة الرقيق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسيتناول الباحث في الفصل الثالث أسباب تراجع تجارة الرقيق والعوامل المؤثرة في ذلك، الصراع بين سلاطين المماليك على السلطة، والتطرق إلى أثر علاقة المماليك (الأجلاب) بالعامة وأثارت الفوضى والاضطرابات، وأثر الكشوفات الجغرافية على التجارة في تلك الفترة، وستحتوي الدراسة خاتمة ونتائج وجدول وملاحق.

التعريف ببعض مصادر الدراسة:

لقد تم حشد عدد كبير من المصادر التاريخية لإنجاز هذا العمل نتيجة قلة المادة العلمية الخاصة بتلك التجارة، ومن تلك المصادر معاصرة أو قريبة لفترة الدراسة، فسيتم الاعتماد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وكتب الفقه والحسّبة وكتب التّاريخ العام وكتب الأدب والبلدان والرحلات وكتب التراجم، وكتب الجغرافيا وغيرها.

ولا نستطيع في هذه التعريف الموجزة للمصادر أن نلم بها جميعاً وإنما أخترنا أهمها وأكثرها صلة بموضوع الحديث، وسيتم التطرق لبعض مصادر الدراسة كما يلي:

من المصادر التاريخية كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك[1]، للمقريزي: أحمد على بن عبد القادر المقريزي، تقى الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اصله من بعلبك وينسب إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك آنذاك، ولد ونشا بالقاهرة وولي فيها الحسبة والخطابة والامامة مرات، واتصل بالسلطان المملوكي الظاهر برقوق ٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م ودخل دمشق مع ولده الناصر فرج بن برقوق ٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م، فعرض عليه قضاؤها فأبى وعاد إلى مصر.

يعتبر المقريزي معاصرًا لفترة الدراسة، فهو شاهد عيان لنقل الاحداث، وسيتم دراسته للإفادة من المواضيع السياسية حيث يتحدث عن الاوضاع السياسية والظروف السائدة عند قيام دولة سلاطين المماليك كحروبهم ضد الصليبيين والتتار، ايضًا حديثه عن النواحي الإجتماعية كحديثه عن المماليك وعلاقتهم بالعامة وثوراتهم وغير ذلك، وحديثه عن الحياة الإقتصادية في ظل حكم سلاطين المماليك.

---

١ . ط٢، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (١٣٧٦هـ /١٩٥٦م). وسيشار إليه فيما بعد هكذا المقريزي، السلوك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار[١]، والمعروف بالخطط المقريزية، استعرض فيه المقريزي التاريخ السياسي والحضاري لمصر الإسلامية، وسيتم الأعتماد عليه في وصف المنشآت العمرانية والحارات والدور والاسواق وطرق البيع فيها، كما يتحدث فيه عن دور الجواري في القصر، ويصف فيه حياة المماليك الاجلاب في داخل الطباق السلطاني بالقلعة، وما يدور فيها من اعمال وتدريب لصقل شخصية المملوك واعداده بدنيًا وجسديًا وتربيته تربية اسلامية، ويتحدث فيه بدقة عن حالة الموانئ المصرية وحركة التجارة فيها ولا سيما تجارة الرقيق (المماليك).

وكتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة[٢]، وتطرق فيه المقريزي إلى طبقات المجتمع المملوكي ووصف وبدقة طبيعة العلاقة ما بين المماليك والعامة، وتطرق للازمات الاقتصادية وابدى طرق لمعالجتها وبحكمة فذة تدل على مدى اتساع بصيرة المقريزي في تلك المواضيع.

ويعد كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة[٣]، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، ومن مصادر التي اعتمدت عليها الدراسة ابن تغري بردي وهو مؤرخ مصري كان ابوه من كبار أمراء المماليك في عصر السلطان الظاهر سيف الدين برقوق ٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م، وابنه الناصر فرج بن برقوق ٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م، تتلمذ ابن تغري بردي على يد عدد كبير من شيوخ عصره، كابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤١٤م)، وابن ظهيرة (ت٨١٧هـ/١٤٠٥م)، وبدر الدين العيني (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م) وغيرهم، ولازم شيخه المقريزي وأخذ عنه التاريخ.

هو الأمير تغري رومي الأصل جلب رقًا مملوكاً من بلاد الروم، أشتراه الظاهر برقوق(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م)، وتدرب في الطباق وتعلم الفروسية والشعر وتدرج بالمناصب حتى منصب أمير، ويعتبر كتابه تاريخاً لمصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عصره، وذكر سبب تأليفه الكتاب بانه في نهاية الكتاب من أجل صديقه الأمير محمد بن السلطان جقمق، وقد خالف ابو

---

١. مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، القاهرة، مصر، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). وسيشار إليه فيما بعد هكذا: المقريزي، المواعظ.

٢. تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: المقريزي، كشف الغمة.

٣. قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحاسن فيه شيخه المقريزي في منهجه، فقد جعل لكل عهد من عهود السلاطين فصلًا خاص به يتناول فيه شخصية السلطان، ثم يذكر السنين سنة بسنة حتى وفاته أو عزله، وبعد ذلك يذكر وفيات الاعيان في كل سنة من السنوات، ثم ينتقل ليتناول شخصية جديدة وهكذا.

وافادت الدراسة منه عند تعرضه للحوادث خلال ترجماته ويفيدنا بمقارنة حال الرقيق (المماليك) في الدولة البحرية الاتراك القفجاق والمماليك في دولة الجراكسة ووجه الاختلاف بين ذلك.

وكما أهتم أبو المحاسن بالنشاط العمراني إلى جانب الاهتمام بالتاريخ الحضاري لمصر، ويعتبر كتابه المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي[١] من كتب التراجم، ترجم فيه ابي المحاسن للسلاطين واعيان عصره بلغ عددهم ثلاثة الاف ترجمة، ابتدأ مؤلفه بالترجمة السلطان عز الدين ايبك وحتى وقته، واعتمد في الترجمة على ترتيب الحروف الابجدية حسب حروف المعجم، وأفادنا الكتاب بالتعرف على اجناس المماليك، وعلى وظائف الطباق وما يجري بالطباق من تدريب وتهذيب لنفس المملوك حتى يخرج مقاتل.

ومن كتب الحوليات كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك[٢]، للأمام الحافظ، السخاوي (نسبة إلى سخا قرية من قرى مصر)، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، المصري الشافعي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، مؤرخ مصري عاش زمن دولة سلاطين المماليك، ويعتبر كتابه مكمل لكتاب السلوك للمقريزي حيث بدأه السخاوي في سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م وانتهى فيه عند سنة ٨٥٧هـ/١٤٣٣م وقد نهج فيه نهج شيخه المقريزي في كتاب السلوك، وسيفيدنا كثيراً في مراحل البحث المختلفة.

وافاد الباحث من كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع[٣]، وهو كتاب تراجم ويعتبر أوسع المصادر في تاريخ القرون الوسطى الإسلامية، ترجم فيه السخاوي لشخصيات مختلفة من الملوك والخلفاء والوزراء والعلماء والقضاة والادباء والشعراء، من أهل مصر والشام والحجاز والروم

---

[١]. حققه ووضع حواشيه د محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن تغري بردي: المنهل الصافي.

[٢]. مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، مصر ١٩٨٦م. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السخاوي، التبر المسبوك.

[٣]. دار الجليل، بيروت، لبنان، (د. ت). وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السخاوي، الضوء اللامع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والهند شرقًا وغربًا، وسيفيد الدراسة من خلال ترجمة وظائف الاستاذية المعلمين الذين كانوا في الطباق، الذين يقوموا بتدريب المماليك فنون القتال والفروسية، وأورد في مؤلفه كثير من أسماء طواشية الطباق التي لم تذكر في مصادر أخرى.

ومن المصادر التي لا تقل اهمية عن غيرها في عصر سلاطين المماليك كتاب التعريف بالمصطلح الشريف، لابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، وهو معاصر لفترة الدراسة وعمل في عصر دولة المماليك البحرية بوظيفة ناظر ديوان الانشاء والرسائل وخلال عمله كان له نصيب الأسد في الاطلاع على الوثائق الهامة والرسائل والعقود والاتفاقيات وغيرها من الاوراق المهمة.

وبذلك فقد رتب كتابه بشرح رتب المكاتبات السلطانية واجزائها ويعرض نماذج من العهود والتقاليد والمفاوضات ونماذج لأنواع المكاتبات الرسمية، وسيتم الاعتماد عليه في التعريف بالمصطلحات والاماكن وغيرها، ومن خلاله ايضًا نتعرف على مل يدور في الطباق من مراسم للتخريج.

وتأتي الإستفادة من كتب البلدان والجغرافيا والرحالات في التعرف على الأماكن التي يتواجد بها الرقيق وأنواع وأجناس هؤلاء، ومعاملة الشعوب للرق والطرق التي سلكها تجار الرقيق في عملية جلبهم إلى مصر وبلاد الشام، والتعرف على الأسواق وأهم الموانئ والأقليات التي تعمل في تجارته وغير ذلك، ونذكر من تلك الكتب:

وفي مقدمة هذه المصنفات كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، لابن شاهين وهو غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، وهو معاصر لفترة الدراسة وسيتم الرجوع اليه في التعريف في بعض الوظائف في عصر دولة سلاطين المماليك، وفي الحديث عن الطباق السلطاني ووصفه لطبقة الرقيق وغير ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة:

سيتم في هذه الدراسة الاعتماد على طائفة متنوعة من الدراسات الحديثة العربية منها والأجنبية، مما لا يتسع في هذا المقام هنا لذكرها وشملتهم القائمة الخاصة بالمصادر والمراجع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسة التمهيدية
تطور الرق في العصر المملوكي

أولاً: تعريف الرق في اللغة والاصطلاح.

ثانياً: وقفة تاريخية عن معاملة الرقيق وتشمل:

١. الشعوب غير المسلمة.

٢. معاملة العرب في الجاهلية للرقيق.

٣. معاملة الإسلام للرقيق.

٤. بداية ظهور المماليك في مصر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تطور الرق في العصر المملوكي

أولاً: تعريف الرق في اللغة والاصطلاح.

أولاً: تعريف الرِّق في اللغة:

الرِق بكسر الراء كلمة مأخوذة من الرق وهو الملك[١]، وعرف الرق بألفاظ مختلفة وتعقدت مدلولات الكلمة وذلك تبعًا لموطنه ولونه وخدمته في العمل وغير ذلك، فنلاحظ أنه أطلق على الرق لفظ العَبد[٢] وللجمع عُبُد وأعَبُد[٣]، وعبيد وعُبد، وعَبداَن، والأنثى عبده، وهو الإنسان حرًّ كان أو رقيقاً، يذهب بذلك إلى كون الإنسان عبداً لله تعالى واستناداً لقول الله عزوجل: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون}[٤]، فحق الله على العبد (الإنسان)، هو الإقرار والتذلل بالعبودية والانقياد لله

---

١. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١١م)، "لسان العرب"،١٥ج، ط٣، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، مادة رق، ج١١، ص٤١٤ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن منظور، لسان العرب؛ ابن هشام اللخمي (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م): المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق خوسيه بيريت لاثارو، مدريد، معهد التعاون مع العالم العربي، (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٢، ص١٥١ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: اللخمي، المدخل.

٢.ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر محمد بن الحسن، "تاريخ ابن خلدون"، والمسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٢م)، ج، ص١٧٧ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن خلدون، العبر.

٣.ابن منظور: لسان العرب، ج٣، مادة عبد، صفحات،٢٧١،٢٧٠؛ إبراهيم مصطفى وآخرون: "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية القاهرة، دار الدعوة، ج٢، ص٥٧٩ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: إبراهيم وآخرون، المعجم .

٤. سورة الذاريات: آية رقم (٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عز وجل طوعاً أو كرهاً فكل مخلوق خاضع لقضاء الله عزوجل[١]، كما استخدم ابن خلدون مصطلح (العبيد) ويعني: أولئك المسترقين من السودان والبربر، واستخدم كذلك مصطلح (العلوج)، ويعني بهم الرقيق الأبيض[٢].

الرِّق هو المِلك والعبُودية، ورَق فلان أي صار عبداً، وحُرم من حريته الطبيعية، وسمي العبيد رقيقاً لأنهم يَرقون لمالكهم، ويذَلون ويخضعون له، وهو اسم يطلق على المفرد والجمع، ويُجمع كذلك على أرِقَاء[٣].

كما ورد في القرآن الكريم لفظ المملوك المرادف للفظ "العبد" في قوله تعالى: {ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء}[٤]، وللدواعي الإنسانية النفسية ذكر الرِّق في القرآن الكريم

---

١. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،ج٢٢، ص٤٤٤ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الطبري، تفسير؛ السايح، أحمد عبد الرحيم: "فلسفة الحضارة الإسلامية"، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص١٣٩ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السايح، فلسفة الحضارة.

٢. ابن خلدون: العبر، ج، ص١٧٧.

٣.ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٢٤؛ الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)،"القاموس المحيط"، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٣، ص٢٤٥ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

٤. سورة النحل: آية رقم (٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العبد المذكر بفتى، وغلام[١] للعبد المذكر وجارية للعبدة الأنثى حتى لا يقع امتهان على الرِّق، كما عرف ابن منظور الرِّقيق أيضاً بالخدم، ويطلق على الأمة والعبد والغلام والجارية، وتخدمت خادماً أي اتخذتهُ، ويجمع على خدام[٢].

الرِّق في الاصطلاح:

وعرف الفقهاء الرِّق بأنه عجز حكمي شرعاً، وهو يترتب على الشخص جزاء عن الكفر، أما أنه عجز لأن صاحبهُ لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما، وأما أنه حكمي، فلأن العبد يعجز عن دفع نفوذ أسباب الملك والحرية فيكون كالبهيمة[٣]، كما وتعني كلمة الرق العبودية الإلزامية من قبل شخص أو جماعة[٤].

ويعتبر الرِّق نظامًا إجتماعيًّا موجود منذ القدم القدم، واستمر قائماً حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وكان يعتبر بين تلك الشعوب نظاماً مشروعاً يحميه القانون. وأختلفت النظرة إلى الرِّق بين الأمم والشعوب، وتنوعت مصادره، وسيتم إلقاء النظر بعض الشيء على الرِّق لدى تلك الشعوب.

---

١. الغلام: هو الصبي من حين يولد إلى أن يشب، ويطلق مجازاً على الرجل والخادم، وقد عرف الغلمان بالخدم الصغار الذين لم يبلغوا الحلم بعد، يجلب هؤلاء صغاراً من أوطانهم، فينشأ الغلام في قصور الخلفاء والأمراء، وأقبل الخلفاء على شراء الغلمان والإكثار منهم، ولقد اهتموا بهم وأغدقوا عليهم الأموال وجادوا عليهم بالكسوة والمأكل والمسكن، واتخذوهم كذلك للسقاية ولزينة واظهار العظمة وفي المواكب، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٤؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٨، ص١٧٨

٢. ابن منظور: لسان العرب، مادة خدم، ج١٢، ص١٦٦.

٣.الدبوسي: أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيس الدبوسي الحنفي (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ج١، ص١٢٥ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الدبوسي، تقويم؛ أبو حبيب، سعيد: "القاموس الفقهي"، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، سوريا، ١٩٨٨م، ص١٥٢. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابو حبيب، القاموس الفقهي.

٤.الدبوسي: تقويم الادلة، ج١٠، ص١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: وقفة تاريخية عن معاملة الشعوب للرقيق وتشمل:

١.معاملة الشعوب غير المسلمة للرقيق.

ليس من السهل على الباحث تحديد بداية ظهور الرق، حيث وجد الرِّق قبل مجيء الإسلام وعرف بنظام إجتماعي قديم، وعرفته كافة المجتمعات البشرية، وكان نتيجة بحث الانسان على من يخلصه من عناء العمل وقساوته، وبدأت حاجة الإنسان إلى غيرهُ عند استقرارهُ وعملهُ بالرعي والزراعة، ونتيجة للأطماع قامت الحروب وصار القوي يلزم الضعيف بالاشتغال بالأعمال القاسية والتي تتطلب الجهد الكبير، وعندما يتم الأسر في الحروب يبقى الأسرى دون قتلهم ليعمل عندهم ومن هذا المنطلق اصبحت الحروب أهم مصادر للرق[١].

فعرفت الحضارة اليونانية الرق من منطلق فلسفي، وقسم فلاسفة اليونان الجنس البشري إلى قسمين القسم الأول حر بالطبع والأخر رقيق بالطبع، وقالوا ان الثاني ما وجد إلا لخدمة الأول[٢]، وتعددت مصادر الرق عند اليونان وكان أهمها رق الحروب والولادة، وعرفوا الرق الذي يعمل بالأرض وأطلقوا عليهم أسم أقنان الأرض[٣].

كان الفرس[٤] يحصلون على رقيقهم عن طريق الحروب، وكان معظم الرقيق من خارج بلاد فارس يحصلون عليه عن طريق الحروب، واستخدموا الرقيق في كثير من المجالات الاقتصادية واستخدموا الجواري والغلمان للخدمة في الخدمة في المنازل والقصور، وتباينت معاملتهم للرقيق

---

١. شفيق، أحمد: "الرق في الإسلام"، ترجمة: أحمد زكي، القاهرة، ص١٠. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: شفيق، الرق.

٢.اليعقوبي: أحمد بن واضح المعروف باليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، بغداد ١٩٣٩م، ج١، ص٤٦؛ عباد، محمد كامل: تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، سوريا (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٨٤ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: عباد، تاريخ اليونان؛ حسن، إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص٣٥٩؛ ديورانت، ول وايريل: "قصة الحضارة"، ج٢، المجلد الرابع، ترجمة محمد دران، القاهرة، ص٦٣.

٣. ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة ج٢، المجلد الرابع، ص٦٣.

٤.الفرس: هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، يدينون بالصابئة ثم تمجسوا وبنو بيوت النيران، ويقال إن ملكهم كان يكسي بيوت النيران ويذر فيها الكبريت والزرنيخ، فيستوقد من نفسه، لا يستعملون الحطب لتلك النار. للمزيد انظر: المسعودي: أخبار الزمان، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (١٤١٦هـ /١٩٩٦م)،ج١، ص١٠٠. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: المسعودي، أخبار الزمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين القسوة واللين تبعًا للمواقف المختلفة، وأتصف رقيقهم بالمجتمع الفاسق وكثيرة فيهم اللواطة[١].

وعرفه الروس وكان لهم عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة تجاه الرِّقيق، فإذا مات رئيسهم كانوا يخبرون جواريه وغلمانه من منكم يموت مع الرئيس، فيوافق بعضهم على الطلب، فإذا وافق شخص ما كان ذلك عليه واجب غير قابل للرجوع فيه، وإذا اختارت إحدى الجواري ذلك وُكل لها جاريتان تقومان على خدمتها على أكمل وجه وهي تغني وتفرح مستبشرة بذلك[٢].

وعُرف الخدم في الهند وكانت التشريعات الهندية القديمة تحرم طبقة الخدم والتي كانت تشكل قاعدة الهرم الاجتماعي للسكان من معظم الحقوق، مقارنة مع الطبقات الاخرى من المجتمع الهندي[٣]، وأُوكلت إلى الخدمِ الاعمال الطاهرة كالعمل في المنازل، والأعمال النجسة التي تقع على عاتق الجواري والغلمان كالزنا، ويكون في مُلك الملوك عدد كبير من الجواري يصل عددهن إلى أربعة الآف جارية[٤]، وكانت القوانين تقضي بقتل العبد على أقل هفوة يرتكبها أو التنكيل به[٥] ، وأتخذ أهل الهند الجواري في أعمال الزنا[٦]، وغلمانهم لأعمال اللواطة[٧].

١.المقدسي: محمد بن أحمد، أبو عبد الله المقدسي (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)،"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٤١١هـ/١٩٩١م)،ج١، ص٤٢٩؛ شفيق، أحمد: "الرق في الإسلام، صفحات،١٣، و١٤؛ بليغ، أحمد فؤاد: مؤسسة الرق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (٢٠٠٣م)، ج١، ص١٠١.

٢.ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة"، ط١، دار السويدي، أبو ظبي، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١٠٦؛ ياقوت: البلدان،"، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)،ج٣، ص٨١.

٣. بليغ، أحمد، الرق في الاسلام،ج١، ص٢٨.

٤.ابن الفقيه: أحمد بن محمد الهمداني (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٧٢. وبعد هكذا: ابن الفقيه، البلدان،سيشار إليه فيما

٥. البيروني: محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله"، صفحات ٧٥ ،٧٩، ٤٥٧،٤٥٨، وسيشار إليه فيما بعد هكذا: البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة؛ أحمد شفيق: الرق في الاسلام، صفحات ١٠، ١١، وكذلك:

Hammouda Ghoraba: Islam and salevery, Islamic Quarterly, London, ٢٣ Oct ١٩٥٥.p١٥٤.

٦. ابن الفقيه: البلدان، ص٦٩.

٧.القزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)،" آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت، (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص٤٦ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: القزويني، آثار البلدان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان من رسومهم بنية التقرب إلى الله ان يجعلوا في طريق المارة "خان"[١]، ويضعوا فيه بقال ليبيع للتجار والغرباء منه حاجتهم، ويسكنوا في الخان إحدى الجواري (فاجرة)، ليقضي المارة حاجتهم منها، وعرف كذلك من رسومهم ما يختص بـ "البـد"، وهو "الصنم"، فإذا نذرت امرأة وولد لها جارية جميلة، أتت بها إلى "البـد" فجعلتها له، ووضعت لها بيتاً تبيع نفسها فيه مقابل أجر من المال، وما تجمعه تدفعهُ إلى الصنم ليصرف في عمارة الهيكل[٢].

وتنوعت مصادر الرقيق في الصين القديمة، وعرف الصينيين القدماء الرق بنوعيه المذكر والمؤنث، وكانت معاملة الرِّق في الصين[٣] معتدلة نوعاً ما، بل اعتُمد عليهم للمنفعة العامة، ويعتبر الإنسان عندهم هو أفضل المخلوقات، فمن قتل رقيقهُ ليس له سبب في إخفاء جريمته ومن تعدى عليه عوقب بالقانون، ويذكر السيرافي (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)[٤] في رحلته عن مكانة خدم الصين وخصيانهم، حيث أوكل لهم مهنة جباية الخراج، فكان الخدم هم الذين يرعون شؤون الملك في نهر

---

١. خان: لفظ فارسي وهو الحانوت ويعرف أيضاً بالفندق يسكنه الناس ممن يكون في الطرق والممرات وأكثرهم التجار؛ ابن منظور: لسان العرب،ج١٠، ص٣١٤؛ الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي(١٢٠٥هـ/ ١٨٣٤م)،"تاج العروس في جواهر القاموس"، مجموعة من المؤلفين، دار الهداية، ج٢٦، ص٣١٦ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الزبيدي، تاج العروس؛ السيد آدى شير: "الألفاظ الفارسية المعربة"، دار العرب، الطبعة الثانية، القاهرة، (١٩٨٨م)، ص٥٨. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السيد آدي، الالفاظ الفارسية.

٢.السيرافي: حسن بن يزيد السيرفي (ت٣٣٠هـ/٩٤١م) رحلة السيرفي، المجمع الثقافي، أبو ظبي(١٩٩٩م)، ص٨٥ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السيرافي، رحلة.

٣. اليعقوبي: "البلدان"، ط١، تحقيق: دي غويه، دار الكتب العلمية، ليدن، بيروت، لبنان (٢٠٠١م)، ج١، ص١٨٠ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: اليعقوبي، البلدان.

٤. السيرافي، رحلة، ص٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدينة "خانفو"[١]، وكان الآباء من أهل الصين يقوموا بخصي أبنائهم ويهدونهم إلى الملك تقرباً به وطلباً للرياسة واعتقاداً للنعمة[٢].

وتداعى اليهود إلى استرقاق غير اليهود، ويعتبر الشعب اليهودي انفسهم هم عبيد الله لا يسترقون ولا يباعون بيع العبيد، وتعتبر الحروب مصدراً مهماً من مصادر الاسترقاق، وأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق وعد الرب، فإذا حاربوا استباحوا اعداءهم[٣]، وهم يعتقدون أنهم أرقى شعوب الأرض، وأن تميزهم على سائر الأجناس هي منحة ربانية أعطاها الرب لهم: "أنتم أولاد الرب إلهكم، لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الله لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب على وجه الأرض"[٤]، ويسترق اليهودي إذا أفتقر أو إذا صار عاجزًا عن سداد دينه، فإذا كان الدائن يهوديًا فعلى الدائن أن يعامل المديون معاملة الخادم ويتلطف ويرفق به، حتى يتحرر بعد

---

١. نهر عظيم يصب في نهر الصين بينه وبين مدينة خانقوا مسيرة ستة أيام أو سبعة، يدخل هذا النهر السفن التجارية الواردة إليه من البصرة، وسيراف ، وعمان، ومدن الهند، وجزائر الزنج، وغيرها من الممالك، محملة بالسلع التجارية. ويعتبر من أهم مرافق الصين المشهورة. للمزيد انظر: المسعودي: علي بن الحسيني المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، ج١، ص١٣٨؛ الإدريسي: محمد بن محمد الإدريسي (ت٥٦٠هـ /١١٦٤م)، "رحلة المشتاق في اختراق الآفاق"،٢ج، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ج١، ص٢١٣ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الادريسي، رحلة المشتاق

٢. المسعودي: مروج الذهب، ص١٤٠؛ السيرافي: رحلة، ص٥٩.

٣.العهد القديم: سفر التثنية، اصحاح ١٣، ص٣٠١؛ عيسى، محمد الأنور حامد: بحوث في اليهودية، ط١، المكتبة المركزية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٣٨ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: عيسى، بحوث في اليهودية.

٤.العهد القديم : سفر التثنية، اصحاح ١٤، ص٢٠٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ست سنوات أو في سنة اليوبيل[١]، وإذا رغب اليهودي العبد في البقاء عند سيده واجابه سيده في ذلك فيكون أن تثقب أذنهُ ويصبح بذلك عبداً مدى الحياة[٢].

اعتبر الروم في أول امرهم الرق اشياء وليس أشخاص، ولم يعترفوا لهم باي حق من حقوق البشرية، وتفنن السادة في أساليب تعذيب الرِّقيق ومن أبشعها حلبات مصارعة الوحوش الضارية للعبيد[٣]، كما عملوا على خصي الرِّق وجعلوهُ على الكنائس حتى لا ينشغلوا بالنساء وتؤذيهم الشهوة وذلك لاعتباراتهم الدينية[٤]، ولكن مع مرور الوقت تغيرت النظرة للرق مع ظهور المسيحية

١.العهد القديم: سفر لاويين، إصحاح ٢٥:٣٩- ٤٣، وسنة اليوبيل هي السنة السابعة لمكوث المدين عند سيده اليهودي، سفر لاويين، إصحاح ٢٥: ١-١٣ ، حسن، إبراهيم حسن وابراهيم علي: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ص٣٥٩ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: حسن النظم الإسلامية.

٢.العهد القديم: سفر لاويين: ٢٥: ٤٤-٤٦، ؛٢ الترمانيني، عبد السلام: "الرق ماضيه وحاضره"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، ١٩٧٩م، ص٣١ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الترمانيني، الرق.

٥-Hammouda Ghoraba: Islam And Slavery .Islamic Quarterly ,London,١٩٥٥,(pp.١٥٣-١٥٩).

٤.رسالة بولس الرسول إلى أهل تيطس ٩: ٢، رسالة بولس إلى أهل "أفسس"، ٥:٦ ؛ الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصر بالتجارة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج٧، ص١٥، جاك، ريسلر: "الحضارة العربية"، ترجمة: د. خليل أحمد، الطبعة الأولى، بيروت ،١٩٩٣م، ص٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحصلوا على بعض حقوقهم[١]، ميزت المسيحية في شرائعها بين فصيلتين من الرِّق: رق الأرياف ورق المدن[٢].

وعرفت الرق الحضارة المصرية القديمة وكان الرق عندهم يباع ويشترى بالأسواق وكانوا يسترقون أسراهم ويستخدمونهم في المزارع[٣]، ولم تكن حياتهم بالسوء على الدوام، وجرت العادة بالشفقة على الرقيق وحسن المعاملة كما أوصت بذلك الديانة المصرية القديمة[٤].

وخلاصة القول على معاملة تلك الشعوب والديانات كاليهودية والمسيحية: للرقيق لم تستطع أن تنزع عن البشر هذا النظام بل أصرت على إبقائه، وعاملت الرِّق معاملة لا إنسانية معاملة الدواب، فتارةً تدفنه مع رئيسه، وتارة تخصصهُ للأعمال النجسة وأخرى للزنا، ويساق الرِّق سوقاً إلى الحقل ويحشر كالدابة في ثكنات النوم دون مراعاة لأي حق من حقوق البشرية.

٢.معاملة العرب في الجاهلية للرقيق.

---

١. شفيق، أحمد: الرق في الاسلام، صفحات٢٥، ٢٦، ٢٧.

٢.هم ولد روم بن سماهير بن هوبا بن علقا بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وصار لهم الملك بعد اليونانيين وأول ملك من الروم هو" فهاساطق"، وهو "جاليوس الأصغر" ويليه " أغسطس"، ويعتبر " قسطنطين" أول ملوك الروم النصرانية وهي نسبة إلى مدينة الناصرة "NAZEAREH "؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج١، صفحات١٤٦– ١٥٣؛ رستم، أسد: الروم سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط١، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م، ج١، ص٥١. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: رستم، أسد، حضارة الروم.

٣.الدايم، عبد العزيز، الرق في مصر في العصور الوسطى، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص١٠؛ لوبون، غوستاف، الحضارة المصرية، صفحات٧٠، ٧١.

٤.شفيق، أحمد، الرق، صفحات ١٤، ١٥؛ الترمانيني، عبد السلام، مرجع سابالرق في الاسلامق،ص٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عرف العرب في الجاهلية الرق مثلهم سائر الأمم السابقة، وكان مصدره كثرة الحروب القبلية التي تقع ما بين القبائل العربية[١]، ومن الحروب التي حصلت بين الروم والفرس والعرب، وتعتبر تلك الحروب من أهم مصادر الرِّق عند العرب في الجاهلية والتي نتج عنها الأسر والسبي، وجُلب الرِّق إلى العرب في الجاهلية عن طريق التجارة، فكان هناك الرِّقيق الفارسي والهندي والرومي وغيره، واشتهرت قبيلة قريش بالتجارة[٢]، وشكلت التجارة أهم موارد الثروة عند القريشيين في الجاهلية، ومن أشهر تجار الرِّق عند أهل مكة[٣]، عبد الله بن جدعان[٤] (النخاس)، وهو صاحب تجارة واسعة في الرِّق[٥].

---

١. الألوسي: محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب، ٣ج، شرح محمد بهجة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ب ت)، ج١، ص٨؛ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الالوسي، بلوغ الأرب برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط٢، (١٤٢٢هـ /٢٠٠١م)، ص٢٥٧.

٢.الجاحظ: الرسائل، دار الهلال، بيروت (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٦؛ حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي، ص١١.

٣. للمزيد انظر: ياقوت: البلدان،ج٥، ص١٨١.

٤. عبد الله بن جدعان: هو سيد تيم في الجاهلية ومن كبار تجار قريش، كريم جواد يصل الرحم ويطعم المساكين، وشهدت له أم المؤمنين عائشة بذلك، حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وذلك لإفراطه بالشرب مع أمية واحداثه أثرا في عين أمية، زاره الرسول صلى الله عليه وسلم في داره وشرفها. للمزيد انظر: الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص١٥٠؛ العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله العدوي العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)،"مسالك الإبصار في ممالك الأمصار"، ط١، ٢٧ج، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١٠، ص١٧١.

٥ . ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٢٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٦، ص٥٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان العربي اذا اشترى عبدًا وضع في عنقه حبلًا وقاده إلى منزله مثل الدواب[١]، واستخدم الرِّقيق المذكر في الأعمال المنزلية والأعمال الشاقة كالزراعة والرعي، واستخدمتهُ بعض القبائل في القتال وغير ذلك من الأعمال الدنيئة، وكان الأرقاء في الجاهلية محرومين من كافة الحقوق المدنية، ومن التصرف في شؤونهم الخاصة[٢].

كما انتشر وبشكل واسع تواجد الجواري في المجتمع الجاهلي، ويستدل بذلك من أقوال الشعراء في تلك الفترة، حيث ظهر بأشعارهم الأعمال التي كانت تقوم به، الجواري كسكب كؤوس الخمر في المجالس، ورعي الإبل وطهي الطعام وتقديمه إلى سادتهن [٣]. كما اتخُذت بعض الجواري للبغاء والغناء، وكانت تعرف بيوت البغاء في الجاهلية بـ"المواخير"[٤]، وهي من عادات العرب حيث كان بعضهم يكسبون أموالهم بفروج إمائهم، وكان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب فيأتيها من أراد البغاء[٥].

١.حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، ص٣٦٠؛ الدايم، عبد العزيز، الرق في مصر في العصور الوسطى، صفحات١٠، ١١وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الدايم، الرق.

٢.الأفغاني، سعيد بن محمد: (ت١٤١٧هـ/١٩٩٦م): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، سوريا، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)،ج١، ص١٣٨. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الافغاني، اسواق العرب.

٣. وفي ذلك يقول طرفة بن العبد(الطويل):

تبين إماء الحي تطهي قدورنا ويأوي إلينا الأشعث المتجرف

طرفة بن العبد: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م)، "ديوان طرفة بن العبد"، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط٣، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٥٥.

٤. المواخير: جمع ومفردها ماخور، وهي بيوت التي يكون بها البغاء وبيع الخمر، وعرفت أيضاً عند العرب بالحانوت والحانة، للمزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٦؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٣٧، صفحات ٤٩٠،٤٩١.

٥.ابن حبيب: أبي جعفر، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م)، "المحبر"، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت)، ج١، ص ٣٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣.معاملة الإسلام للرقيق.

جاء الإسلام فاعترف بوجود الرقيق ولم يلغ ذلك، ودعا الإسلام الى المساواة وحرية الإنسان، وصون كرامته وجعل مقياس التقوى هو الأساس بين المسلمين، قال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[١].

عمل الإسلام على التضييق على الرق وتواجده في المجتمع، ونظم حقوقه، ورفع من شأنه، ثم أتى بحلول للتضييق على مصادر الرِّق والقضاء عليه بالتدريج لتتقبله النفس البشرية بصفته شرًا لا بد منه[٢] ، وحث الناس على عتق الرِّق، وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الأسرى، فعندما شاهد الرسول أسرى بني قريظة في الشمس قال لأصحابه: "أحسنوا أسراهم وقيلوهم واسقوهم، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح"[٣].

والحكم في الإسلام واضح بالنسبة للأسرى، وخيَّر القرآنُ الكريُم وليَ أمر المسلمين فيما يختص بالأسرى من الرجال فكان المحاربين بين قتل الأسرى بضرب رقابهم أو استرقاقهم وإجراء أحكام الرِّق عليهم من بيع أو عتق أو فدائهم بالمال أو بمبادلتهم بأسرى المسلمين، أو المَّن عليهم بإطلاق سراحهم بغير فداء[٤]، وكان المسترقون من الأسرى يُعتبرون غنيمة، فتأخذ الدولة الخمس[٥] وتوزع أربعة الأخماس الباقية بالتساوي على الجند، مما أدى إلى ازدياد عدد الرِّقيق إثر الفتوحات الإسلامية الواسعة، فكان يوجد عند الواحد من العرب عشرة أرقاء أو مائة أو ألف، ويسير الأمراء

١.سورة الحجرات: اية رقم (١٣).

٢.عبد الدايم ، عبد العزيز، الرق في مصر، ص١١.

٣.ابن الجوزي: أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، "مثير العزم إلى أشرف الأماكن"، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الطبعة الأولى، ج٢، ص٧٥، ح٣٢٠ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن الجوزي، مثير.؛ أبو حبيب، سعيد: ، ج١، ص١٥٢.

٤.الماوردي: أبي الحسن، علي بن محمد بن الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٨٥م)، الأحكام السلطانية والولايات الإسلامية، تحقيق: عبد المنعم عبد، القاهرة، ط١، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص٥٠؛ السايح، أحمد عبد الرحيم: فلسفة الحضارة الاسلامية، ص٢٠٢.

٥. الخمس: تعتبر ضريبة أخماس الغنائم هي التي تغنم في الحروب من الضرائب التي أدخلت ضمن أموال الخراج، مع العلم أن القرآن أشترط توزيعها على مستحقيها" واعلموا إنما ..."الانفال آية رقم (٤١)، وكانت الدولة تجبي كذلك أخماس المعادن والركز وهو دفين الجاهلية وسيب البحر وهو ما يخرج منه وأموال قطاع الطرق واللصوص، للمزيد انظر: قدامة: أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، ط١، دار الرشيد، بغداد، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووجوه القوم في طرقات البصرة والكوفة[١] وخلفهم مئات العبيد يؤلفون موكبًا عظيمًا، ولم تخلو بيوت الفقراء من عامة الناس من عبدٍ أو أكثر ليقوموا بالخدمة.

كان حال السبي من النساء والأطفال والرجال غير المحاربين من أهل الكتاب هو ان يسترقون ويتم قسمتهم مع الغنائم[٢]، وكان رأي الشافعية فيهم القتل، بينما رأي الحنفية الرِّق لهم، ويجوز في هذه الحالة للإمام أن يفاديهم مقابل المال بمن وقع عليه الأسر من المسلمين مع عدوهم، فلا بد أن يعوض صاحب السهم من سهم المصالح[٣].

وحض الإسلام على معاملتهم بالحسنى، والرفق بالرِّق وحذر من اساءة معاملتهم كضرب العبد وتحقيره أو الاستهانة به، فلا يجوز للسيد أن يقول لغلامه هذا عبدي ولا لمملوكتهُ هذه أمَتي، ولكن يقول هذا فتاي وهذه فتاتي، ويخاطب المملوك مالكهُ بسيدي وسيدتي[٤].

---

١. الكوفة: مدينة كبيرة تقع في العراق، واشتق اسمها من الحجارة الصلبة التي تقلع وتقطع حوافر الدواب، وهي أرض نخل، للمزيد انظر: ياقوت: البلدان، ج ١، ص٤٣٠/ الكوفة: مدينة كبرى في العراق اختطها المسلمون بالعراق في سنة(١٤هـ/٦٣٥م)، تقع على نهر الفرات سميت نسبة إلى جبل صغير في وسطها يقال له "كوفان"، وبها ضياع كثيرة ياقوت: البلدان،ج٤، ص٤٨٩؛ الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري(ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، لبنان (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، صفحات، ٥٠١، ٥٠٢.

٢.الغنائم: هي كل ما أصابه المسلمون من عساكر الشرك بالقتال، وتشمل على أربعة أشياء: الأسرى والسبايا والأرض والأموال، أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، المكتبة الازهرية للتراث، تحقيق: عبد الرؤف سعد، (ب ت) ص٥٨؛ أبو سيف، فتحي: نظرات فقهية في النظم الإسلامية، القاهرة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، صفحات٣٢،٣١؛ القيرواني: الرسالة، ج١، ص٨٤.

٣.الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٣٤؛ أبو يعلى: أبو يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، "الأحكام السلطانية"، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة (١٤١٧هـ/ ١٩٦٦م)، ص١٢٨.

٤.ابن حزم: محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، "المحلى بالأثر"، دار الفكر، بيروت، لبنان،ج٨، ص٢٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرع الإسلام عدة وسائل للتخلص من عادة الرق، ومساعدتهم في استرداد حريتهم، وساوى بين السيد وعبده في المأكل والمشرب[١]، والنفقة من مال السيد على عبيده، والعبيد غير المقاتلة فانه تجب نفقتهم من مال سيدهم، وإن أعتقوا جاز أن يفرض لهم عطاءً منفرداً[٢].

وحرم الإسلام على السيد ان يستغل جاريته أو يكرهها على ممارسة البغاء، فأنزل الله عز وجل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بينات منها: " ... ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم"[٣]، فالسيد له أن يتسرى[٤] بأمته ويستمتع بها وذلك ضمن شروط وضعها الإسلام، فلا توطأ الحامل من السبي حتى تضع حملها وغير الحامل حتى تحيض حيضة[٥]، وللسيد الحق في بيعها وتزويجها لشخص آخر بشرط دفع المهر وإشهار النكاح، يستثنى من ذلك أم الولد وهي التي حملت من سيدها وولدت منه، ففي هذه الحالة لا توهب ولا تباع[٦]، كما يدعوا الدين

الحنيف لعدم التفرقة بين من تسترق وأطفالها[٧]، ولم يعارض الإسلام ان يتزوج السيد بأمته، بعد أن يعتقها ويدفع مهرها[٨]، وبذلك تصبح الأمة زوجة عادية لها حقوقها وعليها واجباتها وأبنائها كذلك.

---

١ .قال تعالى في اطعام الأسير: {ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً}، سورة الإنسان اية (٦).

٢.الماوردي: الاحكام السلطانية، صفحات١٢٩، ١٣٠.

٣.سورة النور: آية رقم (٣٣).

٤. فعل مضارع، والتسري هو مصدر تسرى، ويعني اكتساب الجماع وطلبه بأن يتخذ السيد أمته للنكاح؛ عياض: أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ /١١٤٩م)، مشارق الانوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، ودار التراث، ج٢، ص٢١٣ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: عياض، مشارق الانوار؛ أبو حبيب، سعيد: القاموس الفقهي، ص١٧٢.

٥.الماوردي: الاحكام السلطانية، ص ١٣٦.

٦.ابن قدامه: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، "المغني"، تحقيق: طهزيني، القاهرة، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ج١، ص٥٨٠؛ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن قدامة، المغني؛ انظر الملحق رقم (٢) وثيقة ليع جارية وابنها في طنطا من هذه الدراسة، ص٢١٤.

٧.الماوردي: الاحكام السلطانية، ص١٣٤.

٨ . قال تعالى: {ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان}، سورة النساء: آية رقم (٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد وحرم الدين الحنيف عملية الخصاء التي يتعرض لها الخصيان لا إنسانية تقع على الخصي، كما حرم الإسلام المتاجرة بها[١].

وللتضيق على الرق وفتح باب الحرية للرقيق أوجد الإسلام عتق الرقيق(٢)، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم العتق فكاكاً لمعتقهُ من النار لما فيه من تخليص الإنسان المعصوم من ضرر الرِّق ومُلكه نفسَهُ، وتمكينهُ لنفسهُ على حساب اختياره، وبادر الرسول الله صلى الله عليه وسلم، بنفسه بتطبيق ذلك، حيث كان له صفي من كل غنيمة يصطفيه: إما فرس، وإما سيف، وإما جارية.

ففي غزوة بني المصطلق سنة (٦هـ/٦٢٧م) اعتق جويرية[٣] بنت الحارث (ت٥٦هـ/ ٦٧٥م)، وتزوجها وكان صداقها عِتْق كل مملوك من بني المصطلق[٤].

١.ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ج٥، ص٤٠.

٢. العتق في اللغة: هو التحرر وإزالة المِلْك وثبوت الحرية، ويقال: يعتَقُ عِتقاً، عِتاقة وعِتَاقاً، وهو مشتق من قولهم عتق الفرس إذا سيق وعتق الطير إذا طار، وذلك لأن الرِّقيق يتحرر بالعِتق ويذهب حيث يشاء، واصطلاحاً: هو تحرير الرِّقبة وتخليصها من الرِّق ، أنظر: ابن قدامه: "المغني"، ج١٠، ص٣٨٨؛ ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم أبو عمر القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، "الكافي في فقه أهل المدينة"، تحقيق: محمد أحيد، مكتبة الرياض، الطبعة الثانية، الرياض، السعودية، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، باب العتق، ج٢، ص٩٦١ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: القرطبي، الكافي.

٣. جويرية: هي بنت الحارث بن أبي ضراع الخزاعي، من فضليات النساء أدباً وفصاحة، كان أبوها سيد قومه، تزوجها مساع بن صفوان وقتل يوم المريسيع سنة (٥هـ/٦٢٦م)، كان اسمها برة فغيره الرسول صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية، أعتقها الرسول بالمكاتبة وتزوجها؛ للمزيد أنظر: المنذري: مختصر صحيح مسلم،ج٢،ح.١٤٠٥؛ ص٣٧٢؛ المسعودي: نبيه و الإشراف"، تصحيح عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة. مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م). ج٢، ص٢١٥؛ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، ط١١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٦١؛ حسن، إبراهيم حسن: النظم الاسلامية، ص١٠٢.

٤.العمري: ياسين الخطيب العمري بن خير الله (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)،"الروض الفيحاء في تاريخ النساء"، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٨١ أدب ٢٣٦ ورقة، ورقة رقم١٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما اشترى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعتق، فأعتق أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي في حصار الطائف[١] ،كما عمل الصحابة بذلك فاشترى أبو بكر الصديق بلال بن رباح الحبشي[٢] وأعتقه وأنقذه من التعذيب[٣].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباً منهُ من النار، حتى إنه ليعتق اليد باليد والرجل بالرجل والفرج بالفرج"[٤]، وتكون الأفضلية لعتق الرِّقبة الواحدة الأغلى ثمناً لقوله صلى الله عليه وسلم: "أغلاها ثمناً"[٥]، ويعتبر عتق الذكر أفضل من عتق الأنثى، وذلك لأن الرجل يستطيع أن يعمل ويكسب رزقه بيده، بينما قد يؤدي عتق الأنثى لوقوعها بالتهلكة، وعتق امرأتين أفضل من عتق امرأة واحدة أو رجل واحد، وأن كان الرِّقيق ممن يخاف عليه الرجوع إلى دار الحرب وترك إسلامهُ أو يخاف عليه الفساد من قطع الطريق أو سرقه أو غير ذلك كُره عتقه[٦].

---

١. الطائف: مدينة تقع على ظهر جبل غزوان، ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، بها مياه جارية وجل أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش، ياقوت: البلدان، ج٤، ص٩.

٢. رباح الحبشي: هو مولي أبي بكر، وهو من السابقين الذين عذبوا في الله، شهد بدراً، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالتعيين بالجنة، للمزيد انظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١، ص٣٤٧.

٣. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)،" تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة، (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص٣٩؛ البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المزربان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت٣١٧هـ/٩٢٩م)"معجم الصحابة"، تحقيق: محمد الأمين الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،ج١، ص٢٥٩.

٤.البخاري: صحيح البخاري: ج٤، ح، ٢٢٦٣، ص٢٧٩؛ ابن قدامة: المغني،ج١٠، ص٣٨٨.

٥.الإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ/٧٩٥م)، "المدونة"، دار الكتب العلمية، ط١، (١٥١٥هـ/١٩٩٤م)، ج٢، ص٣٣٠، الشافعي: أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب القرشي المكي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، "الأم"، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٠هـ /١٩٩٠م)، ج٢، ص٢٤.وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الشافعي، الام.

٦. ابن قدامه: المغني، ج١٠، ص٤٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن العتق ما هو الموجب، ومنه التطوع وهو ما يوقع المعتق ابتداء بلفظ يوجب العتق دون سبب يقدمهُ، والعتق الموجب هو للتكفير عن الخطايا والآثام التي يرتكبها المسلم في حياته، كالنذر وهو أن يقول الشخص: لله علي أن أعتق رقبة عبدي، أن فعل الله كذا وكذا وما شابه ذلك، فيؤمر بالعتق ولا يجبر عليه[١].

ومن موجبات العتق التي شرعها الإسلام: القتل الخطأ[٢] ، أما القتل العمد ففيه قصاص، ويجب العتق في الحنث باليمين، وللحالف نيته التي أرادها وعقد عليها وإن كانت مخالفة للظاهر، والنية تكون بالقلب دون تحريك اللسان ومن شرطها أن يعقد عليها اليمين[٣]، وأوجب الله تعالى الوفاء به[٤].

ويعتبر الظهار[٥] من موجبات العتق، ويكون أن يقول الرجل لزوجته أنتِ عَلَيَّ كظهر امرأة أجنبية أو أنتِ عَلَيَّ حرام، أو عضواً من أعضائها، وذلك حرام في الإسلام، إستناداً لقوله تعالى: {وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمّهاتكم}[٦]، وعلى المسلم الذي أراد أن يعود إلى زوجته أن يلتزم بكفارة الظهار وهي تحرير رقبة إستناداً لقوله تعالى: {والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير}[٧]، وبذلك لا يجوز لهُ وطء إمرأته حتى يؤدي الكفارة[٨] .

---

١. القيرواني: الرسالة للقيرواني، ج١، ص٨٥؛ ابن رشد: المقدمات والممهدات ،ج٣، ص١٥٥

٢. سورة النساء: آية (٩٢).

٣. ابن رشد: المقدمات والممهدات، ج١، ص٤١١.

٤. {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}، سورة المائدة: آية (١).

٥. الظهار: وهو مشتق من الظَّهر، وخُص الظهر بذلك لأن كل مركوب يسمى ظهراً لحصول الركوب على ظهره، فشبهوا الزوجة بذلك، وكناية عن المجامعة؛ لأنه ركوب للمرأة كما يركب المركوب، واستقبح العرب غيره وذلك حتى لا يطلعوا على العورات وألا تجتمع الوجوه، وكان أحد أنواع الطلاق يرتكبه الأزواج في الجاهلية تعسفاً على سبيل الإغاظة لزوجاتهم؛ ابن رشد: المقدمات الممهدات، ج١، ص٦٠٠؛ عياض: "التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة"، ط١، تحقيق: د. محمد الوثيق، دار بن حزم، بيروت، لبنان، (١٤٣٢هـ /٢٠١ص٨٢٥.

٦.سورة الأحزاب: آية (٤).

٧. سورة المجادلة: آية رقم (٣).

٨. ابن قدامة: المغني، ج٣، ص ١٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون كفارة من أفطر متعمداً تحريرَ رقبةٍ لقوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الأفطار عمداً، فكانت كفارته أعتاق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكيناً[١].

تعتبر المكاتبة[٢]من العتق، وهو أن يتفق الطرفان بموجب عقد بينهما؛ فيؤدي العبد المال لسيده وبموجب ذلك يعتقه، وفي ذلك يقول الله عز وجل: {والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم}[٣] ، ويبقى أيضاً العبد عبداً لسيده حتى يدفع جميع المبلغ المتفق عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "المكاتب عبد ما بقي عليه درهم"[٤] كما جعل الإسلام للرقيق نصيباً من أموال الزكاة لتحريرهم من العبودية وليستعينوا بهذا المال على أداء كتابتهم[٥].

لم يترك الإسلام فرصة من فرص التحرير إلا انتهزها، فأجاز طريقة التدبير، وهي العتق بعد وفاة السيد، فله أن يوصي بعتق مملوكه أو أمته بعد وفاته، وذلك يعرف بـ"التدبير" وهو عقد من عقود الحرية يلزم من التزمه، ويجب على من أوجبه على نفسه لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}(٦) ، والمدبر لا يباع ولا يوهب، ويكون المدبر المطلق أن يقول الرجل في عبده أو جاريته: "هو مدبر أو حر عن دبر مني أو بعد موتي"، فهو عتق أوجبه لعبده على نفسه في حياته إلى أجل آت لا محاله، وأن لا يكون له الرجوع فيه(٧) ، ويكون الفرق بين التدبير والوصية أن التدبير عتق يكون في حياة السيد أوجبهُ على نفسه في حياته إلى أجل آت لا محالة ولا يكون له الرجوع فيه بقول أو فعل، والموصى له بالعتق لم يعقد السيد له عقد في حياته، ولكن يكون العتق لهُ

١.ابن قدامة: الكافي، ج ١، ص٤٤٧؛ ابن عسكر: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، "إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك"، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر،ج١، ص٣٩.

٢.ابن عسكر: المصدر نفسه، ج١، ص١٢٣؛ الشافعي: الام، باب المكاتب، ج٧، ص١٤٣.

٣.سورة النور: آية رقم (٣٣).

٤.ابن قدامه: الكافي، ج٦، ص٤٣٠.

٥ .قال تعالى: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرِقاب والغارمين عليها وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم} سورة التوبة: آية رقم (٦٠).

٦. سورة المائدة: آية رقم (١).

٧. الإمام مالك: المدونة، ج٢، ص٥١٠؛ ابن رشد: المقدمات الممهدات، ج١، ص١٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد وفاته، فهو كمن وكل رجلاً أن يبيع عبده وله أن يرجع في ذلك بما شاء من قول أو فعل ما لم ينفذ الوكيل أمره[١].

أما عتق "الولاء" وهو العون والنصرة، فقد حرصت عليه الشريعة الإسلامية لمعالجة الحالة النفسية والاجتماعية للرق وقبوله بين مجتمع الأحرار بدون أن يسبب لهُ مشاكل إجتماعية، وذلك بوجود من ينصره ويسانده برابطة الولاء وهي العلاقة الشرعية التي تنشأ بين الرِّقيق والسيد الذي أعتقهُ، حيث بين الرسول صلى الله عليه وسلم تلك العلاقة بأنها تقوم مقام علاقة النسب بقوله: " الولاء لحمة كلحمة النسب، لا يباع ولا يوهب"[٢] ، ويترتب عليه إما أن يكون المولى جاراً أو حليفاً أو معتقاً، وكان للرسول الكريم من الموالي الذكور أحد وثلاثون رجل[٣].

جعلت الشريعة الإسلامية أسباباً أخُرى لنيل الحرية كتصريح السيد بلفظ سواء كان جادَّاً أو هازلاً حتى بدون نية العتق، أو إذا كان الرِّقيق مشتركاً، فإذا أعتق السيد جزءاً من عبده أو جاريتهُ، أو إذا

---

١. ابن رشد: المقدمات والممهدات، ج١، ص١٨٩.

٢. الإمام الشافعي: الام،ج٤، ص٨١؛ المزني: أبو إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي (ت٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)، "مختصر المزني في فروع الشافعية"، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٨، ص٤٣٠ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: المزني، مختصر المزني؛ حسن، إبراهيم: تاريخ الحضارة الاسلامية، ص٣٦٨.

٣. الطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، "خلاصة سير سيد البشر"، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار، ط١، مكة، السعودية، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)،ج١، ص١٤٩؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، "الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الخدم والموالي "تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، عمان الأردن، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٢٧؛ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: السخاوي، الفخر المتوالي؛ الخربوطلي، علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص١٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعتق الشريك نصيبه من المملوك، فذلك يوجب على جميع الشركاء العتق على أن يعوضهم الشريك الأول الخسارة في ذلك[1].

نستنتج مما سبق أنه اختلفت معاملة الرِّقيق في الإسلام عن الأمم الأخرى، فكثير من القواعد التي سنها الإسلام تدل على الشعور الإنساني النبيل وما ينبغي أن يكون الرِّقيق عليه، ورغم أن الإسلام لم يلغِ الرِّقيق الذي كان شائعاً في البشرية إلا أنه ساعد في التضييق عليه، ومع ذلك فقد تعرض الرِّقيق لنوع من تدني المعاملة والحط من قيمتهُ.

ولم يسمح لهم بركوب الخيل بل حطت الدولة من مكانتهم وجعلتهم في أحط المراتب الاجتماعية واستعملتهم كجند مشاة في الحرب، فشاركوا بالفتن التي ظهرت كفتنة عبد الرحمن بن الأشعث (ت٨٥هـ/٧٠٤م)[2]، وفتنة يزيد بن المهلب (ت٩٥هـ/٧١٣م)[3].

١.ابن رشد: المقدمات والممهدات،ج٣، ص١٥٦،ص١٦٠؛ الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، "نهاية المطلب في دراية المذهب"، حققه عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، ط١، (١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)،ج٥، ص٥٦.

٢ . هو عبد الرحمن بن محمد الكندي من مواليد الكوفة كان قائداً عسكرياً أموياً من إشراف أهل الكوفة وهو صاحب أعنف الثورات ضد الأمويين، الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٦، صفحات٣٢٦، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٨٩؛ ابن اعثم: أبي محمد أحمد بن اعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/١٩٢٦م)، "كتاب الفتوح "، تحقيق: محمد عبد المعين خان، الطبعة الأولى، حيدر آباد الهند، (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)،ج٧، ص٧٢ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن أعثم، الفتوح؛ حسن حنفي: موسوعة الحضارة العربية٢، دار الفارس للنشر والطباعة، ط١، عمان، الأردن، ١٩٩٥م، ص٤٩٣ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: حسن، موسوعة الحضارة.

٣.هو يزيد بن كبشة بن المهلب الأزدي من القادة ا لشجعان ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة (٨٣هـ/٧٠٢م)،عزله عبدالملك بن مروان وسجنه، استطاع الهروب إلى الشام، عاد واستلم ولاية العراق ثم خراسان وعزل في ولاية عمر بن عبدالعزيز، نشب القتال مع مسلمة بن عبد الملك توفي على أثرها يزيد سنة (١٥٢هـ/٧٢٠م)، للمزيد انظر: ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبي العباس شمس الدين(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)،"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"،٧ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)،ج٢، ص٢٦٤ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن خلكان، وفيات الأعيان؛ الجرجاني: حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (ت٤٢٧هـ /١٠٣٥م)،"تاريخ جرجان"، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، بيروت، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)،ج١، ص٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذلك لسوء المعاملة التي واجهها هؤلاء[1] حتى أنصفهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)[2]، وعاد وضعهم كالسابق بعد موت الخليفة عمر بن عبد العزيز، الأمر الذي أدى بالموالي لإقتناص الفرصة للعمل ضد الدولة والتخلص من دولة العرب (بني أمية) .

اما في العصر العباسي فقد قل الأعتماد على العنصر العربي بحيث تقلد العرب بعض المناصب المختلفة مثل: الولاة، وقادة الجيش وبطانة الخليفة إلا أن الخلفاء العباسيين قاموا بتعيين الموالي في المناصب العالية واعتمدوا عليهم فهم الذين قامت على أكتافهم الدعوة العباسية وثبتوا اركان حكمها، ووصل نفوذ الموالي ذروته في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد وقد انعكس هذا الأمر جلياً في تعيين يحيى بن خالد البرمكي[3] وزير تفويض له فسيطر الموالي على الدولة العباسية حتى أصبحت الخلافة العباسية خلافة عباسية اسمياً وبرمكياً فعلياً، فأختلط الدم العربي الخالص الرفيع الشرف بدم الرِّق الفارسي والتركي والرومي والحبشي وغير ذلك.

---

١. ابن أعثم: الفتوح، ج٨، ص٢١٧؛حتي، فيليب: "تاريخ العرب"، ترجمة د. ادوارد جرجى، د. جبرائيل جبور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م)، ص١٠٣.

٢.عمر بن عبد العزيز: هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي (ت١٠١هـ/٧١٧م)، الخليفة العادل، ثامن الخلفاء الأمويين، أمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب، يقول تاقت نفسي للأمارة ولما بلغتها تاقت نفسي إلى الخلافة ولما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة انظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٥، ص١١٤؛ القرماني: اثار الدول واخبار الاول، ج٢، ص٣٩

٣. يحيى خالد البرمكي: هو أبو الفضل البرمكي الوزير السري الجواد، كان سيد بني برمك وأفضلهم جوداً وحلماً ورأياً، وكان فصيحاً أديباً بليغاً، توفي في الرافقة سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م) ورثاه كثير من الشعراء، للمزيد انظر: ياقوت: معجم الأدباء، ج٢٠، ص٩؛ الزركلي: الاعلام، ج٩، ص١٧٥؛ ابن العبري: غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بأبن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .تاريخ مختصر الدول"، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١٢٩. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. بداية ظهور المماليك في مصر:

إن دراسة تطور اعداد المماليك في مصر، تجذب الانتباه إلى ان ظهورهم على الأراضي المصرية يعود إلى فترة ابعد من تأسيس دولتهم على أراضيها، ويعود استجلابهم والاكثار منهم إلى زمن العصر العباسي الأول وأكثر الخلفاء العباسيين من هؤلاء المماليك الذين كانوا يعتمد عليهم في سلك الجندية والخدمة، فالخليفة المعتصم بالله اسحق بن محمد (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م)[١]، يعتبر من أكثر الخلفاء الذين اعتمد عليهم وبنى لهم مدينة سر من رأى[٢] كمدينة عسكرية مستقلة حتى لا يحتكوا بالأمم الأخرى، وتعتبر بلاد ما وراء النهر[٣] المركز الرئيسي في تصدير المملوك الابيض ذو الاصول التركية، واشتهرت مدن كثيرة في ذلك من اهمها مدينة سمر قند[٤] وأشروسنة[٥] والشاش وخوارزم[٦].

وكان اختيار الخليفة المعتصم بالله للمملوك الأبيض يعود لعدد من الأسباب منها: لما يتمتع المملوك التركي من صفات قتالية توفرت فيه كالشجاعة والاقدام والذكاء وغير ذلك من الصفات التي اهلته

---

١. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص٥٦.

٢. سر من رأى: بفتح السين المهملة وسكون الألف والميم في أخرها راء مهملة وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع، تقع على ساحل نهر دجلة من الشرق، بناها الخليفة المعتصم وأضاف إليها الخليفة الواثق المدينة الهارونية، والخليفة المتوكل المدينة الجعفرية فعظم قدرها؛ للمزيد انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٢٢؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٧٤.

٣. بلاد ما وراء النهر: وهي يراد بها المنطقة وراء نهر جيحون وهي من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً تشتمل على مدائن وقرى ومزارع عامرة؛ انظر: القرماني: اثار الدول واخبار الاول، ج٣، ص٤٨٦.

٤. سمر قند: فتحها قتيبة بن مسلم الباهي أيام الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٥م)، وصالح دهاقينها وملوكها، كان يحيطها سور عظيم من تراب أنهدم وبناه هارون الرشيد، للمزيد انظر: اليعقوبي: البلدان، ص١٢٤؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٤٠٩.

٥. خوارزم: هي بلدة كبيرة تقع في بلاد ما وراء النهر من بلاد الهياطلة تقع بين سيحون وسمرقند، وبينها وبين سمر قند مسافة ستة وعشرون فرسخاً، والغالب عليها الجبال ومن مدنها بلسان وبنجيكت وينسب إليها أبو طلحة حكيم بن نصر بن خالج بن جند بك، للمزيد انظر: ياقوت: البلدان، ج١، ص١٩٧.

٦. تقع خوارزم في بلاد تركستان الغربية، شرق بحر "آرال" وتشتمل على مصب نهر جيحون وبحيرة" آرال"، وتقع على مفترق طرق إلى بلاد خراسان جنوباً واقليم ما وراء النهر شرقاً، ومن أشهر مدنها مدينة كاث ومدينة هزار ومدينة كركانة، للمزيد انظر: المهلبي: الحسن بن أحمد المهلبي(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، المسالك والممالك، تحقيق: جمعة وتيسير خلف، (ب ت)، ص١٦٠؛ القرماني: اثار الاول واخبار الدول، ج٣، ص٣٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للوصول إلى درجة الاحترافية في القتال[1]، ويعتبر عنصر النسب من الأمور التي ساعدت على ذلك فأم المعتصم "مراجل" هي تركية الاصل[2]، والتعصب العربي والنعرات والثورات ضد الخلافة كان لها دور في تطلع المعتصم إلى مورد جديد بعيدًا عن العنصر العربي الذي أصبح مصدر قلق للخلافة بكثرة ثوراته والاضطرابات التي احدثها ضد الخلافة العباسية، ولم يعتمد المعتصم على الفرس لسوء علاقتهم مع العرب، فاجتمع لدى المعتصم ما يقارب ثلاثة آلاف من المماليك زمن الخليفة المأمون[3].

وعندما تولي الخلافة المعتصم سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م(٤)، أستكثر من جلب المماليك الأتراك، وعمل على بناء مدينة "سر من رأى" خاصة بهم وانشاء لهم الاسواق وكل ما يعينهم على الحياة اليومية حتى لا يختلطوا بالناس، فلتلك الاسباب آثر المعتصم المماليك الاتراك على غيرهم حتى بلغ عددهم ما يقارب ثمانية عشر الف مملوك، وقربهم إليه وأصبح منهم قادة الجيش وأمراءه وكبار رجالات الدولة ومنحهم النفوذ الواسع والمطلق في شؤون الدولة[5].

فأخذ ينمو الوجود التركي في السلطة حتى أصبحوا يتدخلون في شؤون الخلافة واصبحوا المتنفذين في امور الدولة وسياستها وظهرت فعلية بيد الأتراك وصورية للخليفة وظهر ذلك واضحًا في زمن ضعف الخلفاء العباسيين (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م) ، فكاد المماليك للخليفة واشعلوا الاضطرابات حتى أستطاعوا من التدخل في شؤون الدولة فيعينون من يريدون ويعزلون من يريدون من الخلفاء، وعملوا على تكوين الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية.

---

[1].الجاحظ: الرسائل، ج٣، ص٢٠٧؛ القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤٧٦م)، "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، دار الكتب العلمية، دار الكتب المصرية (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، ج٤، ص٤٥٨ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: القلقشندي، صبح الأعشى.

[2]. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٣٦٠؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص٣٠٥.

[3]. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص٥٣.

[4].ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج٦، ص٤٤٦.

٥. اليعقوبي: البلدان، صفحات، ٤٢، ٥٩؛ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر، المشهور بالبلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، "فتوح البلدان"، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ص٢٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعود الاكثار من استخدام المماليك في البلاد المصرية إلى عهد الخليفة العباسي أبو العباس أحمد المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٨٩م)[١]، عندما عين أحمد بن طولون التركي الأصل واليًا على الديار المصرية سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م، ويبقى تابعاً لمركز الخلافة العباسية ادارياً وعسكريًا[٢].

على الرغم من ثقة الخليفة بأحمد بن طولون إلا أنه عزم على الاستقلال عن الخليفة ودعم هذا الاستقلال بالإكثار من بني جنسه من الاتراك المماليك حتى بلغ عدد مماليكه ما يقارب أربعة وعشرون ألف غلام[٣]. واستطاع أحمد بن طولون من الاستقلال الاداري والعسكري عن الخلافة العباسية، وعمل على تسليم المماليك المناصب الادارية فكان منهم الولاة ورياسة الجيش، وغير ذلك[٤].

خلف الدولة الطولونية الدولة الاخشيدية[٥] (٣٢٤-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٨م) في حكم الديار المصرية، حيث أستمر الاعتماد عليهم كجنود من المماليك، وأكثر مؤسس الدولة الاخشيدية المملوكي "محمد بن طغج الاخشيدي" من شرائهم وبلغ عدد مماليكه ما يقارب ثمانية الآف مملوك من الترك والديلم[٦]، وكان يحرسه منهم ما يقارب ألف مملوك عندما يذهب إلى النوم[٧].

---

١. هو أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن العباس ولي الخلافة بعد قتل المهدي، وكان اسمر رقيق اللون خفيف اللحية جميلاً، للمزيد أنظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٤١.

٢. ابن أياس: بدائع الزهور، ج١، ص١٦٢.

٣. المقريزي: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"،٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(١٤١٨/م)، ج١، ص١٦٧.

٤. اليعقوبي: البلدان، ص٢٣.

٥.ينتسب الاخشيديون إلى "الاخشيد" وهو لقب فارسي يعني ملك الملوك، أطلقه الخليفة العباسي أبو العباس محمد الراضي بالله لأبي بكر محمد بن طغج سنة (٣٢٧هـ/٩٣٩ م)، والذي كان بطلاً شجاعا حازماً يقضا، الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٦٦.

٦.الديلم:

٧.ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م)، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، القاهرة، (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج٣، ص٢٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعتمد عليهم زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، ولكن بحدود أضيق من ذي قبل، واستمروا في تلك الحدود حتى عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب (٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)[١]، حيث أعتمد على عدة عناصر من المماليك، كما استخدمهم الخليفة الفاطمي ابو منصور نزار العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)[٢]، وجعل وظائف الدولة وقياداتها من الترك وفضلهم على غيرهم من الاجناس الأخرى، فولى الاتراك على قيادة الجيش ونصب اغلبهم على ولايات مصر وبلاد الشام[٣].

في عهد ابو علي المنصور الحاكم بأمر الله الفاطمي ٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م تراجع نفوذ المماليك الاتراك وارتفع عنده نفوذ الزنج، وبدا يظهر نشاط المماليك مرة اخرى في عهد ابو الحسن الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م وجعل قيادة الجيش في يد منصور "أنوشكتين" التركي الأصل، ويعتبر الفاطميون هم اول من اوجد نظام تربية المماليك الصغار في مصر[٤].

خلف الايوبيين الفاطميون في حكم الديار المصرية الأيوبيين، حيث أعتمد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (٦٠٣-٦٤٧هـ/١٠٢٦-١٢٤٩م)[٥]، على المماليك اعتمادًا كبيرًا في حروبه ضد الصليبيين[٦].

١.ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٥، ص٨٤.

٢. الذهبي: سير اعلام النبلاء،ج١٥، ص١٦٨.

٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١١٧.

٤. العبادي: أحمد مختار، قيام دولة المماليك الاولى في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، صفحات٧٣، ٧٤ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: العبادي، قيام دولة المماليك.

٥. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ص٢٢٣،.

٦. المقدسي: ابو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ج١، ص١٥٥ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكل المماليك العدد الأكبر في جيش اسد الدين شركوه، والذي وقف لجانب الخليفة العباسي وهب لنجدة أخر الخلفاء الفاطميين ابو احمد عبد الله العاضد لدين الله ٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م من العدو الصليبي، واطلق على هؤلاء لفظ "المماليك الأسدية"، نسبه إلى قائدهم أسد الدين شركوه(١)، وبعد وفاة أسد الدين شركوه أصبح المماليك ولائهم إلى ابن أخيه صلاح الدين وساعدوه في الوصول حتى تمكنوا من توليته منصب الوزارة في مصر سنة ٥٦٤هـ(٢)، وعمل صلاح الدين على الاستزادة من المماليك ليعمل على تكوين جيش له، عماده من المماليك الاسدية والمماليك الصالحية الذين اشتراهم لنفسه وعرفوا أيضًا بالناصرية، كما اشترى ابن اخيه العادل أبي بكر عدد من المماليك سماهم بـ"العادلية"[٣].

شاركت كلاً من المماليك الأسدية والناصرية والعادلية المعارك التي خاضها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين لطردهم من الديار المصرية، وكما ازداد اعداد المماليك بعد وفاة صلاح الدين الايوبي، ويعود ذلك إلى الصراع الحاصل بين ورثته ابناءه وإخوانه الذين عملوا على تقاسم الإرث الايوبي، واعتمد هؤلاء على المماليك في صراعهم حتى اصبح يتدخلون في تعيين وخلع الأمراء والسلطان[٤].

---

١. أسد الدين شركوه: قائد عسكري في الدولة الزنكية وهو عم صلاح الدي ساهم في انجازاته العسكرية في تأسيس الدولة الأيوبية؛ الابن الاثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ١١ج تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٩، ص١٠٢.

٢. المقدسي: الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ص١٥٥.

٣. عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص١٦٥ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك.

٤. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ص٢٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول
موارد جلب المماليك في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

أولاً: سيطرة المماليك على الحكم مصر.

ثانياً: موارد جلب المماليك: الحروب، الخطف، الإهداء، البيع، المواليد.

ثالثاً: القواعد المتبعة في تربية وتعليم المماليك (الغلمان).

رابعًا: فرق المماليـــك.

خامساً: وظائف المماليك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

موارد جلب المماليك في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

أولا : سيطرة المماليك على الحكم في مصر:

بعد وفاة الملك الكامل ناصر الدين محمد الايوبي سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٨م)، برز ظهور المماليك، حيث خلفه على سدة الحكم ابنه الاصغر سنًا سيف الدين ابو بكر، فعارض المماليك ذلك وتأمروا على خلعه سنة ٦٣٧هـ/١٢٤٠م[١]، واستطاع المماليك الكاملية (الذين ينسبون إلى الملك الكامل) من عزله وتنصيب بدلًا منه نجم الدين ايوب بن محمد سنة (٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٥٠م) وتلقب بالملك الصالح[٢].

يعتبر تنصيب الملك الصالح أول حادثة سياسية يتحكم فيها المماليك في خلع وتنصيب السلطان واصبح المماليك الكفة الراجحة في المحافظة على بقاء او ازاحة السلطان وهذا أدى إلى تضخم دورهم السياسي، وأدرك الملك الصالح ذلك، مما جعله يدرك أهميتهم لاستمراره في الحكم، فعمل على الاكثار من شراء المماليك والاعتماد عليهم وجعل منهم بطانتهُ الخاصة وحراسه[٣].

ونتيجة هذا التضخم على المجال السياسي، اتسع نفوذ المماليك عند الملك الصالح فاستغلوه اسواء استغلال فأخذوا يضايقون الناس ويعملون على تخريب ممتلكاتهم، وادى ذلك إلى ظهور شكوى الناس منهم، فعمل الملك الصالح على أبعادهم عن الناس، فاختار جزيرة الروضة لهم الواقعة على نهر النيل لتكون مقرًا لهم وكذلك لعرشه، وبنى لهم قلعة خاصة اسكنهم فيها، فعرفوا بالمماليك البحرية الصالحية[٤].

---

١. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، صفحات ٢٩٥، ٢٩٦

٢. هو ابو الفتوح بن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السلطان العادل سيف الدين أبي بكر، وامه أم ولد جارية سوداء أسمها "وردى المنى"، للمزيد أنظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٨٧؛ المقريزي: السلوك، ج١، صفحات١٤٦-١٤٧؛ ابن اياس: بدائع الزهور، صفحات٢٦٩، ٢٧٠؛ عاشور: العصر المماليكي، ص١٦٦.

٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٧٣.

٤. الشيال، جمال الدين، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٦م، ج٢، ص٩٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب تعرضت الديار المصرية سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى الغزو الصليبي بقيادة ملك فرنسا (لويس التاسع)، حيث استطاع الصليبيون من احتلال مدينة دمياط بسهولة، بعد تدمير حاميتها وهروب اهلها منها، ولسوء حض المسلمين في تلك الفترة مرض الملك الصالح ايوب بمرض اصابه أدى إلى وفاته، ولذكاء وحنكة زوجته "شجرة الدر"[١] عملت على اخفاء خبر وفاته خشية منها ان تضطرب أحوال المسلمين، وفي تلك الحظة أرسلت رسلها إلى "توران شاه" ابن زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب للقدوم إليها وهو حين ذاك في حصن كيفيا ليتولى امر الحكم بعد ابيه[٢].

على الرغم من كل الاحتياطات التي عملت بها "شجرة الدر" إلا ان الصليبيين علموا بخبر وفاة الملك الصالح، فاستغلوا الاضطراب السياسي للمسلمين وعملوا بالضرب من الحديد على المسلمين فاتجهوا إلى المنصورة، وهنا برز دور المماليك في عملهم القتالي بقيادة القائد العام للجيش "أقطاي الجمدار"[٣]، كما عمل قادتهم على وضع الخطط الحربية، فقد وضع زعيم المماليك الظاهر بيبرس البنقداري خطة عسكرية رصينة خدمت جيش المسلمين كثيرًا في الانتصار على الصليبيين، وفي تلك الأثناء ووقت التحضيرات للمعركة وصل "توران شاه" وتسلم مقاليد الحكم، واعد خطة اخرى واستطاع جيش المسلمين من الانتصار على الصليبيين واسر الملك لويس التاسع على يد المماليك وبذلك يعود الفضل لهم في دحر الصليبيين عن الديار المصرية[٤].

على الرغم من هذا النصر الذي أحرزه مماليك الكاملية، إلا ان توران شاه لم يقدر هذا النصر، بل عمل على اسناد الوظائف إلى مماليكه الخاصة الذين قدم بهم من حصن كيفيا، ولعل جهله بالأمور السياسية، وانصرافه للفساد، وما اتصف به من سوء الخلق والمعاملة جعل مماليك أبيه يخرجوا

---

[١] .شجرة الدر: كانت جارية اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، واعتقها وتزوج بها وحظيت عنده بمكانة عالية، توفيت سنة ١٢٥٧م؛ للمزيد أنظر: ابن خلكان: الوافي بالوفيات، ج٥، ص٩.

[٢] .قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات الانسانية والاجتماعية القاهرة، مصر (٢٠٠٧م)، ص١٩. وسيشار غليه فيما بعد هكذا: قاسم، عصر سلاطين المماليك.

[٣] .اقطاي الجمدار: هو فارس الدين أقطاي الجمدار النجمي الصالحي، كان مملوكاً تركي الاصل أشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب فجعله جمدار أي من يشرف على لباسه فعرف بهذا اللقب، ثم تدرج بالمناصب العسكرية حتى قاد الجيش المملوكي ودافع عن مدينة المنصورة وأستبسل في ذلك توفي سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٨٤.

[٤] . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، صفحات٣٦٢-٣٦٤؛ عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، ص١٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه، فأخذ "توران شاه" يهددهم ويتوعدهم، وعمل على تجريدهم من المناصب السياسية، وأعتقل العدد الكثير منهم[١]، كما انه تجاوز حداً كبيراً في مضايقته لزوجة أبيه "شجرة الدر" التي حفظت له ملكه وصانته في اصعب الظروف، فخونها على مال ابيه واتهمها بإخفاء ذلك المال، وطلب منها اعادة ذلك المال وهددها ان لم تفعل، وفي تلك الظروف لم تجد شجرة الدر اقرب من مماليك زوجها واستاذهم[٢].

لهذه الاجراءات غير سليمة من قبل "توران شاه" كأنكار الجميل لشجرة الدر ومحاولة مماليكه الانفراد بأمور السلطة وابعاد المماليك الكاملية عن الأمور السياسية، أدرك المماليك البحرية سوء ما يكنه لهم توران شاه فعملوا على التخطيط للقيام بعدد من المؤامرات الكيدية والاستباقية للتخلص من توران شاه وايقاف شره[٣].

خططت تلك المؤامرات بقيادة مجموعة من قادة المماليك الكاملية، وكان على رائسهم كلاً من الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، وبيبرس البندقداري، والصالح قلاوون، وايبك التركماني[٤]، وكانت تلك الاحداث في سنة ٦٤٨هـ /١٢٥٠م، عندما كان "توران شاه" يحتفل بالنصر مع مماليكه في "فارسكور" الذي حققه جيش المسلمين على الصليبيين، وبدأ الظاهر بيبرس بالدخول على خيمته وضربه بالسيف ضربة قطع بها اصابع "توران شاه" وهرب توران شاه ولجأ إلى برج خشبي، وتبعه مماليك الكاملية وأحرقوه، وقيل انه رمى بنفسه في النيل فمات، وبموته سقطت الدولة الأيوبية وقامت دولة المماليك في البلاد المصرية[٥].

---

١. المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٥٨.

٢.ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٧٢.

٣. المقريزي: السلوك، ج١، صفحات٣٥٨-٣٥٩.

٤.أيبك: لفظ تركي مركب من لفظين: أي بمعنى القمر، وبك بمعنى الأمير، وهو أسم لشخص تولى مرتبة أتابك العسكر أي أبو العسكر وهو أمير الجند، للمزيد أنظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص٢٧. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: دهمان، معجم.

٥. المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢.قيام دولة المماليك في البلاد المصرية.

يقسم المؤرخون الدولة المملوكية إلى دولتين هما: الدولة المملوكية البحرية والدولة المملوكية البرجية، حيث حكمت دولة المماليك البحرية منذ سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وكان يشكل أكثريتهم من الترك والمغول[١].

وحكم سلاطين دولة المماليك الجراكسة من سنة٧٨٤هـ/١٣٨٢م ولغاية سنة٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، ويعتمد في دولتهم على الجركس وهم أربعة قبائل: الجركس أو سركس، والأركس، والآص، والكسا[٢]، وكان يسكن الجركس في منطقة شمال غرب بلاد القوقاز وفي القسم الشرقي للبحر الأسود[٣]، وتميز عنصر الجراكسة بانخفاض ثمنه بالمقارنة مع غيره من اجناس المماليك المختلفة، ووفرة اعداده في الأسواق[٤].

يعود الأصل بسلاطين الدولة البرجية إلى العنصر الجركسي باستثناء أثنيتن منهما من الأصل اليوناني هما: خشقدم وتمربغا، وتعاقب على حكم دولة سلاطين المماليك البرجية ثلاث وعشرون سلطانًا[٥].

---

١. المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٦١؛ طقوس، محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، (١٤٣٦هـ /٢٠١٥م)، ص٣٢.

٢. النويري: أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق فوزي الغتل، ج٢٧، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص٢٤٧. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: النويري، نهاية الارب.

٣. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان، تحقيق ابراهيم الأنباري، ط٢، مطبعة دار السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٨٣. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: القلقشندي، قلائد الجمان.

٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ص٢٩٩.

٥. انظر الملحق رقم (١) اسماء سلاطين دولة المماليك البرجية ص١١٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: موارد جلب المماليك:

شهد عصر سلاطين المماليك ازدياد في إعداد المماليك وتم جلب أغلبهم عن طريق التجارة[١]، وزاد الطلب عليهم لكثرة الحروب والاعتماد الرئيس عليهم كقوة بشرية في الجيش المملوكي والذي يدخل فيه المملوك الطباق ويحسنوا اعداده العسكري والديني حتى يتم تخريجه بمراسم احتفاليه، وبعد تخرج الفوج يؤتى بفوج آخر وهكذا[٢].

فاحتلت تجارة المماليك مركزًا هاماً في النشاط التجاري في العصور الوسطى، وحظيت بأهمية بالغة لدى سلاطين المماليك والحكام الذين عملوا على تشجيع تلك التجارة بكل الوسائل وشجعوا تجارها لجلب المملوك إلى بلادهم[٣].

تنوعت مصادر حصول سلاطين المماليك على المماليك، فغالبية المماليك يصل إلى التجار الذين اختصوا بتجارة المماليك يصل إليهم ثم يجلبونه إلى البلاد المصرية، والقليل منهم يصل عن طريق الهدايا تقدم للسلطان من الأمراء وكبار رجالات الدولة، وسيتم التطرق إلى الموارد التي يتم الحصول بها على المماليك:

١. رقيق الحرب (الأسر):

معنى "الأسر" في اللغة الحبس والشد والأخذ والخلق[٤]، والأسرى هم الرجال المحاربون الذين يقعون في قبضة عدوهم أحياء غير السبايا، والسبايا هم غير المحاربين من النساء والصبيان وقد ظفر بهم العدو أحياء، ونص القرآن الكريم واضح بحكم الأسرى بقوله تعالى: {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرِّقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها}[٥].

---

١ .ابن تغري بدي: النجوم الزاهرة، ج١٢ن صفحات١٠٧، ١٠٨.

٢. العيني: عقد الزمان، ج٣، ص٢٤٦؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٤؛ نفسه، السلوك، ج١، صفحات ١٤٦-١٤٧؛ ابن حجر العسقلاني: ابناء الغمر، ج٤، ص٥٠.

٣. المقريزي: الخطط، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٣.

٤.ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص١٩؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج١، ص٣٤٣.

٥.سورة محمد: آية رقم (٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعتبر الأسر المصدر الرئيس للاسترقاق، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده أن لا يكون السبي على أهل الصلح، ولا رق، وأنهم أحرار[١] ، وصالح الرسول صلى الله عليه وسلم أهل نجران[٢]، وفي معركة بدر سنة (٢هـ/٦٢٣م)، هُزم المشركون ووقع كثير منهم في الأسر، ولم يكن في ذلك نص من وحي، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابهُ فيما يفعل بأسرى المشركين، ففداهم رسول الله وكان ذلك رأي أبي بكر، فنزل قوله تعالى:{ ما كان لنبي أن يكونَ لهُ أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا واللهُ يريد الآخرة واللهُ عزيزٌ حكيمٌ}[٣]. فلا يوجد نص صريح في القرآن يفيد الاسترقاق، فالأساس هو قتل المشرك، فأتخذ رأي عمر ابن الخطاب[٤]، فأنزل الله تعالى حكمهُ وهو وجوب قتل المقاتل الكافر أو المن عليه بالعتق أو الفداء[٥].

١.ابن زنجويه: حميد بن مخلد ابن زنجويه (ت١٨٠هـ/٢٥١هـ/٧٩٦-٨٦٥م)، كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، الرياض، السعودية، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، باب الحكم على رقاب أهل الصلح، ج٢،ص ٤٣٩ وما تلاها؛ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن زنجويه، الاموال؛ الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)."مختار الصحاح"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ص٣٠٥.

٢. نجران: بالفتح ثم السكون وآخره نون، ونجر الخشبة أي نحتها وصانعه نجار ونجران هي من مخاليف اليمن من ناحية مكة سميت بنجران نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب لأنه عمرها. للمزيد انظر: ياقوت: البلدان، ج٥، ص٢٦٦.

٣. سورة الأنفال: الآية رقم (٦٧).

٤.أبو الفداء: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢ م)،"تفسير ابن كثير"، أختصره أحمد محمد شاكر، محمد نسيب الرفاعي، تحقيق: د. حكمت بن بشر بن ياسين وسامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٢ ، ص ٣٢٥. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابو الفداء، تفسير.

٥.سورة محمد: آية رقم(٤)؛ الشحود، علي بن نايف: الخلاصة في أحكام الأسرى، ط٢،السعودية (١٤٣٣هـ /٢٠١٢م)،ج١، ص١٨. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الشحود، احكام الاسرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعتبر غنيمة سرية عبد الله بن جحش (ت٣هـ/٦٢٤م)[١] أول غنيمة في الإسلام، حيث أرسلهُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم بسرية تتكون من ٨ رجال إلى نخلةِ وهي مكان بين مكة والطائف[٢] يترصدُ أخبار قريش، فالتقوا بعير قريش[٣]، فأسر المسلمون كلًّا من عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وفداهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأسرى المسلمين[٤].

وضح الإسلام حال الرقيق من المسلمين إذا كان مع العدو سواء رقيق أو دواب فأخذه المسلمين في غنائمهم، فإن وجده صاحبهُ قبل القسمة أخذه بغير قيمة، وإن وجده بعد القسمة أخذه من الذي صار بسهمه بقيمته، ولا يجوز في السبي وطء جارية منه حتى تقسم الغنيمة وتستبرئ من حيضها[٥].

في عصر سلاطين المماليك كانوا يوجهون بالحملات التأديبية إلى صعيد مصر على شكل فترات متقطعة، عندما يلاحظ عليهم الخروج عن النظام والاضرار بسمعة الدولة والاعتداء على الاهالي والاخلال بالأمن، فكانت تلك الحملات تقتل منهم العدد الكبير ويعودون بنسائهم وأولادهم رقيقًا[٦]، ويشير ابن اياس بأنه توجه الأمير "أقبردى الدوادار" إلى الوجه القبلي وانتصر على العرب الأحامدة وقتل منهم العدد الكبير من الرجال وأسر نسائهم وأولادهم، وأمر ببيعهم في مصر كما يباع الرقيق[٧].

---

١. صحابي من السابقين في الإسلام ومن المهاجرين، هاجر إلى الحبشة ثم إلى يثرب شارك في غزوة بدر وأستشهد في معركة أحد، انظر: ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٢، ص٤١٠.

٢.ابن خياط: خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، "تاريخ خليفة بن خياط"، تحقيق: د. اكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط٢، دمشق، بيروت، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)،ج١، ص٦٣؛ وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن خياط، تاريخ. الأصبهاني: أبو القاسم، عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده العبدي الأصبهاني (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، "المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة"، ٣ج، تحقيق: د. عامر حسن صبري التميمي، إدارة الشؤون الدينية، البحرين، ج١، ص١٧٢.

٣. المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٢٠٣.

٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤١١.

٥.أبو يوسف: الخراج، صفحات، ٢٠٠، ٢٠٦.

٦.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٠.

٧.ابن أياس: بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٣، ص٢٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطـــف:

انتشر في بلاد السودان والتي تعتبر الأكثر فقراً والاقل أمناً، ويتمثل في خطف الأطفال وهم أطفالًا صغارًا، فكان يخطف الأطفال السود في المساء ويتم بيعهم في أسواق النخاسة، ففي الحبشة كانوا يسرقون أبناء بعضهم البعض ويتم جلبهم إلى البلاد المصرية وبعد مرور الزمن ينسى هؤلاء ابائهم وابنائهم[١].

كان يتم سرقة الأطفال في بلاد السودان كزغاوة[٢] وبيعهم إلى التجار فينقلوهم إلى مصر، وكان سكان صحراء جنوب فزان يحصلون عليهم عن طريق القيام بغزو مجاوريهم ويقومون بخطف صغارهم ويسيرون بيهم في الليل ليصلوا إلى بلادهم وأثناء الطريق يخفوهم ثم يبيعونهم للتجار القادمين إليهم بثمن بخس ويباع منهم اعداد كثيرة، وغالبًا يقومون بغزوهم ليلاً وتكون عملية الخطف حيث يتوجه الخاطفون إلى هذه المناطق وينتظرون خروج الأطفال الفقراء فيرمون لهم التمر، ويتم الامساك بهم ومن ثم يجلبوهم إلى الديار المصرية مكبلين بالسلاسل والقيود[٣].

---

١. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٦١، وأنظر:

Kunzinger: Upper Egypt: Its People and its Products, London, ١٨٧٨, pp.٣٥-٣٧.

٢. بفتح أوله وفتح الواو بلد في جنوب إفريقيا بالمغرب، وقيل قبيلة من جنوب السودان والنسب إليهم زغاوي للمزيد انظر: ياقوت: البلدان،ج٣، ص١٤٢.

٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٦١، ص١١٠؛ وكذلك:

- Klunzinger: Upper Egypt: Its People And Its Products, London,١٨٧٨, pp٣٥-٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتعرض كثير من المدن لعمليات الخطف التي يشنها السلابة والخاطفون[١] كمدينة وانزميرن[٢]، سلى، وتكرور، وغانة، ولملم[٣].

ويتم جلب هؤلاء عن طريق نهر النيل في مراكب كبيرة ويتجهون بهم إلى أسوان[٤] حيث كانت اسوان تعتمد على الرقيق المخطوف بنسب عالية[١]، وفي طريق جلب هؤلاء يموت العدد الكبير من الأطفال نتيجة الحر والجوع ونتيجة تكدسهم في المراكب فلا ينجوا منهم إلا الأقوياء[٢].

١.ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظهر بن الوردي البكري القرشي المعري (ت٨٥٢هـ /١٤٤٧م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م) ، ج١، ص١٣٥؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤٢٧، ص٥١١.

٢. البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، "المسالك والممالك"،٢ج، دار الغرب الإسلامي (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج٢، ص٨٤٧.

٣.الإدريسي: نزهة المشتاق،ج١، ص١١٠/ سلى: تقع على ضفاف النيل من بلاد السودان، أهلها مسلمون، اشتهروا بتربية البقر للمزيد انظر: البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٦٢، ص٨٦٨، ص٨٦٩؛ مؤلف مجهول ت(ق٦هـ):"الاستبصار في عجائب الأمصار"، ج١، ص٢١٧ /تكرور: مدينة عظيمة في بلاد السودان لا سور لها وأهلها مسلمون وكفار، تنسب إلى قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه ما يكونوا بالزنوج؛ القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، ج١، ص٢٦؛ القرماني: اثار الدول واخبار الاول، ج٣، ص٤٣١/غانة: من بلاد السودان بينها وبين قرطبة مسيرة خمسة أيام أشتهر أهلها بلباس جلود النمور، طعامهم الذرة واللوبيا، ابن الفقيه: البلدان، ص١٣٨/ لملم: هي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها تقع على تل أحمر منيع الجانب، وشربهم من عين تسمى "خرارة" للمزيد انظر: البكري: "معجم ما أستعجم من اسماء البلاد والمواضع"، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ج١، ص١٨٧، الإدريسي: " نزهة المشتاق في ج١، صفحات ٢٢، ٢٦.

٤ . أسوان: مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل الشرقي، ولم يكن مكانها في العصور الوسطى مكانها الحالي بل كانت تشغل الجنوب الغربي من محلها الآن تقع على ربوة؛ أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٩١؛ محمود أحمد الحويري: أسوان في العصور الوسطى، مطبعة القاهرة الجديدة، مصر، ص٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــداء:

من الهدايا التي ظهرت في عصر سلاطين دولة المماليك، ما يقدم من الاقاليم والولايات إلى السلطان كهدية المهادنة والتقرب والولاء والطاعة لنيل رضى السلطان ومن تلك: هدية نائب بلاد الشام الأمير "بيدمر" للسلطان برقوق سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٤م والتي تتضمن مجموعة من المماليك فائقين الجمال[٣]، كما أهدى الأمير تنم الحسني نائب بلاد الشام سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م، إلى السلطان برقوق هدية تضمنت عشرة مماليك وعشرة من الجواري (الجراكسة) الحسان[٤].

من الهدايا كذلك ما كان يقدم من الأمراء للسلطان، ومن تلك تقربًا منه كهدية الأمير تغري بن بردي اليشبغاوي للسلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م والتي احتوت على عدد من المماليك قدر بعشرين

---

١. كرد علي: محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي (ت١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)،"خطط الشام"، مكتبة النوري، ط٣، دمشق، سوريا، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٦، ص٢٥٤. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: كرد، خطط الشام.

٢. أنظر: Ibid, Combes, Ed, voyage En Egypt En Nubie paris,١٨٤٦, Tom. ١, pp.١٠١

٣. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٩٥.

٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٦٤؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤٨٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مملوك، وخمسة من الطواشية (الخصيان)[١] وكان من بينهم الأمير خشقدم اليشبكي[٢]، والذي وصل سدة جكم السلطنة سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م.

ونستطيع القول بانه يعتبر الإهداء من الموارد التي أبقى عليها الإسلام، وانتشرت هدية المماليك والجواري والتي تعّبر عن ذوق صاحبها، وتعبر عن الولاء والطاعة لمركز السلطة.

البيـــع:

يعتبر البيع من انشط موارد الرقيق في عصر سلاطين دولة المماليك الثانية، وعلى الرغم من أن الشريعة الإسلامية حرمت بيع الأحرار، حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قوله: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمهُ خصمته،... منهم رجل باع حرًّا فأكل ثمنه"[٣]، وساعد حث الشريعة الإسلامية على عتق الرِّق في ازدهار تجارته والبحث عنه وشرائه، ومن ثم عتقه تنفيذاً لأوامر الشريعة الإسلامية[٤]، إلا انهُ حرصت دولة سلاطين المماليك على تنشيط حركة تجارة المماليك، ولعل ذلك يعود إلى عدة اسباب نذكر منها: حاجة دولة سلاطين المماليك إلى العناصر الجديدة لاستخدامهم في الجيش خاصة مع ظهور الغارات الخوارزمية وغزو "تيمورلنك" لشمال القوقاز وهي احد المصادر الرئيسية لجلب المماليك[٥]، وانتشار الاوبئة والامراض التي

---

١. الخصية واحدة، وتثنيتها خصيان بغير تاء، وقد جاء خصيتان، وخصاه أي نزع قضيبه، والمفعول هو خصي والجمع خصيان، تعتبر عملية الخصاء عادة دخيلة على المجتمع الإسلامي، وهي عملية قاسية ووحشية بعيدة كل البعد عن الإنسانية، لما يترتب على ذلك من مضار بدنية ونفسية تؤثر على سلوك الخصي، رغم درها المال الوافر على تجار الرِّق، المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، ج١، ص١٤٧؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، صفحات ٨٣، ٢٤٢؛ التونسي: محمد بن عمر، تشحيذ الأذهان في ذكر بلاد العرب والسودان، تحقيق: د. خليل محمود، القاهرة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص١٤٣.

٢.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٧٥.

٣. السوطي: الجامع الصغير، ص٢١١.،ج١، ص٨٦.

٤. ابن رشد: المقدمات والممهدات، ج٢، صفحات، ٦٢، ١٦٣.

٥. حسن، علي ابراهيم، تاريخ المماليك البحرية، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شهدتها البلاد مما فتك بالعداد الكبيرة من الفقراء الذين فضلوا بيع ابنائهم على تركهم للموت[١]، فعندما كان يحل الوباء والأمراض والمحن في أرض الصعيد في مصر، يلجأ أهل الصعيد لبيع أبنائهم من شدة الجوع بأبخس الأثمان، فيصبحون أرقاء مملوكين[٢].

كما كان الآباء الفقراء يبيعون بناتهم خشية الجوع والفقر للأغنياء مقابل الثمن وبعد ذلك يصبح الاغنياء سادة لتلك يفعل بها ما شاء ويتصرف بها بمطلق الحرية كيف يشاء[٣].

المواليد:

هو رافد جديد للمماليك نتج عن التزاوج فيما بينهم، وسمحت الشريعة الإسلامية للمسلم بالتزوج بأربع نسوة[٤] ، مما كان له الدور الكبير في إزدياد عدد الرِّق في العالم الإسلامي، ويعتبر من الروافد التي أبقى عليها الإسلام "رق الحرب ورق الوراثة".

نلاحظ مما سبق بأنه شهدت البلاد المصرية تدفق المماليك من شتى المناطق، كان نتيجة روافد مختلفة، شكلت البيع المصدر الأهم نتيجة لاهتمام سلاطين المماليك بالتجارة الداخلية والخارجية، واحتلت الروافد الأخرى درجات متفاوتة كل حسب أهميته.

ثالثاً: القواعد المتبعة في تربية وتعليم غلمان المماليك[٥] .

تطرقنا الى المماليك واصولهم ووصولهم إلى البلاد المصرية، ومن ثم سنتحدث عن موضوع هام وهو تربية المماليك التربية الإسلامية في مصر، فقد سبق إلى شرائهم السلطان المنصور قلاوون

١.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٤.

٢.المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٠.

٣.الاصطخري: أبو سحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، "المسالك والممالك"، دار صادر بيروت، ليدن، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٣١. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الاصطخري المسالك والممالك.

٤. ابن رشد: المقدمات والممهدات، ج١، ص٤٦٦.

٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٤؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١٨، ص١٧٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واشار إلى ذلك بقوله: "كل الملوك، عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسوارًا، وعملت حصونًا مانعه لي ولأولادي، وللمسلمين (المماليك)"[١].

بلغ عدد المماليك البرجية (الجراكسة) في عهد السلطان قلاوون سبعة آلاف مملوكًا[٢]، وزاد في شرائهم ابنه الأشرف بن قلاوون الى عشرة آلاف مملوك[٣]، وأخذ عددهم يزداد شيئًا فشيئًا حتى أصبح عددهم نحو ما يقارب عشرون ألف مملوك[٤].

اشتهرت اسواق القاهرة بتجارة المماليك من الاعراق المختلفة وكان التجار يجلبون المماليك إليها ويتغالون في اثمان هؤلاء المماليك، وفي بداية الأمر يقوم التجار بعرض بضاعتهم من المماليك على السلطان[٥]، فيختار السلطان ما يطيب له من هؤلاء ثم يمر المملوك بالإجراءات احترازية قبل أن يدخل الطباق فكان يعرض للفحص من قبل الطبيب ليتأكد من خلوه من الامراض، وبعد ذلك يتم ينزل إلى الطباق كل مملوك ينزل على ابناء جنسه[٦].

يعتبر الطباق أشبه بالمدارس العسكرية، وجدت بأماكن متفرقة في القاهرة إضافة الى قلعة الروضة، ووصلت الى أثني عشر طباقاً، يتسع بعضها إلى ما يقارب ألف مملوك[٧] ، ويشرف على التدريب وعلى الطباق " خادم الطباق " أو " الطواشي"[٨].

وانشاء الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، طبقتين بالقلعة تطلان على رحبة الجامع، وأنشاء برج الزاوية المجاورة لباب القلعة، وأنشاء إلى جواره كذلك طباقًا للمماليك[٩].

---

١. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج١، ص٣٦٢.

٢. العيني: عقد الزمان، ج٣، ص٢٤٦.

٣. المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٤.

٤.ابن حجر العسقلاني: ابناء الغمر، ج٤، ص٥٠.

٥. السلطان هو الحجة والبرهان، فسلطان الشيء حدته وسطوته، وسمي بذلك لأنه حجة على الله ووجوده، وتعني كلمة سلطان الوالي والحاكم واطلق كذلك على بعض الخلفاء، للمزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٧، صفحات ٣٢٠، ٣٢١؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٥، ص١٥٩.

٦. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٤٦.

٧.ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٢٧؛ ابن الفرات: تاريخ، م٩، ج١، ص٨٨.

٨ .المقريزي: الخطط ، ج٣، ص٣٤٧؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٥- ص٦.

٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، صفحات ١٩٠، ١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمر السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، بهدم ما يقع بين الطبقتين من مباني وقصور حتى يستطيع ان يجمع بين جميع فئات المماليك السلطانية، وبنى طباق أخرى تتألف من اثنتي عشرة طبقة وأستمر هذا الطباق طوال فترة دولة المماليك الثانية[١].

اعتمد المماليك في تربية المماليك صغار السن على رابطة العطف والتقرب حيث كانت المعاملة معاملة الاب للأبن أو الاستاذ والتلميذ وتعتبر رابطة الاستاذية من اقوى الروابط بين الاستاذ وتلميذه[٢].

يتم تربية وتدريب المماليك الذي تم شرائهم على اختلاف أجناسهم، ويكون لهم دورة تدريبية تبدأ بالتأكد من سلامتهم بأرسالهم الى الأطباء، ومن ثم أرسالهم الى بيوت خاصة في القلعة لتربيتهم تدعى" الطباق"[٣].

يتعلم المملوك في الطباق التعليم الديني والحربي، والكتابة والفقه ويحفظ اجزاء من القرآن الكريم[٤] ، ثم يرتقي لتعلم الفروسية والمصارعة ورمي السهام، ويرتقى بالرتب العسكرية منها الخاصكية[٥] والدوادارية[٦] ، ثم المتقدمية[٧].

تتحدث المصادر التاريخية المختلفة عن تربية المماليك في الطباق، فتبدأ منذ شرائهم وحتى توليتهم أعلى المناصب في الدولة، فقد كان يحسن إلى المماليك الغلمان منذ شرائهم أطفالًا، بل لا يتجاوزون السابعة في العمر أو ما فوقها حتى يصبح قادرًا على تولي المناصب العسكرية الخاصة، فيبدأ بتعليم المملوك تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ويكون لكل طائفة منهم فقيهًا يعلمهم القرآن وآداب الشريعة الإسلامية والصلاة والأذكار وشيئًا من الفقه وبعد ذلك يبدأ بتدريب المملوك حربيًا بتعليمه فنون القتال المختلفة[٨].

---

١. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣.

٢ . الصلابي، علي، السلطان سيف الدين قطز، ص٣٢.

٣ .رجب عبد الجواد إبراهيم: معجم الألفاظ الاسلامية، ص٣٠٣.

٤. ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج٢، ص١٠٣؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢،٣٦٢.

٥.الخاصكية: لفظ فارسي الاصل شاع زمن العصر المملوكي وتعني فئة من المماليك تتبع السلطان أو الأمير، أنظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص٥١.

٦.الدوادارية: هو الذي يحمل دواة السلطان او الأمير، وهي وظيفة موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد واخذ الخط السلطاني على جميع المناشير، أنظر: دهمان، محمد، معجم الالفاظ التاريخية، ص٧٧.

٧.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٦٤٦.

٨. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعند سن البلوغ تبدأ المرحلة الثانية حيث يتعلمون فنون القتال المختلفة كالقتال بالسيف والرمح، ويتعلمون الفروسية والتي شملت مهارة ركوب الخيل واللعب بالرمح والرمي به والضرب بالسيف ولعب الصولجان واستعمال الدبوس[١] ، والتدريب على المصارعة، وسباق الخيل[٢] .

تكون مدة التدريب في "الطباق" قد تبلغ أربعة أو خمسة عشر شهراً وقد تمتد الى عدة سنين[٣]، ولكل طباق مسؤول عنه شخص عرف باسم " مقدم طباق"، ويوجد أعلى منه مسؤول عن جميع الطباق أو الأطباق ويكون من الأمراء المماليك ويدعى " مقدم المماليك"[٤] .

ففي البداية يتم تدريب الغلام مترجلًا، ويسير بقرب معلمه ليتعلم منه وقد يشارك ببعض الاعمال التي تكون في الاصطبل، ويبدأ بتعليمه سياسة الخيل، ويكون مميزًا بارتدائه قباء زندنجيًا[٥].

ويخضع المملوك لإشراف دقيق من جانب عدد كبير من الخدام وأكابر من رؤوس النواب، يراقبون حركاتهم ويعاقبوهم على ارتكابهم للمخالفات كركوب الخبل في مرحلة التدريب الأولى، وتكون العقوبة من نفس الجزاء تناسب الذنب المرتكب[٦].

يتم التدرج بتدريب ركوب الخيل للمملوك من الثبات، فكان ينصب لهم تمثال من الطين أو الحجر أو الخشب، فيقوم المعلم بتعليم التلميذ على وضعية الجلوس الصحيحة، ثم يتم تطبيق ذلك من قبل المماليك المتدربين بأن يركب كل واحد منهم على ظهر ذلك التمثال، وبعد عملية اتقان الجلوس والوثوب من قبل الغلمان، يضيف المعلم سرجًا على ظهر التمثال، ويعطي المملوك سلاحًا ومعدات قتالية أخرى، وبعد أن يتقن المملوك الركوب على ظهر التمثال بالأسلحة والمعدات القتالية [٧].

١.أنظر: Rey,Les Colonise, Frangues,P,٣١.

٢ .السخاوي: الضوء اللامع ، ج٢، ص٣٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج٦ ، ص١٣٠.

٣ .ابن تغري بردي: النجوم ، ج٦، ص٥٩.

٤ .القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص ١٧٣؛ ابن أياس: بدائع الزهور ، ج٣، ص١٧٣.

٥. قباء: ثوب يلبس فوق الثياب، ويصنع من القطن أو الحرير، أو الصوف، ويكون لونها ابيض أو مزيج من اللون الأزرق واللون الأحمر، وتكون ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج، للمزيد أنظر: القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٤٠.

٦. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٤.

٧.ابن قيم الجوزية: الفروسية، ص١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم ينتقل بالمملوك لتدريبه على المسير بالفرس بالسرج وبعد أتقان الركوب بالسرج، يركب الفارس بدون سرج لأن أصل الفروسية هي الركوب بدون سرج حتى يتعود الفارس على ذلك، ومن ثم المسير المتوسط وحتى يتقن الفارس أقصى ما يمكن للفرس من السرعة وبدون سرج وأن أتقن ذلك يعود الى وضع السرج على فرسه[١].

بعد اتقان المملوك لعملية الرمي بالسهام ينتقل به للتدريب على الرمي بالرمح، فيتم تدريبه على الرمي بالرمح سواء كان راجلًا أو راكب للخيل، ثم تأتي مرحلة التدريب بالسيف والتي تعتبر من اهم مراحل التدريب التي يمر بها الغلمان، فالسيف يعتبر السلاح الحاسم في ارض المعركة عند تصادم الجيوش وكثرة الجموع[٢].

وبعد اتقان المملوك للرمي بالسهام والرمح والقتال بالسيف يتم ادخاله في التدريب على اعمال التي يقم بها أثناء المعركة، فيبدأ ذلك بالتدريب بشكل دائري حيث يتم تحريك فرشة في دائرة واسعة ثم يتدرج بالدخول بشكل دائري ضيف فأضيق وهكذا، وبهذا العمل الشاق للفارس والجواد ويحتاج إلى اللياقة البدنية العالية والصبر ومهارة عالية ويحتاج الى جواد صبور قوي ومطيع لفارسه[٣].

ورغم هذا التدريب الشاق إلا أن سلاطين المماليك حرصوا على متابعة شؤون غلمانهم بأنفسهم، فصرفوا لهم الرواتب واهتموا برفاهيتهم وكسوتهم والبسوهم احسن الحلل، فالمنصور قلاوون كان يشرف بنفسه على طعامهم بأن يكون افضل وأجود الطعام، وامر بأن يعرض عليه طعام الغلمان وان لا يكون به عيب كرداءة جودته[٤]

ولأهمية تربية المملوك والاعتناء به كان ينزل السلطان بنفسه الى الطباق ليتأكد من الأطعمة التي تقدم لهم، فكان يقدم لهم اللحم والفواكه والحلوى وغيرها من الأطعمة الجيدة، كما تقدم لهم الكسوة ويعطوا شهريا من المال ما يقارب ثلاثة الى أربعة دنانير شهرياً[٥].

---

١. الباز العريني: المماليك ، ص١١٣.

٢.المقريزي: السلوك، ج١، ص٨٨٦.

٣.الصلابي، علي محمد محمد، السلطان سيف الدين قطز، دار الكتاب الثقافي، السعودية، السعودية، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٣٥. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الصلابي، سيف الدين قطز.

٤.المقريزي: الخطط، ج٢، صفحات ٢١٣، ٢١٤.

٥ .المقريزي : الخطط ، ج٣ ، ص٣٨٨؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ج٧ ، ص٦٥٠؛ ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند أنهاء دورة التربية والتدريب في الطباق تبدأ مرحلة التخريج، ويكون هنالك تخريج للمماليك بالجملة، ويقام الاحتفال الخاص بتلك المناسبة يحضره السلطان والأمراء، ويقسم المماليك المتخرجون الى جماعات، لكل جماعة منهم مسؤول يلقب بـ " باش" أو "نقيب"[١] ، ويمر المملوك برتبة الأمارة وهي تمكنه من العمل في الوظائف المهمة والحساسة سواء في البلاط السلطاني أو في الجيش، ولكي يصل المملوك الى هذه المرحلة لابد من أن يتصف بالصفات الحميدة والتي دعى اليها الإسلام، من طيب الخلق ومكارم الأخلاق ، ولابد من أن يكون شجاعاً ماهراً في فنون القتال، ويبقى بالتدرج حتى يرتقي المملوك الى مرتبة أمير، والأمير منهم من حقه ان يقتني عدد من المماليك والمميزات الأخرى حتى يصبح كقول القلقشندي" سلطان مختصرا"[٢] ، ويذكر ابن تغري بردي أن السلطان الظاهر بيبرس هو الذي نظم وظائف الدولة ورتب الأمراء والجنود في وظائف لم يتولوها سابقا [٣].

اما فيما يخص بعض تعليمات الطباق العامة، فكانت تصدر للمماليك التعليمات كعدم الخروج الى خارج الطباق ليلاً أو نهاراً، الذهاب الى الحمام يوماً في الأسبوع، ومن يخطي ويرتكب ذنباً خاصة فيما يتعلق بأمور الدين فتكون العقوبة شديدة.

رابعاً: فرق المماليك.

كون المماليك فرق مختلفة في الجيش المملوكي والتي تتكون من المماليك السلطانية، ومماليك الامراء ومماليك اجناد الحلقة، وسيتم عرض موجز لمعرفة تلك الفرق:

١. المماليك السلطانية:

ينتسب هؤلاء إلى السلطان اطلق عليهم هذا اللقب وهم من يشتريهم السلطان، ويدفع ثمنهم من بيت المال أو من ماله الخاص[٤]، ويعتبر المماليك السلطانية من أهم فرق الجيش وأرفعها منزلة، وأكثرها تقربًا من السلطان الذي منحهم الأموال الطائلة[٥]، وقد تفاوتت اعدادهم من سلطان لآخر

١.باش: هي بالأصل لفظ تركية تعني الرأس أو الرئيس، والمقصود هنا رئيس العسكر وقائدهم، دهمان، محمد: الالقاب في العصر المملوكي، ص٣٠.

٢ .القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤

٣ .ابن تغري بردي : النجوم، ج٧ ، ص١٨٤.

٤.ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ص١٢٢.

٥.المقريزي: السلوك، ج٤، ص٤٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقل عددهم في دولة سلاطين المماليك الثانية حتى اصبح في عهد السلطان الظاهر برقوق ما يقارب خمسة الاف إلى ستة الاف مملوك[١] ، وتقسم المماليك السلطانية إلى:

١.الجلبان (المشتروات):

يعود ظهورها إلى السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وخصص لهم الطباق الموجود في قلعة الجبل ليكون مسكناً لهم ومكاناً لتدريبهم وبقي هذا الطباق عاملًا في فترة دولة سلاطين المماليك الثانية[٢]، كما أنشاء السلطان قلاوون طباقاً لهم في فترة حكمه[٣]، ويتم شراء هؤلاء الجلبان من التجار حيث يختار السلطان مماليكه من هؤلاء، ومن يختاره السلطان يرتفع في منزلته ويصبح في المنزلة العالية، وكون منهم المماليك السلطانية[٤].

وينزل المماليك الجلبان إلى الطباق لتلقي علومهم وتدريبهم كسابقيهم، ويتم عزل الصغار عن المماليك الكبار منعًا لانتشار الفساد بينهم ويتم تدريبهم مرورًا بجميع مراحل تدريب الطباق وتم منحهم اعلى الامتيازات والجوائز من الذهب والفضة وتصرف لهم مخصصات من الاطعمة والفواكه والحلويات[٥].

ويشرف عليهم الطواشية[٦] وهم الذين يتولون تدريب المماليك في الطباق[٧]، ويذكر المقريزي انه أطلق على هؤلاء المماليك الكتابية[٨]، واستمر تعليم هؤلاء في دولة سلاطين المماليك الثانية، وحرص سلاطين دولة المماليك الثانية على تدريبهم كما كان سابقًا في دولة سلاطين المماليك الأولى واستمروا على ذلك النهج حتى تم عزل السلطان برقوق عن سدة الحكم سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م[٩].

---

١. المقريزي: الخطط، ج١، ص٩٥؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص٢٨٨.

٢.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٩١؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص٢١٠.

٣.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣.

٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، صفحات١٥، ١٦.

٥.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣.

٦. الطواشية: جمع طواشي وهم المماليك الخصيان المعنيون لخدمة السلطان وحريمه، ومنهم من يشرف على تدريبهم في الطباق، للمزيد أنظر: ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٢٢؛ دهمان، محمد أحمد: معجم الالفاظ التاريخية، ص١٠٩.

٧.ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٢٢.

٨. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٣؛ نفسه: السلوك، ج٣، ص٦٠١.

٩.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال عودة السلطان الظاهر برقوق للحكم في المرة الثانية، أحدث تغييرات وتطورات شهدها المماليك في الطباق، فعمل على السماح للمماليك في الخروج من الطباق إلى القاهرة والاقامة بها بل تعدى الامر إلى السماح لهم من الزواج من نساء القاهرة[١].

وفي فترة حكم الظاهر فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م)، ازداد الأمر سوءاً للمماليك في الطباق واختفت قواعد تربية وتهذيب المملوك نهائيًا، واختفت مخصصاتهم من الطعام، وخصص للمملوك العدد القليل من المال والذي لم يتجاوز العشر دراهم، فكان يعجز المماليك عن أكل الطعام غالي الثمن كاللحم، واقتصر طعامهم على الفول المسلوق[٢].

ومن الأمور التي شهدها الطباق في فترة دولة سلاطين المماليك الجراكسة جلب المماليك كبار السن، فالسلطان الظاهر برقوق جلب جميع أقاربه إلى البلاد المصرية وضمهم إلى المماليك السلطانية دون اخضاعهم إلى تدريب الطباق وتعاليمه[٣].

بعد تخرج المماليك الجلبان يتم توزيعهم في خدمة السلطان، فيختار السلطان منهم من يقوم بخدمة قصرة وعرفوا هؤلاء بالخاصكية، وقد بلغ عددهم في عهد السلطان الظاهر برقوق إلى ثمانين خاصكيًا، وفي عهد ابنه فرج بن برقوق ارتفع عددهم على ما يقارب الفين خاصكيًا[٤]، وكان يوكل اليهم السلطان مهمة حمل التقاليد إلى نواب بلاد الشام، ويولي البعض منهم ولايات البلاد، ووصل المماليك الخاصكية مرتبة رفيعة جداً عند السلطان وبلغوا اجزل العطايا والمناصب[٥]، حيث كان منهم من يدخل على السلطان حتى في أوقات خلوته[٦].

---

١. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٤

٢. المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٤.

٣.ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٣٠٩.

٤.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، صفحات ١١١، ١١٢.

٥.نفسه: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٦٨.

٦.ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. مماليك القرانيص:

هم المماليك القدامى الذين فقدوا سلطانهم سواء كان لعزله أو بسبب وفاته، وعرفوا كذلك بمماليك قديموا الهجرة[١]، وأطلق عليهم قدامى للتميز بينهم وبين المماليك الجلبان، ويشكل هؤلاء فئة خطيرة على المماليك الجلبان لانتسابهم إلى سلطانهم القديم، ومن ثم ينتقل الولاء والانتساب إلى السلطان الذي أعتقهم، ومن هؤلاء فرقة المماليك الظاهرية، الذين ورثهم السلطان الظاهر برقوق في أول أمره باستلام الحكم، حيث أصبح هؤلاء مصدر قلق للسلطان، ونظرا لتهديدهم وتفاقم خطرهم عمل السلطان الظاهر برقوق على التخلص منهم بأشكال متعددة فقتل بعضهم وحبس ونفي حتى استطاع ان يشتت امرهم[٢].

٣. مماليك الأمراء:

هم المماليك الذين يتبعون لأمير ما، ويستولي عليهم السلطان لعدد من الأسباب: نتيجة وفاة أميرهم، أو نتيجة تولي احد الامراء للسلطنة، أو نتيجة تقاعد اميرهم، أو نتيجة مصادرة السلطان لهؤلاء[٣] ومن الأمثلة على ذلك ما حصل مع مماليك الأمير منطاش الذي أعلن العصيان والتمرد على السلطان برقوق ثم فر من مصر سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م فاستولى على مماليكه السلطان الظاهر برقوق، وبعد ذلك افرج عنهم[٤].

من الشواهد على ذلك مماليك الأمير كمشبغا الحموي الذي اعتقله السلطان الظاهر برقوق حتى توفي في سجن الاسكندرية سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)، فاستولى عليهم واختار عددًا منهم لنفسه ووزع الاخرين على الامراء[٥].

١.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، صفحات ١١١، ١١٢.

٢.المقريزي: السلوك، ج٣، صفحات٩٨٧، ٩٨٩.

٣.المقريزي: السلوك، ج٤، صفحات٤٥١، ٤٥٢.

٤. نفسه، ج٣، ص٧٤١.

٥. ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٤٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. مماليك الأمراء.

هم مماليك يتبعون إلى اميرهم الذي ينفق عليهم ويجهزهم ويشترك بهم في الحملات العسكرية والقتال لجانب السلطان وبذلك عرفوا مماليك الأمراء، ويعتمد عددهم إلى الاوضاع السياسية السائدة ومكانة الأمير وثروته ورتبته العسكرية التي تؤهله ذلك[١]، ولقد بلغ عدد مماليك الامراء في مصر سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م ثلاثة الاف مملوك[٢]، كما كان لعلاقة الأمير بالسلطان دور كبير في اعداد المماليك، فكان الأمير يلبغا الناصري الذي يعرف بقوته يملك الكثير من المماليك، وكان يملك الأمير الطنبغا الجوباني العدد الكبير منهم[٣].

٣. مماليك اجناد الحلقة.

يعود إنشاء مماليك جند الحلقة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وهم في الأصل جنود مرتزقة من غير مماليك السلطان، ويقدم عليهم واحد على كل أربعين منهم، لا يكون له حكم إلا عند خروجهم للحرب[٤]، وهي من أهم الفرق العسكرية، وتعتبر من الدرجة الثانية بعد المماليك السلطانية ان لم تساويها في المكانة الاجتماعية والعسكرية، اصبح مكانتها تتزعزع في فترة حكم سلاطين المماليك في الدولة المماليك الجراكسة فقلت مكانتها، ولعل ذلك يعود إلى دخول عدد من العناصر غير القتالية في صفوفها من المتعممين[٥].

اعتمد عليهم سلاطين دولة المماليك الجراكسة سنة ٧٨٩هـ/١٣٩٣م في صد هجمات تيمور لنك، كما اعتمد عليهم في حماية القاهرة والقلاع والحفاظ عليها، وقدر عددهم في مصر ما يقارب أربعة وعشرون ألف مملوك موزعين على الأمراء[٦].

خامساً: وظائف المماليك:

تقلد المماليك في مختلف الوظائف الادارية في دولة المماليك الثانية سواء في الوظائف العسكرية (ارباب السيوف) أو وظائف الديوانية (أرباب القلم) أو الوظائف الدينية، وسنتطرق بالحديث عن تلك الوظائف وعلى النحو الآتي:

---

١. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، صفحات ٦١، ٦٢.

٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٢٩؛ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٠٤.

٣. المصدر نفسه، ج١١، ص٢٥٧.

٤. دهمان، محمد، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٢،

٥. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٦.

٦. المصدر نفسه، ج١١، ص١١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولًا: الوظائف العسكرية (أرباب السيوف).

١.نيابة السلطنة: وهو النائب الكامل عن السلطان ويحكم في كل ما يحكم فيه السلطان[١]، وتعتبر وظيفة نيابة السلطان المرتبة الأولى لأهميتها في دولة سلاطين المماليك الجراكسة، فهو ينوب عن السلطان في غيبته ويمنح صلاحيات السلطان في جميع أمور الدولة، من توقيع على الكتب المختلفة وكان يتمتع نائب السلطان بصلاحيات متعددة كالجلوس للحكم بين الناس، وتفقد احوال الناس وتولية المناصب في الجيش والوزارة والقضاء ومعاقبة من يعبث في حياة المسلمين وكف اذاهم[٢]، ومراقبة الامور الادارية وتطبيق الاحكام الشرعية وفق تعاليم الإسلام الحنيف.

كما ويتمتع نائب السلطنة في صلاحيات تخوله باستخدام الجيش في اخماد الفتن والقضاء عليها وتجهيز الجيوش والخروج للقتال[٣]، وله الصلاحيات في عقد الاتفاقيات في غياب السلطان، وغير ذلك من أمور تختص بأمور وتسيير الدولة[٤].

كان يسكن نائب السلطان في قلعة الجبل بدار النيابة، وأطلق عليه لقب نائب السلطنة المعظمة والأمير الأميري وحتى انه أخذ لقب السلطان الثاني في السلطنة[٥]، ومن الذين تقلدوا منصب نائب السلطنة في دولة المماليك الجراكسة الأمير سودون الشيخوني[٦].

٢. نيابة الغيبة: يكون منصب نيابة الغيبة في حال غياب السلطان ونائب السلطان عن الديار المصرية، فيحل مكان السلطان وممنوحة له صلاحيات السلطان المطلقة، والتي عرضناها سابقًا في منصب نائب السلطنة[٧].

---

١ .ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٦.

٢.السبكي: معيد النعم، صفحات ٣٥-٣٦؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج١١، ص٣٣.

٣.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٥.

٤.المصدر نفسه، ج٣، ص٧٩٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٥٢.

٥. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١؛ العمري: التعريف، ص٨٨؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج١١، ص١١٣.

٦. سودون الشيخوني: هو شيخون بن عبد الله الناصري (اتابك العساكر)، من كبار رجالات السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٥٨هـ/١٣٥٦م)، المقريزي: الخطط، ص٢١٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، صفحات٣٢٤-٣٢٥؛ نفسه، ج١٢، ص٣٣.

٧. للمزيد انظر: المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤٩٣؛ نفسه، الخطط، جج٢، ص٢١٥؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج١، ص١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. أتابك العسكر: الأتابك وهو ابو العسكر وابو الأمراء وهي ثاني المراتب العسكرية[١]، وهو لقب فخري وهي لفظ تركي مكون من مقطعين: اتا ويعني الأب، وبك يعني السيد أو الأمير ويسمى صاحبه "أتابك العساكر"، ويأتي هذا المنصب بعد منصب نائب السلطنة والغيبة ويمنح لأكبر الأمراء المقدمين في الدولة[٢].

واتسعت صلاحيات أتابك العساكر واصبح وظيفة رسمية في الدولة ويمنحه السلطان الخلعة[٣]، حتى اصبح الأتابك من متنفذي الدولة، ومن النوازل التي تؤكد سيطرة أتابك العساكر سيطرة الأمير يلبغا العمري الذي استغل منصبه حتى اصبح الأمر الناهي يعزل من يريد وينصب من يريد، فقد نصب الملك المنصور وكان صغير السن لم يتجاوز الرابعة عشر من العمر[٤]، وانضم إليه الأمير منطاش واستطاعوا من عزل السلطان الظاهر برقوق عن السلطنة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٥].

٤. رأس النوبة: وهي من وظائف أرباب السيوف وتعني بالأشراف على المماليك السلطانية، والاهتمام بهم، والعمل على حل مشاكلهم وخدمتهم، وازداد عددهم عما كان عليه في دولة المماليك الأولى ليصبح عددهم سبعة امراء[٦].

أطلق عليهم لقب أتابك في فترة دولة المماليك الجراكسة، حتى يتساوى مع أتابك العسكر في الدرجة والمكانة، ومنحوا الأقطاعات الواسعة، ولعل ذلك حتى يحد السلاطين من سلطة أتابك العسكر[٧].

٥. أمير سلاح: وهي وظيفة من أرباب السيوف وتكون مهمة الأمير حمل سلاح السلطان عند

---

١ .ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٩٨.

٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨؛ ابن الصيرفي: زبدة كشف الممالك، ص١١٢.

٣.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٤، المقريزي: السلوك، ج٣، ص٩.

٤. المصدر نفسه، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٣٧.

٥. المقريزي: السلوك، ج٣، ص٦٥٩.

٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٤، المقريزي: السلوك، ج٣، ص٩.ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٥٨٠.

٧. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخروج للقتال أو الصيد وفي المناسبات والاحتفالات، ويكون الأمير مسؤولًا عن اسلحة السلطان الخاصة به أو التي تقدم إليه كهدايا[١].

٦. أمير مجلس: وهي وظيفة تكون لمن يتولى أمور مجلس السلطان من الامراء وبرتبة أمير، ويشرف على الامور الطبية للسلطان كالأشراف على اطباء السلطان ومن الامراء الذين تولوا منصب امرة المجلس الأمير قطلقتمر[٢].

٧. إمرة اخورية: وهي تعني الاشراف على اسطبلات الخيل السلطانية وخيول السلطان، ويكون عليها امير مائة تقدمة الف، ويساعده ثلاثة أمراء برتبة طبلخانة[٣] وعدد من أمراء وعدد من الجند، ويكون مسكنه في الاسطبلات السلطانية[٤].

٨. الداوادارية: وهي لفظ مركب من لفظين الاول دواة والثاني دار وتعني الصاحب او الممسك، وهي وظيفة تعني صاحب الدواة أو ممسك الدواة، وتختص في التبليغ عن رسائل السلطان، وتقديم البريد له، والتأكد من توقيع الكتب الصادرة من السلطان والمناشير والتأكد من توقيعه على الوثائق الصادرة عن دواوين السلطنة، ومن الامراء الذين شغلوا هذا المنصب الأمير يونس الدوادار وتم منحه صلاحيات واسعة كالأشراف على امور السلطنة فيما يتعلق بالأمور المالية[٥].

---

[١].القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص١٩؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١؛ دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٢٠.

[٢].المقريزي: السلوك، ج٣، صفحات٥١٣– ٥١٧؛ دهمان معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي،ص٢٢.

[٣].طبلخانة: المراد بها فرقة موسيقية وتحتوي هذه الفرقة على الآلات الموسيقية المختلفة كالأبواق والطبول، وكانت العادة ان تقرع الموسيقى السلطانية في كل ليلة بعد صلاة المغرب، وتصاحب هذه الفرقة السلطان في أسفاره، وأمير الطبلخانة هو الامير الذي يرقى لدرجة أن تضرب على باب الموسيقى، ويكون أمير أربعين ويتدرج في الزيادة إلى ثمانين، ويعد أمير الطبلخانة في الدرجة الثانية بين الأمراء، للمزيد، أنظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٠٦.

[٤].القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص١٩.

[٥].المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩.الحجابة: وهي تختص في أمور الدخول ومقابلة السلطان والاستئذان لهم من السلطان، واصبحت ذات درجة رفيعة زمن دولة المماليك الجراكسة حيث اصبح عددهم خمسة حجاب وكان من المهام التي توكل للحاجب الفصل بين الامراء والجند[١].

١٠. أمير جاندار: وتختص في الاستئذان للدخول على السلطان والدخول امام الامراء الى الديوان السلطاني، كما تختص في الاشراف على الزردخانة المخصصة للاعتقال، ويتولاها اميران: الأول برتبة أمير مائة تقدمة الف والآخر امير طبلخانة[٢].

١١. الإستادارية: وتكون في الاشراف على الامور الادارية للسلطان كالأشراف على مطابخ السلطان وبيوت السلطان والاشراف على مأكله ومشربه وما يختص ببيت السلطان من طعام ونفقاته والكسوة ما إلى ذلك، ويتبع لها ايضًا الجاشكندرية ومهمة تكون في التأكد من طعام السلطان وتذوقه[٣].

١٢.الخازاندارية. وتختص في الاشراف على خزائن السلطانية من مال وكسوة، ويكون صاحبها برتبة امير طبلخانة، أو أمير مائة تقدمة ألف[٤].

ثانيًا: وظائف الديوانية (أرباب القلم).

١.الوزارة: يعتبر منصب الوزارة من المناصب المهمة في دولة المماليك الجراكسة، ومنح الوزير صلاحيات واسعة، وطراء تغيير على وظيفته في الفترة مماليك الجراكسة الثانية اذ اقتصر امره على الاشراف على الامور الادارية لبيت السلطان كالأشراف على شراء الطعام وما يحتاج إليه القصر السلطاني، ولعل هذا التقليل من أهميت هذه الوظيفة يعود إلى تداخل وظيفته مع الوظائف الأخرى كالاستدارية[٥].

٢.ديوان الإنشاء: ويختص في الأمور الكتابية من مراسلات ومكاتبات عامة التي تصدر عن السلطان او ترد إليه، وتكون لأمير يسمى ناظر الإنشاء، أو كاتب السر السلطاني، وتكون مهمته هي قراءة الكتب على السلطان والتأكد من التوقيع على هذه الكتب، وأرسال حملة البريد إلى وجهت ارسالها[٦].

---

[١].ابن قاضي شهبة: تاريخ، ج٣، ص٩١.

[٢]. المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١.

[٣].القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٢٠؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٣١.

[٤].المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢.

[٥].القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، صفحات ٢٨، ٢٩.

[٦]. ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان ينضم إليه عدد من المماليك يجلسون مع كاتب السر السلطاني ويقرأون القصص على السلطان[١]، وأطلق عليهم لفظ كتاب "الدست" وذلك لانهم كانوا يكتبون المكاتبات في دروج من الورق على شكل مستطيل[٢].

ويتبع لديوان الإنشاء البريد ويعتبر حلقة الوصل ما بين مركز السلطان والاقاليم، واستخدمت الدواب كالحمير والخيل والابل في ذلك، وميزة الخيل حتى لا يستطيع ركوبها اي أمير إلا وفق مرسوم سلطاني خشية ان يكون فيها لبس وتقع المكيدة باستخدام تلك الخيل لأحداث الفتن والاضطرابات ضد السلطان[٣]، وكان يشرف على خيل السلطان الخاصة أمير يدعى بـ"الاوشاقي"[٤].

زودت السكة والطرق بعدد كبير من المراكز لتزويد الخيل بالعلف والماء، واقيمت مساكن للعاملين على البريد، واستخدمت دولة المماليك الجراكسة البريد مع كلًا من: الوجه القبلي والوجه البحري ودمياط والاسكندرية[٥].

٣. نظر الخاص: ويختص في الأموال الخاصة والتي تتعلق بالسلطان، والناظر الخاص برتبة أمير يساعده في ذلك عدد من كتاب ديوان الخاص كمستوفي الخاص الذي يقوم بتحصيل الاموال من مباشري البلاد، وناظر خزانة الخاص الذي يقوم بالحفاظ على مقتنيات السلطان من سيوف وقماش ومعدات وغير ذلك من المواد[٦].

٤. نظر الجيش (وثائق الجيش): وتكون لأمير اطلق عليه لفظ ناظر الجيش، وتكون مهمته هي الاشراف على الوثائق الخاصة بمنح الاقطاعات، ومقاديرها، وفحص تلك الوثائق بالديوان، وكتابة الاوراق المختلفة، ويساعده في ذلك عدد من كتاب الجيش، وصاحب الديوان وكتاب ناظر الجيش، وشهود ناظر الجيش[٧].

---

١. ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٠٠.

٢. القلقشندي: صبح الاعشى، ج١، ص١٧٢؛ ج٤، ص٣٠.

٣.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١١.

٤. دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٢٣.

٥. القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، صفحات٤١٨، ٤١٩.

٦.المقريزي:: السلوك، ج٣، ص٤٧٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٨.

٧. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: الوظائف الدينية (أرباب العمائم).

الوظائف الدينية في دولة سلاطين المماليك الثانية كانت على النهج المتبع في زمن دولة سلاطين المماليك الأولى، وكانت على النحو التالي:

١.قاضي القضاة: يتولى شؤون القضاء في دولة سلاطين المماليك، ويعتبر منصبه من أهم المناصب الدينية، يشرف على الاحكام الشرعية وتنفيذها، يساعده في ذلك عدد من الموظفين ويدعون بالأمناء أو أمناء الحكم[١].

في زمن دولة سلاطين المماليك أستحدث منصب قاضي القضاة ليكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة: الشافعي، والمالكي، والحنبلي، والحنفي قاضي قضاة[٢]، وكان يتبع لكل قضي نواب يتولون القضاء نيابة عن القاضي، واتسعت صلاحياتهم حتى اصبح كل يستطيع النواب ان يعينوا لهم عدد من النواب، ويشترط في هؤلاء النواب ان يكون لديه المعرفة والدراية بأمور الشريعة الإسلامية، فزاد عدد هؤلاء النواب حتى اصبح عددهم أكثر من المطلوب للقضاء، فقد وصل هؤلاء في فترة دولة سلاطين المماليك الثانية إلى أكثر من عشرين نائبًا[٣]، وينوب نائب قاضي القضاة عن القاضي في اصدار الحكم النهائي[٤].

كان يتولى قاضي القضاة القضايا من خلال الشهود وهم غالبًا ما يكونوا يقومون بوظيفتهم بتقديم القضايا لقاضي القضاة، ويكون هؤلاء في وضعهم العادي يتاجرون ولهم دكاكينهم الخاصة، ويشترط في هؤلاء ان يتمتع بعدد من الصفات: ان يتصف بالعدالة، وتكون لديه المعرفة وعدم اهمال تلك المعرفة لضمان حقوق الناس وعدم ضياعها، وان يكون حسن السيرة والسلوك[٥].

يعودهم أصحاب المعاملات للإشهاد، ويعملون على حل المنازعات بين الناس ويسجلون الأحكام الصادرة من قاضي القضاة أو نوابه، ويحفظونها في سجلات خاصة لضمان حفظ حقوق الناس ومعاملاتهم[٦].

---

١. المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٤٩.

٢. نفسه: السلوك، ج٣، صفحات٤٤٧، ٤٧٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٧؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، صفحات ٣٥، ٣٦.

٣. ابن الفرات: تاريخ، ج٢، ص٢٩٨؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ص٧٦٤.

٤. ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٤١٥.

٥. نفسه، ج١، ص٥٢٢.

٦. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢.الإفتاء: وتختص في نصوص الشريعة الإسلامية والقضايا الشرعية التي تصعب على العامة، وتعتبر منن الوظائف الرفيعة في دولة سلاطين المماليك الثانية، فكان المفتي يجلس لفصل الخصومات بين الناس، والافتاء للمسائل التي يتم عرضها عليه في دار العدل، وخصص لكل مذهب مفتي مستقل سواء للمذهب الشافعي أو الحنبلي أو المالكي أو الحنفي[١].

٣. وكيل بيت المال: من الوظائف الدينية ويشرف عليها وكيل بيت المال، ويتصف بعدد من الصفات ويشترط به أن يكون ذو علم ودين وان يكون تقي يراعي حقوق الله ويخشى حرمته[٢] ، ويكون مجلسه في دار العدل، وتختص في النظر في الأمور المالية في بيت المال كالمشتريات والمبيعات والأمور التي تتعلق بذلك[٣].

٤.الحسبة: يتولاها موظف يعين من قبل السلطان يسمى المحتسب، ويكون هنالك محتسب في القاهرة، ويكون مجلسه في دار العدل، وتكون صلاحياته في الحكم والتولية على مستوى الوجه البحري، والآخر في الفسطاط وتكون صلاحياته في الوجه القبلي[٤] ، وتعتبر الحسبة من أهم الوظائف الدينية ومفادها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الخارجين، واصلاحهم[٥].

---

١. السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص١٠٨.

٢. المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤٧٨.

٣. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ٣٨.

٤. المقريزي: الخطط، ج١، ص٤٦٣.

٥.العريني: دولة المماليك، ص٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني
تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك.

أولاً: أهمية تجارة المماليك.

١.اهتمام المماليك بالتجارة العالمية.

٢. تجار المماليك النخاس، أو تاجر الخاص، أو الخواجا.

٣. جمارك المماليك.

٤. اسواق الرقيق الداخلية في مصر.

٥. أساليب البيع وتداول المماليك في الأسواق.

ثانياً: مراكز تجمع المماليك والطرق والموانئ التجارية المملوكية.

١. مراكز تجمع المملوك الأبيض وسماتهم.

٢. الطرق التجارية الخارجية والطرق والموانئ المملوكية التي خدمت تجارة المماليك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك

أولاً: تجارة الرقيق في عصر سلاطين المماليك الجراكسة.

١.اهتمام المماليك بالتجارة العالمية

احتلت تجارة الرقيق في العصور الوسطى مركز الصدارة إلى جانب تجارة التوابل بين أنواع المتاجر، بل إنها كانت مصدراً للثراء الواسع لكثير من مناطق ودول العالم التي مرت عبر أراضيها طرق تجارة الرقيق، أو تلك التي كانت بها أسواقاً لبيع الرقيق في تلك العصور كمدينة جنوة[١].

ولأهمية تجارة الرقيق حظيت أسواقه بالعناية الشديدة من جانب الأفراد والتجار والدولة، فصار لهذه الأسواق طابع خاص مميز في ممارسة عمليات البيع والشراء والعرض، وكانت الحكومات تولي الإشراف على هذه الأسواق اهتماماً خاصاً لضمان سلامة التعامل فيها.

فقد شغل موقع دولة المماليك الاستراتيجي الأهمية التجارية العالمية[٢]، فهي تعتبر حلقة الوصل ما بين قارة آسيا وأفريقيا وبلاد الروم، وتطل على أهم البحار كالبحر الأبيض المتوسط والبحر القلزم (الأحمر)[٣]، واستغل المماليك هذا الموقع تجاريًا، حيث قويت دولتهم براً وبحراً من خلال اعتمادها على فرض الضرائب وتشجيعها للتجار والتجارة.

ارتبطت دولة المماليك بعلاقات تجارية مع الدول المجاورة، وفي بعض الاحيان كانت تتجاوز عن سوء العلاقة مع تلك الدول كجنوة والبندقية، لسد حاجتها من احتياجها من المماليك والسلع الأخرى

---

١. جنوة: مدينة وميناء شمال إيطاليا، وهي قديمة البناء وعماراتها شاهقة واشتغل اهلها بالتجارة ويسافرون بالبر ويركبون البحر، ويملكون أسطولاً بحريا كبيرا؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في خبر الافاق، ج٢، ص٧٥٠؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص١٧٣.

٢. نعيم، زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، ١٨٧٣م، ص١٤٠. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: نعيم، زكي، طرق التجارة الدولية.

٣. المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص٦٠؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقديم التسهيلات من اجل مصلحة الدولة، فمن تلك التنازلات والحوافز ما قدمه السلطان برقوق للتجار الاوربيون بالسماح لهم بأنشاء المراكز التجارية والفنادق[١] في مدينة الاسكندرية[٢]، وامر نائب الاسكندرية بمعاملتهم معاملة حسنة، وغضب عندما صادر نائب الاسكندرية أموال تجار مقيمين في فيها سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٢م وأمر بإحضاره إلى القاهرة[٣].

كانت علاقات سلاطين المماليك الجراكسة ومغول القفجاق علاقة طيبة، سهلة عملية جلب الرقيق إلى الديار المصرية، وكان السلاطين يمنحون تواقيعهم بأيدي التجار لتسهيل معاملاتهم وإعفائهم من الضرائب[٤].

كما شجع سلاطين دولة المماليك التجارة مع بلاد اليمن، فاستوردوا الكثير من الاحباش والعبيد وغير ذلك من السلع[٥].

٢. تجار الرقيق النخاس، أو تاجر الخاص، أو تاجر الخواجة.

أُطلق على تاجر الدواب والمماليك في العصور الوسطى لقب "النخاس" ومردهم في ذلك لنخسهُ إياها حتى تنشط[٦]، والتاجر يتخنس أي يزاول عملية النخاسة وهي بيع الرِّقيق، وعُرف احياناً تاجر الرقيق "بالدلال والسمسار ويشير إلى ذلك المقدسي (ت٣٣٨هـ/٩٩٨م) بأن التاجر يبتاع الرِّقيق شهراً ويتكلم بعامة كلامهم ويجاورهم زمناً أي أنهُ يتخنس، فلا يعرفون عنهُ شيئًا ولا يربطهُ بهم شيء[٧].

١.الفندق من المنشاة التجارية التي انشات بالمدن الكبرى، وكانت تختص بالتجار الاجانب، وكانت تسمى باسم الدولة التي تخصهم ومنها فندق الجنوية والبنادقة، ويحتوي الفندق على ما يحتاجه التاجر من مسكن ومأكل ومخزن للبضاعة ومكان للدواب والرقيق وغير ذلك؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، صفحات٥٥- ٥٦.

٢.المقريزي: السلوك،ج٣، ق٢، ص٥٣٥.

٣. المصدر نفسه، ج٣، ق١، ص٥٨٠.

٤.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٢.

٥.المصدر نفسه، ج١٢، ص٦٧.

٦. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٢٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٦، ص٥٤٢.

٧. المقدسي: أحسن التقاسيم،ج١، ص١٠٤؛ ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)،"معالم القربة الظريفة في أحكام الحسبة الشريفة"، دار الفنون "كمبردج"، (١٩٣٧م)، ج١، ص١٣٥. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن الاخوة، معالم القربة الظريفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تنافس التجار في الوصول إلى السلطان، فاهتموا بجلب المماليك ليفوزوا بخلعة السلطان والأمراء وغيرهم من كبار الدولة، فقد كان ينعم السلطان على تجار الرقيق الذين يشتري منهم الخلع والرواتب الدائمة من الخبز واللحم والتوابل وغير ذلك، وتكون الخلعة خارج الثمن حتى لو باع التاجر رأس واحد من المماليك[١].

فجابوا الديار شرقاً وغرباً بحثاً عن الرقيق، واستغرقت رحلاتهم الأيام والشهور، وتحملوا عناء السفر ووحشة البحار، وأنتجوا تجارة رابحة حققت لهم المال الطائل وحققت لهم المركز العالي عند سلاطين المماليك[٢].

وأطلق على تجار المماليك الذين يزاولون عملية تجارة الرقيق عدة القاب في عصر سلاطين المماليك؛ مثل الخواجا أو الخوجكي، أو تاجر الخاص، وغالباً ما يقصد بالخواجا تاجر المماليك من الأجانب[٣]، ويساعد الخواجا شخص يدعى دلال الرقيق[٤].

ولا بد من توفر عدد من الصفات في تاجر المماليك، فيشترط فيه ان يكون صدوقاً، ثقةً، اميناً، عادلاً، ومشهوراً بين الناس بالعفة والصيانة، وملماً بصفات تساعده في مزاولة مهنته كنخاس منها: معرفته بالعلل والامراض وبصيراً بالعيوب[٥].

ولقد احتل تجار المماليك المكانة الرفيعة عند سلاطين دولة المماليك، ويشير المقريزي انه عندما قدم إلى السلطان برقوق سفراء الفرنجة من مدينة جنوة، كان من ضمن هؤلاء الخواجا علي بن مسافر أخ الخواجا عثمان بن مسافر، والذي يعتبر من أكبر تجار المماليك ويعود له الفضل في جلب عائلة السلطان برقوق واقاربه، وكمكافئة له أغدق عليه السلطان برقوق الخلع والهدايا الثمينة[٦] ، وهو نفسه التاجر الذي جلب السلطان برقوق قبل ذلك من بلاد الجركس، وعينه السلطان حاجي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م أتابك العسكر وعمل عثمان على استغلال منصبه أفضل استغلال حيث جلب العدد الكبير من المماليك من مدينة جنوة وغيرها[٧].

١.المقريزي: الخطط، ج٢، صفحات ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٧.

٢. الصابي: رسوم دار الخلافة، ص٢١.

٣.القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، صفحات١٢-١٥؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج٩، ص١٨١.

٤. ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

٥. الشيزري: نهاية الرتبة طلب الحسبة الظريفة، تحقيق د. السيد، ص١٣٢.

٦. المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٥٨٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢٣.

٧. المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤٧٦؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص٣٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هؤلاء التجار الخواجا صاحب الثروة والوجاهة مجد الدين إسماعيل بن ياقوت السلامي[١]، والخواجا علاء الدين السيواسي[٢]، والخواجا محمود شاد الرومي[٣]، والخواجا عبد الرحمن[٤] والخواجا بشبغا[٥] والخواجا الكمال الخطائي[٦]، والخواجا علاء الدين علي[٧].

٣. جمارك الرقيق (المكوس).

كانت تؤخذ ضريبة المبادلات التجارية المكوس كضريبة مرور على السلع التي تمر في الديار المصرية سواء من المماليك أو غيره من السلع، وتفاوت ذلك من مكان لآخر، فتأثرت بذلك عملية جلب المماليك، وتفاوتت أسعار المماليك تبعاً إلى قيمة الضرائب المفروضة عليه، فكان تجار العرب يدفعون الضرائب إلى غيرهم من الاجناس كالروم، ومقابل ذلك كانت الامم الأخرى يدفعون الضرائب إلى المسلمين كتجار اليهود والمسيحيين[٨]، وذلك لانهم يستعملون الطرق والموانئ والمرور ويقومون على تبادل السلع بالأسواق وشراء ما يحتاجونه منها، فعلى سبيل المثال كان التجار العرب الذين يسلكون طريق "إتل" البري أو البحري إلى بلاد البلغار يدفعون ضريبة على تجاراتهم تقدر بـ (١٠/١)[٩].

وكانت تؤخذ الضرائب في مراكز جمع المكوس كمدينة تنيس ومدينة دمياط، ويتم تفتش المراكب قبل سفرها ويقوم يجمع الضرائب شخص يسمى الضرائبي، ويحتل مكان مسيطر ليستطيع مشاهدة أكبر قدر من المساحة، ويصل ما يجمعهُ ألف دينار يوميًّا[١٠] ومثله باقي الاشخاص الذين ينتشرون على طول ساحل البحر سواء في منطقة الصعيد أو في منطقة الإسكندرية التي تؤخذ فيها الضرائب

١.ابن حجر: الدرر الكامنة، ج١، ص٤٠٧.
٢.ابن تغري بردي: المنهل، ج٤، ص١٥٦.
٣.ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٤.
٤. ابن تغري بردي: المنهل، ج٢، صفحات٤٣٧، ٤٣٨.
٥.السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧.
٦. ابن تغري بردي: المنهل، ج٤، صفحات ٣١-٤٣.
٧. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٠٨.
٨ .القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٣١.
٩. المصدر نفسه، ج٣، ٥٣١؛ ابن حجر العسقلاني: انباء الغمر، ج٢، ص٦٤.
١٠. المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، صفحات، ١٠٥، ٢١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من مراكب أهل الروم غالباً، ومثلها يطبق في الفرما على مراكب أهل الشام، وكان تجار اليهود يدفعون الضرائب على الرِّقيق المجلوب من شرقي أوروبا، الأمر الذي أدى بهم إلى اللجوء إلى الحيل للتهرب من دفع الضرائب كالأدعاء بالحرية لعبيدهم[١].

كما كانت تؤخذ الضرائب والمكوس في الموانئ الإسلامية الاخرى، ففي مدينة جدة يؤخذ نصف دينار عن كل حمل حنطة، و ثلاث دنانير عن الثياب الشوطي، و ديناران عن كل حمل الصوف و دينار عن سلة الزعفران، و دينار عن كل رأس من المماليك[٢]، وتؤخذ الضرائب في ميناء عدن عن السلع كضريبة العنبر، وتؤخذ ضريبة في طرابلس على مرور القوافل سواء على الجمال والبغال والرِّقيق والغنم والحمير والأحمال والمحاميل[٣]، وفي "أطربزندة" وأنطالية[٤] كانت تؤخذ ضريبة على كل السلع التي ترد من بلاد الإسلام[٥].

٤. أسواق الـرقيق في مصر.

تعتبر مراكز تجمع المماليك هي الأسواق التي تزود الأسواق المحلية للديار المصرية، وكان من الضروري إيجاد المكان المناسب لاستيعاب الاعداد الكبيرة من الرقيق من أجل الشراء والبيع، في فترة كانت بها دولة سلاطين المماليك أكثر المناطق طلباً للمماليك على اختلاف اجناسهم في خلال فترة حكمها.

وأوجدت الدولة الأسواق المختلفة، ومن تلك الاسواق التي يباع فيها المماليك كسوق الخليلي في القاهرة، وعرفت ساحة واسعة لبيع الرقيق تسمى ساحة الرقيق، ثم بني على اثرها سوق كبير لبيع الرقيق عرف بسوق مسرور وبقي الرقيق يباع فيه حتى ٨٤٩هـ/١٤٤٥م[٦].

---

١. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، ص٥٣١؛ المقريزي: الخطط ج١، ص١٠٩؛ آدم متز: الحضارة الاسلامية، ص٢٢٨.

٢. المقدسي : احسن التقاسيم، ج١، ص١٠٤.

٣. ابن حوقل: صورة الارض، صفحات،٢٤، ٦٩.

٤. بلد من مشاهير بلاد الروم كان أول من نزل انطاليه بنت الروم بن اليقين بن سام بن نوح، فسميت باسمها وهي حصن يقع على شط البحر منيع واسع الرساتيق كثير الاهل ينتهي إلى خليج القسطنطينية، للمزيد انظر: ياقوت: البلدان،ج١، ص٢٧٠.

٥. ابن حوقل: صورة الارض، ص١٩٧.

٦.المقريزي: الخطط، ج٢، ص٩٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما عرف هنالك حجرتان كان يباع فيهما المماليك المجلوبين من بلاد الأتراك وبلاد الروم[١] ووجد سوق في القاهرة عرف باسم سوق الجواري يباع فيه الجواري[٢]، واشتهر بالقاهرة سوق الخلعيين والذي يقع بالقرب من باب زويلة يباع فيه الرقيق[٣].

واشتهرت مدينة قوص بالتجارات ومنها تجارة الرقيق حيث كانت تعقد بها اسواق لبيع الرقيق الاسود[٤]، ومن اسواق الرق الاسود قرية بلاق وتعتبر حلقة وصل تجارية ما بين مصر وبلاد النوبة[٥].

٥. أساليب البيـع وتـداول الـرقيق في الأسواق.

إن عملية بيع المماليك تكثر فيها عمليات التدليس أكثر من التجارات الأخرى، ويشترك بها كل من الخواجا والدلال والمشتري، فهدف التاجر من تجارة المماليك هو الكسب الربحي، فيعرض ما جلبه من المماليك من مصادرهُ المختلفة سواء من الاسواق البلاد المصرية أو الاسواق الخارجية طلباً للمال، والمشتري هو الشخص الذي يريد أن يلبي حاجته من المماليك سواء سلطان أو خليفة من المماليك، ويساعده شخص أخر يدعى الدلال مقابل الثمن ويعتبر حلقة الوصل بين البائع والمشتري هدفه هو البيع للمملوك ليحصل على المال، ولذلك هو غير مؤتمن الجانب، ولعل لانحطاط قيمته المهنية ضُرب فيه المثل فقيل "أخنث من دلال"[٦].

ومن أنواع البيوع التي اختصت ببيع الرِّقيق "بيع الخيار"، وعرف ببيع العهدة أو الرجعة ومن القول لا عهدة أي لا رجعة لي والضمان على البائع[٧] ، ولا يشترط البائع البراءة من العيب، فما أصاب المشتري من عيب في أيام العهدة فهو من مال البائع، ويرده المشتري بلا بينه، وهو جائز

١.المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٤.

٢.المقريزي: السلوك، ج٢، صفحات٢٢-٣٣.

٣. المقريزي: الخطط، ج١، صفحات٤٠٨،٣٦٣؛ نفسه، ج٢، صفحات١٦، ١٠٤.

٤. حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية، ج١، صفحات ٥٨، ٢٦٠.

٥. هي بلد تقع في اخر اعمال الصعيد واول بلاد النوبة وتنتهي اليها سفن النوبة وسفن أسوان المقريزي: الخطط، ج١، ص١٩٩؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٤٧٨.

٦. الزبيدي: تاج العروس، ج٥، ص٢٤٣.

٧. القيرواني: الرسالة، ج١، ص١٠٤؛المزني: مختصر المزني في فروع الشافعية، ص٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في البياعات جميعها، استناداً لقوله صلى الله عليه وسلم: "المتبايعان بالخيار، كل واحد منهما على صاحبهُ ما لم يفترقا، إلا بيع الخيار"[١].

كانت العادة المتبعة في عملية الشراء للمملوك، أن يُعرف بالبائع لذلك المملوك، أو يأتي بمن يعرف به، ويجب أن يكون عنده سجل يستخدمهُ ويحتوي على اسم ووصف للمملوك، وأي ملاحظات عنهما، حتى لا يكون المبيع مسروقاً أو حراً أو فيه عيب[٢] ، فلا يجوز التدليس بالعيوب، وذلك لأن الله عزوجل نهى عن أكل المال بالباطل استناداً لقوله تعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل}[٣] ، فالتدليس بالعيوب باطل حرمهُ الله عز وجل وهو نوع من أنواع الغش[٤].

كان هنالك وجهه أخرى لبيع الخيار وهي المدة من الوقت بين البائع والمشتري، واختلف الفقهاء في مدة ذلك المتفق عليها فكانت تتراوح ما بين أربعة أيام إلى سبعة أيام، وأجاز بها الإمام مالك للعبد والجارية مدة شهر كونهُ يحتاج الرِّقيق إلى فترة طويل لكشف عيبه، أما العيوب التي تحتاج إلى وقت أطول للكشف كالجنون فعهدتها سنة[٥].

أثناء تلك العهدة المتفق عليها إذا ظهر بالرِّق عيب رُد إلى صاحبه، سواء كان عيبًا يعود للتدليس فيه أو لا يمكن التدليس فيه، ويكون ذلك خيار العيب الذي ينقص من قيمة العبد أو الجارية، فلا بد من تدوين صيغت ذلك بوثيقة قيام بعيب[٦].

من البيوع التي أختصت بالرِّقيق دون غيره "بيع البراءة"[٧] فلا يبرأ من باع بالبراءة في غير الرِّقيق، ويكون براءة البائع من كل عيب في المبيع، شرط أن لا يعلم به البائع، فمن باع رقيق بالبراءة فقد برئ من كل عيب ولا يكون له عهدة في الوقت[٨].

---

١. الإمام مالك: المدونة، ج٣، ص٢٢٢.

٢.ابن الأخوة: معالم القربة الظريفة، ج١، ص١٥٢.

٣. سورة البقرة: آية رقم (١٨٨).

٤.ابن رشد: المقدمات الممهدات، ج٢، ص٩٩.

٥. المصدر نفسه، ج٢، ص٨٨.

٦. المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٦؛ طيفور: رحلة، ص١٣٤.

٧. القيرواني: الرسالة، ج١، ص١٠٥.

٨. ابن رشد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة"، ط٢، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان،(١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)،ج٨، صفحات ٣٤٤،٣٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجرت العادة عند المماليك بيع الاب لابنه والأخ لأخيه ظناً منهم بأن الله سيرعى الاطفال أينما ذهبوا[١]، أما عن عملية البيع والتقليب فتبدأ بالمزاد العلني[٢]، يقوم الدلال بالمناداة على المملوك المعروض، ويسأل الدلال عما يرد أن يعرفهُ عن الرِّق، وتبدأ عملية معاينة العبد أو الجارية من قبل المشتري، بعد أن أخذ فكرة عامة عن العبد أو الجارية بعد أن جمع معلوماته من خلال إجابة الدلال، فتكون عملية البيع بان يجرد المملوك من ثيابه، ثم يطرح عليه عباءة من لباد، وترفع العباءة عند تعيين سعر المملوك ويعمل على فحص المملوك ويمشي ذهاباً واياباً، حتى يتأكد المشتري من خلوه من اي مرض أو عيب جسمي[٣].

وبرع تجار المماليك في أساليب التدليس، وكانت تعود عليهم بالأموال الطائلة، حتى قيل عن بعض التجار: "حناء بدرهم يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة"[٤]، فعملوا على إخفاء العيوب كالوشم[٥]، وأزالوا روائح الفم بالسعوط[٦]، وعلى الرغم من حرص المشتري للمماليك فإنه وقع كثير من المشترين في عملية التدليس المتبعة من قبل النخاس، فكثيراً ما كان يموت العبد أو الأمة بعد وصوله بيت المشتري بأيام قليلة، لإصابته بمرض ما أو عدوى[٧].

ولمراقبة عملية البيع والشراء اوجدت الدولة وظيفة المحتسب ليراقب الدلالين ، ويعاقب الدلال اذا أهمل أو لم يتقيد بعملية البيع الصحيح، فلا يجوز لدلال ان يبيع عبد او جارية مالم يعرف ببائعه أو

١.طيفور: رحلة، ص١٣٤.

٢. أبو يوسف: الخراج، ص٢٠١.

٣.طافور: رحلة، ص١٣٤.

٤.الثعالبي: الشكوى والعتاب، تحقيق: د. إلهام عبد الوهاب، كلية التربية الاساسية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،ج١، ص٤٣.

٥. الحنبلي: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبل (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) ،"شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، بيروت، (ب ت)، ج٣، ص٣٥. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

٦.الدواء الذي يصب في الأنف مكان النفخ وأسعطته إياه وأستعط هو لنفسه، المطرزي: المغرب في ترتيب المعرب، ج١، ص٢٢٥؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٦٣؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٩، ص٤٣٨.

٧. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٦١٠ ، وللمزيد عن اساليب التدليس أنظر كلاً من: ابن بطلان ومحمد الغزالي (محمد الغزالي) لم يستدل على تاريخ الوفاة، هداية المريد في تقليب العبيد"، تحقيق: عبد السلام هارون مجموعة نوادر المخطوطات المجموعة الرابعة، القاهرة (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، فقد الفا رسائل تتضمن وصايا للانتفاع بها عند شراء الرِّقيق وذكرا وبدقة أساليب التدليس التي يستخدمها النخاسون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالشخص الذي يعرفه، ويجب على الدلال تقييد المعلومات في دفاتر لسهولة الرجوع اليها[١] .

ويراقب المحتسب الأمور الشرعية الواجب توفرها عند عملية بيع الجارية أو العبد، ومنها انه لا يجوز بيع جارية او مملوك إذا كانا مسلمين لأحد من اهل الذمة إلا ان يتبين ان المملوك ليس مسلم[٢]، ومن الامور الشرعية الاخرى انه من اراد شراء جارية له ان ينظر إلى وجهها وكفيها، ولا يجوز النظر اليها في بيت خلوة، ومن اراد شراء غلام له ان ينظر ما فوق السرة ودون الركبة، يكون ذلك قبل العقد، وبعد كتابة العقد يجوز له ان ينظر إلى جميع بدن الجارية، ولا يجوز التفرقة بين الجارية وولدها[٣].

ولعبت عوامل عدة في اسعار الرقيق، فالجنس كان من اهم تلك العوامل فلكل جنس صفاته التي تلعب بسعره فالمملوك الجركسي كان اعلى الاسعار فتراوح سعره من ١١٠- ١٢٠ دوكات[٤]، وكان لدرجة جمال الجارية الدور الكبير في رفع سعرها وكانت جواري الترك من اعلى الاسعار وبيعت بكثير من الالوف[٥]، ويذكر المقريزي في احداث سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م أنه بيعت إحدى عشرة جارية تراوح سعرهن ما بين اربعة الاف درهم للجارية إلى أربعة الاف درهم[٦].

كان للحالة الصحية للعبد أو الجارية دور كبير في تحديد سعره، ويتذبذب سعر المملوك المذكر أو المؤنث في أوقات الأزمات وسنين القحط والجفاف، حيث اثر انتشار الأمراض على سعر الرقيق، فكان نتيجة تلك الامراض هو موت الرقيق بل والناس الاخرى فقد بلغ عدد الموتى الذين ماتوا في مصر بالطاعون كما يذكر المقريزي، أكثر من مائة ألف انسان في مدة شهر رمضان وشوال وذي الحجة[٧].

---

١. المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، صفحات٦٣٦، ٦٣٧.

٢. ابن الاخوة: معالم القربة، صفحات ٣٣٨، ٣٣٩.

٣.الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، صفحات٨٤، ٨٥.

٤. الدوكة هي الدينار البندقي نسبة إلى الدوك وهو ملك البندقية؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، صفحات٤٠٤، ٤٠٥.

٥. المقدسي: احسن التقاسيم،ج١، ١٠٢.

٦. المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، صفحات٤٤١، ٤٤٢.

٧. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص١٠٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: مراكز تجمع الرقيق والطرق والموانئ التجارية المملوكية:

ساهم موقع دولة سلاطين المماليك في سهولة التبادل التجاري وسهولة حركة التجار بين الشرق والغرب وانها تشرف على أهم الطرق المنتظمة ما بين الشرق والغرب، كالطرق التي تمر باتجاه الهند[١]، ووقوعها على البحر الرومي، واتصال موانئها بالقارة الاوروبية، ولم تكن هنالك عوائق تحول حول حرية حركة تجار المماليك حيث كانوا يسافرون ويشترون ويبيعون دون عائق يذكر، وكان لطلب المماليك الدور البارز في الاسراع في حركة النقل التجارية من خلال طرق المواصلات البرية والبحرية[٢].

ركز تجار المماليك بالدرجة الأولى على تجارتهم لما تحققهُ من الأرباح الطائلة، وكان اغلب الوسطاء من الأعاجم واليهود والروس والنصارى والعرب والفرس الذين يجلبون من الغرب والشرق الخدم والغلمان الدور الكبير في تجارة المماليك[٣] ، ونتج عن ذلك توفير الأجناس المختلفة من الرِّقيق[٤].

كان يُحمل المماليك عن طريق ثلاث اتجاهات رئيسية بواسطة السفن، القادمة من بلاد الصقالبة الواسعة التي تمتد في أوروبا الوسطى، ويأتي به عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى الديار المصرية، والتي تكثر على سواحله الأسواق القديمة كسوق مدينة الإسكندرية، ومدينة صور، وبيروت، وبيزنطة وطرابزون[٥] وغيرها.

---

١. ابن اياس: بدائع الزهور، ص١٢٥.

٢. الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤١.

٣. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ص١٤؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة السلاطين، ج١، ص١٢.

٤. اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٢.

٥.مدينة مشهورة في بلاد الروم تقع شرقي سامسون واكثر سكانها من اللكري؛ القرماني: أخبار الدول وأثار الاول، ج٣، ص٤١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومحور بلاد الهند، وتأتي السفن به عن طريق الخليج العربي وطريق البحر الأحمر[١] ، وطريق بلاد السودان التي تمتد على حافة البحر، وتأتي به السفن عن طريق البحر الأحمر، لتلتقي جميعها بما تحمله من مماليك في اسواق البلاد المصرية، وسأتطرق إلى ذكر أهم مراكز تجمع المماليك مع ذكر سمات كل نوع على النحو الآتي:

١.مراكز تجمع المملوك الأبيض وسماتهم:

تعددت مراكز تجمع المملوك الأبيض في آسيا الصغرى، فاختصت مراكز عدة في تجمع المماليك ذات اللون الأبيض المجلوب من بلاد اليونان والأرمن والبلغار[٢]، والترك والألبان والسلاف والصربيون[٣]، كما تعتبر أرمينية وبلاد فارس وحوض بحر قزوين وبلاد التبت وآسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين من المناطق التي يكثر فيها هؤلاء[٤].

يمتاز المملوك الأبيض بالجمال والوسامة والذكاء والشجاعة والجلد وغير ذلك من الصفات المرغوبة، وأطلق عليه لفظ "مملوك"، وعرف أيضاً بالرِّق الصقلبي[٥]، وغالباً ما يأتي به التجار عن طريق الشراء ومن أجناس المملوك الأبيض: المماليك الصقالبة[٦] والذين يعتبرون من أهم موارد المماليك ذوي البشرة البيضاء[٧].

---

١. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥٤؛ هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى، ص١٤.

٢. مدينة تقع في أرض الصقالبة في الشمال، تقع ناحية منها على ضفة نهر اتل، وتمتاز بشدة البرودة يستمر الثلج على أراضيها على مدار العام تقريباً انظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص٧؛ ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص١٠٦.

٣. المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٣٢٥؛ فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى،: تاريخ التجارة، ص٢٢٣؛ علي ابراهيم حسن، قيام دولة المماليك البحرية، ص٢٣.

٤. البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٣٢.

٥. المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٢٠٨.

٦. ينسب إلى جزيرة صقلية وهي جزيرة مثلثة الشكل، وفردها، صقلب، والصقلبي كلمة مشتقة من "Sklavoi" وأطلق عليهم اسم السلاف "Slave" والتي تعني الرقيق أو العبد، وهي كثيرة البلدان والقرى كثيرة المواشي، وكثيرة المعادن، للمزيد انظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٠٩؛ القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، ص٢١٥، عباس، إحسان: العرب في صقلية، ص ٢٤.

٧.الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج١،صفحات٢١٠،٢٠٦،٢٠٢؛المقدسي:احسن التقاسيم،ص٢٤٢، ابن الجوزي: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش،" تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، السعودية، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)،ج١، ص٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وينسب الصقلبي إلى جزيرة صقلية التي تقع مقابل قارة إفريقيا، وسكن الصقالبة في المناطق الوسطى والشرقية من بلاد الروم، والممتدة جنوباً حتى البحر الأبيض المتوسط وشمالاً حتى بحر البلطيق، وغرباً حتى المحيط الأطلسي، وأتسع مدلول كلمة صقلبي ليعرف بها الرِّق ذو الأصول الأوروبية السلافية "Slave "[١].

تعددت أجناس الصقالبة وتباينت صفاتهم الجسدية[٢]، ويرجعهم بعض الجغرافيين الى العنصر الابيض، فالمقدسي (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) يرجعهم إلى العنصر الأبيض الذي يشتد بياضاً وزرقة عيون وكثافة الشعر في لحاهم كلما اقتربوا من مغرب الشمس وهو ما يلي البحر ومنهم البربر [٣] .

لعب تجار البندقية وجنوة دور كبير في جلب الاعداد الكبيرة إلى أسواق البلاد المصرية[٤]، وكما لعب تجار اليهود الرهدانية أو "الراذانية"[٥] الدور البارز في جلب الرِّقيق الأوروبي إلى الديار المصرية، من ضفاف نهر الراين وجبال الألب[٦] ، وكما يعتبر شمال إفريقيا مصدراً للرق الصقلبي، والغلمان الرومية، والإفرنجية، والجواري الأندلسية[٧].

---

١. ابن حوقل: صورة الارض، ج٢، ص١٠٦.

٢. البكري: المسالك والممالك، ج١، صفحات، ١٨٥، ١٨٦.

٣. المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٢٤٣.

٤ .القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٤٦٠.

٥. اختلف الباحثون حول معنى التسمية، فمنهم من يرى أنها تشير إلى أصلهم ومنهم من يرى انها مرادفة لعبارة جوابوا البلاد أي رحالة، وذهب البعض إلى أن "الرهدانية" من الفارسية (راه– دان) بمعنى العارف بالطرق والمسالك، وقد تكون سبب التسمية إلى موطنهم في وادي الرون، واشتق منه اسم الرهادنة، انظر: ابن الفقيه: البلدان، ص٢٥٢؛ هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادنى، ج١، ص١٤٢.

٦. المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٦٣١.

٧.ابن الفقيه: البلدان، ص١٣٥؛ زيادة، نقولا: "الجغرافيا والرحلات عند العرب"، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما المماليك الذي يؤتي بهم من أرمينية[١] : فيتصف أهلها بشقرة الشعر، وبياض الوجوه، وزرقة العيون حتى لا يكاد يُرى في عيونهم سواد، ويستخدمون زيت الجوز للأكل ويسرجون منه[٢]، وكانوا يتاجرون به مع البلاد المصرية[٣].

الأندلس (إسبانيا) : من أهم مراكز المملوك الأبيض البربري، وكان لموقعها الدور البارز في تجمع الرِّق في العالم الإسلامي، ولعب تجار الأندلس دور الوسيط في جلب الرِّق وتصديره إلى مختلف بقاع الأرض، ومعظم تجارها من العرب واليهود الذين سكنوا في قلب الأندلس والمدن الأخرى كطرطوشة[٤]، واليسانة[٥]، ومدينة برغش[٦]، وطركونه[٧]، ومنطقة حصن اليهود[٨]، ومدينة أربونة[٩] وغيرها من المدن.

---

١ . بكسر أوله وأسكان ثانيه، بلد معروف ويضم كوراً كثيرة، وسميت بكون الأرمن يسكنوا فيها، وهم أمة كالروم، يغلب على سكانها الروم، فتحة على يد القائد المسلم سلمان بن ربيعة الباهي سنة (٢٤هـ/٦٤٤م)، زمن عثمان بن عفان؛ للمزيد انظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطارص٢٥؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٢٩٩.

٢. بفتح القاف وسكون السين وفتح الطاء شجرة من فصيلة البلوطيات ينمو في المناطق الدافئة المعتدلة في نصف الكرة الشمالي له ثمر يؤكل مشوياً وهو الذي يسمى " أبو فروة"، عمارة ، محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص٤٥٥.

٣. الجاحظ: "التبصر بالتجارة"، تحقيق: حسن عبد الوهاب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٣٤.

٤. مدينة قديمة بالأندلس تقع على ساحل البحر ولها سور من الرخام وبها أبنية حصينة وأبراج منيعة، ويسكنها مع اليهود بعض الروم؛ للمزيد انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦٣؛ القرماني: اثار الدول واخبار الاول، ج٣، ص٤١٣.

٥. مدينة يسكنها اليهود وهم أغنياء ومياسير، انظر: الإدريسي: نفسه، ج٢، ص٥٧١.

٦. مدينة كبيرة حصينة ومنيعة، يفصلها نهر وهي رصيف للقاصد والمتجول من التجار و الأغلب على أهلها اليهود وهي حصينة ذات أسواق وتجارات؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٨٩٣؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٧٣٢.

٧. مدينة تقع على الساحل وهي بين حد المسلمين والروم يسكنها اليهود، ولها مرسى ورصيف، وحسن مياهها؛ الإدريسي: نفسه، ج٢، ص٣٧٤؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٣٢.

٨ . حصن يسكنه اليهود يقع بين لباذة شرقاً ونبطة غرباً، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٨١٦.

٩. بفتح أوله ويضم ثم سكون وضم الباء الموحدة وسكون الواو والنون والهاء، وهي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في طرف الثغر من أرض الأندلس جنوب فرنسا، وهي الآن بيد الفرنجة، للمزيد انظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٨٩؛ ابن الفقيه: البلدان، ص١٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الملاحظ على تلك المدن وفرة الأسواق وأنها محصنة تقع معظمها على ساحل البحر، ويتوفر فيها الفنادق التي بلغ تعدادها ما يقارب ألف فندق، وتحتوي على الخانات التي تخدم التجار القاصد والمتجول من المناطق الأخرى لتحقيق راحة وأمان التاجر وتوفير السلع والإعداد المناسبة من الرِّق[١].

يعتبر الروس كذلك من وسطاء الرِّق في الأندلس الذين سبق ذكرهم، وأطلق عليهم تجار "الروس"، للدلالة على الشعوب الشمالية الاسكندنافية، ويؤكد ذلك ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)[٢] في قوله: "إن الروس أمم كثيرة، وأنواع شتى، ومنهم من يقال لهُ "اللودغانة"، وهم الأكثرون، يختلفون بالتجارة إلى بلاد الأندلس القسطنطينية والخزر" ولا يخالفه في ذلك كلاً من المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧) الإصطخري(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وابن حوقل (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)[٣].

يصدر من الأندلس الرِّقيق إلى مختلف أنحاء العالم وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من جلب الأندلس[٤]، وأستمر تدفق السبي الأندلسي إلى مدينة بغداد عبر نهر دجلة، وسبي "الخزر" عبر نهر الفرات[٥]، وعرف البربر بجمالهم الفائق والبربريات الفاتنات التي يقول فيهن البكري:" بها جوار حسان الوجوه بيض الألوان"[٦].

خُراسان: وجُلب المملوك الأبيض من بلاد خُراسان إلى جانب السلع التي كانت تجلب إليها كالسمور والدواب والغنم التي تجلب من بلاد الغزية ومن بلاد الغور، وتجلب إليهم كذلك الثياب القطن

---

١. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٨١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، صفحات، ٥٣٦، ٧٣٢.

٢. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، "المسالك والممالك"، دار صادر أفست ليدن، بيروت،١٨٨٩م، ص٢٦٢.

٣. المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٤١؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥٣؛ الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٢٣؛ ابن حوقل: صورة الارض، ج٢، ص٣٩٧.

٤. ابن حوقل: صورة الارض، صفحات،١٠٦،١٠٥.

٥. ابن الفقيه: البلدان، ص٣٣٠.

٦. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والابرسيم[١] التي تجلب إلى مدن خُراسان كمرو ونيسابور[٢] وغيرها من احتياجات الناس، ومعظم الأتراك الذين في خُراسان يطلق عليهم لفظ "نوشجان"[٣]، والمملوك الخُراساني فاق غيره لما له من صفات أعطته تلك الميزة فلا يضاهيه أي رق في الأرض، وعرف بارتفاع الثمن، حيث بيع الغلام منهُ بثلاثة الآف دينار، وبلغ عندهم ثمن الجارية التركية ثلاثة الآف دينار فلم يبلغ هذا الثمن أي رق على وجه الأرض لا غلام ولا جارية ولا مولودة[٤].

ومن مراكز تجمع المملوك الأبيض بلاد ما وراء النهر[٥]: وهي ملتقى التجار ويجلب إليها الرِّق والسمور[٦] من بلاد الأتراك، وما زاد عن حاجتهم صدر إلى مختلف المناطق، وأتصف رق ما وراء النهر بالحسن والجمال وغلاء الثمن، وتعتبر مدينة "سمرقند"[٧] مجمع الرِّق وبها يكون أفضل

---

١. بكسر الهمزة وسكون الباء وكسر الراء وهو نوع من أنواع الحرير؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص٢٦.

٢ .هي إحد ى كور خراسان، تعرف بابرشهر، تقع في ارض سهلة، ابنيتها من طين وأشهر أسواقها سوق المربعة الكبيرة وبها ومسجد جامع، للمزيد انظر: الأصطخري: المسالك والممالك، ص٢٥٤؛ ياقوت: البلدان، ج٥، ص٣٣١.

٣. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٢٦٢؛ الأصطخري: المسالك والممالك ، ص٢٨٢.

٤. ابن حوقل: صورة الارض، ج٢، صفحات، ٤٥٢، ٤٦٥.

٥. بلاد ما وراء النهر: بلاد يحيط بها من جهة الشرق بلاد التبت ومن جنوبها خراسان والمناطق التابعة لها، ومن غربيها الغور، وهي بلاد عظيمة عامرة ، وأهم مدنها سمرقند وبخارى وخوارزم ومر وترمذ؛ انظر: مجهول: مجهول، توفي ما بعد (٣٧٢هـ/٩٨٢م)، "حدود العالم من المشرق إلى المغرب"، تحقيق: السيد يوسف الهادي ومترجم عن الفارسية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص١٢٦.

٦. هي دابة معروفة تكون في بلاد الروس وراء بلاد الترك تشبه النمس ومنها ما لونه الأسود الامع و الاشقر ويتخذ من جلدها الفراء الثمينة، للمزيد انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٨٠؛ الزبيدي: تاج العروس، ج١٢، ص٨١.

٧. سمر قند: بفتح أوله وثانيه وهي بلد مشهور ومعروفة ويقال لها بالعربية سمران، تقع جنوب وادي الصغد وهي من مدن خراسان في ما وراء النهر وهي قصبة الصغد، بناها شمر أبو كرب، وهي ملتقى الطرق التجارية القادمة من الهند مارة ببلخ ومرو يوجد بها كثير من الأسواق والحمامات والخانات وهي خصبة التربة وتعتبر مركز إقليم الصغد، للمزيد انظر: الاصطخري: المسالك والممالك،ص٣١٦؛ المقدسي: احسن التقاسيم، ص٢٧٨؛ كي لسترنج: بلدان الخلافة، صفحات،٥٠٧، ٥٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رقيق فيما وراء النهر[١]، وكما يجلب الرِّق إليها من هراة وسجستان و بلاد الغور[٢] ونواحيها حيث يقوم أهل هذه النواحي بسرقة أبناء ونساء بعضهم البعض ويجلبونهم إليها[٣].

اما خوارزم[٤]: فالرواية عند المقدسي عن أهلها بأنهم كانوا من خاصة حاشية الملك، غضب عليهم الملك وأسكنهم في أرض لا تصلح للعيش خالية من العمران، وبعد فترة من الوقت أرسل برسول يأتيه بأخبارهم، فأجابه الرسول بانهم أحياء وبنوا لأنفسهم مساكن بسيطة ويعيشون على السمك ويجمعون الحطب، وأخبره أنهم يسمون اللحم "بخوا" والحطب "رزم"، فقرر الملك تسميتهم خوارزم وإسكانهم تلك المنطقة، وأرسل لهم أربع مائة جارية تركية، وكان الترك يسبون أهل خوارزم ويبيعونهم إلى الديار الإسلامية[٥].

يعتبر الشبه كبير بينهم - أمهاتهم تركية في الأصل- وحتى لا يتم بيعهم إلى ديار المسلمين، أمر رجال خوارزم نسائهم أن يربطن أكياسًا من رمل على رؤوس صبيانهم من الجانبين حتى تتم عملية أنبساط الرأس، فعندما عملوا هذا الشيء استطاعوا تمييزهم ولم يسترقوا[٦].

اشتهر أهل خوارزم بتجارة المملوك الصقلبي والتركي والفرو الصقلبي والخزري الذي يجلب من أواسط آسيا وأوروبا الشرقية[٧] ، وبلغ ثمن الغلام أو الجارية ثلاثمائة دينار[٨]، وكانت قوافل

---

١. ابن حوقل: صورة الارض، ج٢، ص٤٩٥.

٢. بلاد الغور: هي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق من همذان والى الجنوب من غرجستان و جوزجان أي المنطقة الواسعة الواقعة بين ولاية هراة وولاية غزنه وهي عبارة عن وديان المنطقة الجبلية التي يطلق عليها اسم "كوه بابا" وسفيد كوه، ولهم مدن وقرى كثيرة يؤتى منها بالرقيق والدروع والاسلحة، للمزيد انظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٨١، مؤلف مجهول: حدود العالم، ص٨٠؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٤٦٨.

٣. ابن حوقل: صورة الأرض، ج٢، ص٤٤٤.

٤. تقع خوارزم في بلاد تركستان الغربية، شرق بحر "آرال" وتشتمل على مصب نهر جيحون وبحيرة" آرال"، وتقع على مفترق طرق إلى بلاد خراسان جنوباً واقليم ما وراء النهر شرقاً، ومن أشهر مدنها مدينة كاث ومدينة هزار ومدينة كركانة، للمزيد انظر: المهلبي: الحسن بن أحمد المهلبي(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، المسالك والممالك، تحقيق: جمعة وتيسير خلف، (ب ت)، ص١٦٠؛ القرماني: أثار الدول واخبار الاول، ج٣، ص٣٢٩.

٥. المقدسي: احسن التقاسيم، ج٢، ص٣٨٥.

٦. نفسه، ج٢، ص٣٨٦.

٧. ابن حوقل: صورة الارض، صفحات،٣٧٦، ٤٦٥، ٤٨١، ٤٨٢.

٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٥١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التجار متصلة عن طريق خوارزم وبلغار، ومن تجارات أهل خوارزم الرِّق والسمور والسنجاب والشمع والغراء والنشاب والسمك والسيوف والدروع والأغنام والبقر وغيرها[١].

بلاد التبت[٢]: تعتبر بلاد الأتراك التبتية مركزاً مهمًّا لتجمع المملوك الأبيض، ويعمل أهلها بتجارة الرِّقيق مع كل من أهل فرغانة[٣]، وجبال البتم[٤]، وأرض خان[٥]، وبلاد الهند، وليس على الأرض أحسن ألواناً ولا أرق بشرة ولا أجمل خلقاً ولا أنعم أبداناً من رقيق الترك، وكان الأتراك يقومون بسرقة أبناء بعضهم البعض ويبيعونهم للتجار وقد يبلغ ثمن الجارية منهم ثلاثمائة دينار فما فوق[٦].

ثالثاً: الطرق التجارية الخارجية والطرق والموانئ المملوكية التي خدمت تجارة الرِّقيق (الأبيض والأسود) :

ساعد في نشاط تجارة المماليك عدد من الاسباب ولعل اهمها تشجيع سلاطين دولة المماليك لهذه التجارة، لتلبية الاحتياجات المتزايدة لطلب المماليك ومن ابناء جنسهم، وجود جار قوي يهتم في تجارة المماليك كتجار البندقية وجنوة، ويعتمد تجار البندقية وجنوة على أسطول بحري قوي، للبحث عن مصادر المماليك وبيعهم إلى أسواق البلاد وتتراوح أعداد هؤلاء المماليك ما يقارب ألفي مملوك سنوياً[٧].

---

١. اليعقوبي: البلدان، ج١، صفحات،٩٤، ٩٥.

٢. بلاد التبت: هي بلد بأرض الترك متاخمه لبلاد الهند ولأرض الصين ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوة، واهلها حضر وبدو، وسكانها من الترك وأتسم اهلها بالبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع الرقص، وأهلها في يسر ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها وسروجها وأنهارها للمزيد انظر: ياقوت: البلدان،ج٢، ص١٠.

٣. فرغانة: هي مدينة براغ تقع في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان وهي بلد تجارية تأتيها السلع التجارية من مختلف المناطق من بلاد المسلمين والروس والصقالبة ويحمل التجار من عندهم الرقيق وضروب الأوبار والقصدير للمزيد انظر: البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٣٢؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٢٥٣؛ متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٢٢٨.

٤. جبال البتم: ناحية بين الجبال والصخور من حدود اشروسنة، وهي كثيرة الزروع والفواكه وبها قرى كثيرة؛ مجهول: حدود العالم، ج١، ص١٣٠.

٥. ارض خان: إحدى مدن أقاليم ما وراء النهر تقع في أعالي نهر جيحون، وتعني كلمة خان المنزل أو فندق التجار أو محطة القوافل، وهو لقب يطلق على سلاطين الترك، تستخدم اليوم في إيران بمعنى السيد وهي في الأصل كلمة تركية، للمزيد انظر: ابن حوقل: صورة الارض، ج٢، ص٣٩٤؛ محمد التونجي: معجم المعربات الفارسية، ص٦٣.

٦. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٥١٣؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطارص١٣٠.

٧. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، صفحات٤٦٠-٤٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ساهمت الرياح الموسمية بدور رئيس في حركة التجارة في المحيط الهندي، واستغل التجار تلك الرياح لصالحهم ويظهر ذلك في قول المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م) : "ولكل من يركب هذه البحار من الناس أرياح يعرفونها، في أوقات تكون فيها مهابها، وقد علموا ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون ذلك قولاً وعملاً ودلائل وعلامات يعملون بها إبان هيجانهُ وأحوال ركوبه"[١] ، ويقصد بذلك معرفة التجار لأوقات هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية للوصول إلى الهند والصين، والرياح الموسمية الشمالية الشرقية للوصول إلى ساحل الجزيرة العربية والساحل الإفريقي، واعتمادهم على النجوم.

اما تجارة الرِّقيق في البحر الأحمر والخليج الفارسي فكانت مستمرة على مدار السنة[٢] ، ويسترشد التجار خلال ملاحتهم بمعرفتهم للسواحل البحرية من خلال الرحلات المتكررة وبالنجوم والخرائط والإبرة المغناطيسية[٣].

سأتطرق إلى الحديث عن شبكة الطرق الرئيسية منها البحرية والبرية التي سلكها تجار الرِّقيق (الأبيض والأسود) حتى البلاد المصرية وسيتم ذكر بعض الطرق البرية من خلال سياق الحديث عن الطرق البحرية كون هذه الطرق مكملة لبعضها:

ـ رابعًا: الطرق التجارية التي يمر بها المملوك الأبيض:

سلك تجار الرِّق الطرق التجارية البرية والبحرية تبعاً لمراكز تجمع الرِّق والمناطق التي غالباً ما تتشارك في تجارة الرِّق والسلع التجارية الأخرى، التي تتوافد إلى منطقة آسيا، والبلاد المصرية، ومن تلك الطرق التي ساعدت في جلب الأعداد الكبيرة من الرِّقيق الأبيض:

١. الطريق البحري الذي يربط كلاً من الصين والهند بالخليج الفارسي.

تنطلق السفن التجارية من مدينة "خانفو" (كانتون) الصينية التي تعتبر من أعظم موانئ

١.المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٦٨.

٢. المصدر نفسه، ج١، ص٨٧٠.

٣. المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصين[١]، وتجلب تلك السفن الجواري والخصيان من بلاد الصين والهند وبلاد فارس[٢]، ويعتبر النخاسين العراقيون رواد هذا الطريق إلى جانب السيرافيين والعُمانيين[٣].

كثر تواجد التجار العرب في مدينة "خانفو"[٤]، التي تعتبر مجمع للتجار وهي مترامية الأسواق في جميع أطرافها، وولى ملك الصين أمور التجار المسلمين إلى رجل مسلم- لم تذكر المصادر اسمه- كان يحكم بينهم ويصلي بهم ويكون أمامهم في صلاة العيد، ولا ينكر التجار العراقيين في ولايته شيئاً أو في حكمه أو علمه[٥] ، ومن خانفو يستمر الطريق البحري عبر عدد كبير من المحطات التجارية حاملاً معهُ إعداد الرِّقيق المختلفة فيعبر أراضي الساحل الصيني، كلوقين[٦]، وهي أول مرافئ بلاد الصين ومن ثم إلى الصنف(كامبوديا)[٧]، ويستمر بأتجاه أوتكين وهي أول موانئ الهند من حدود أهل السند، مروراً بعدد كبير من الموانئ الهندية، ويستمر باتجاه تارا وهي الحد ما بين السند وفارس، ويمر بعدد من الموانئ كجزيرة بن كاوان وجزيرة كيش وجزيرة "لاوان" وجزيرة "خارك" ومن ثم ميناء مدينة البصرة[٨].

---

١. هي مدينة صينية تقع على المحيط الهادي وكان العرب قد وصلوا إليها واطلقوا عليها اسم الخنساء وحرف إلى خانسو ثم كانتون وهو اسمها الحالي، للمزيد انظر: السيرافي: رحلة السيرافي، ج١، ص٧؛ العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج٣، ص٢٦؛ محمود شاكر: العالم الإسلامي، القاهرة، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٠٣.

٢. الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص٢٦؛ ابن خرداذبة: المسالك ولممالك، ص٧٠، الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٦٣.

٣. المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٠.

٤.البكري: المسالك والممالك، ص٢٥٩، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادنى، ص٤٤؛ ضيف، شوقي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٣٨؛ جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، ص٥٥٥.

٥. السيرافي: رحلة السيرافي، ص٧، ص٢٤؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٩٧.

٦. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٦٩؛ ضيف، شوقي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٣٩.

٧. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، صفحات،٦٨، ٦٢وما تلاها؛ السيرافي: رحلة السيرافي، ص١١٢.

٨. ابن قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، ج١، ص٤٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتفرع الطريق عند مدينة البصرة إلى عدة طرق برية ونهرية حتى مدينة بغداد، ومن مدينة بغداد يتفرع إلى فرعين فرع يتجه شمالاً باتجاه ديار العرب[١]، فرع يتجه غرباً باتجاه مدينة دمشق وتخرج منه فروع باتجاه موانئ سواحل البحر الأبيض المتوسط اي البلاد التي تخضع لحكم المماليك، ثم يواصل السير جنوباً بمحاذاة الساحل باتجاه البلاد المصرية مروراً بغزة ومن ثم برًّا يعبر الصحراء حتى مدينة القاهرة، ويتجه فرع شمال غرب باتجاه حلب ومنها إلى آسيا الصغرى ليلتقي بالطريق البري القادم من وسط آسيا ليتحدا معاً بإتجاه القسطنطينية وبلاد الروم.

عبر هذا الطريق لعب التجار الروس دور الوسيط في تنشيط تجارة الرِّق، والذي أرجعهم ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) إلى جنس الصقالبة[٢]، ومن المدن والموانئ التي لعبت دوراً في تجارة الرِّقيق عبر هذا الطريق مدينة خانفو، وهرمز[٣] وعمان[٤]، وسيراف[١] وجزيرة قيس أو "كيش"ـ كش" [٢] " وغيرها من المدن والموانئ.

١.هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل، بين بلاد الشام والعراق، ذات مدن وقرى كثيرة، قصبتها الموصل وحران وبها نهر دجلة، للمزيد انظر: ياقوت: البلدان، ج٢، ص٤٩٤؛ القرماني: أثار الدول واخبار الاول، ج٣، ص٣٦٨.

٢.ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٥٤؛ المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٨٢؛ الأصطخري: المسالك والممالك، ص١٣٢.

٣.هرمز مدينة شهيرة: ويقع ميناء مدينة هرمز في البر الفارسي على ضفة البحر الفارسي ولها خور، وهي فرضة كرمان، وتعتبر هرمز مركز تجمع للتجارات وبها الأسواق الكبيرة المتقنة، وامتازت بحسن عماراتها، ووجد فيها الفنادق والحمامات التي تخدم الرِّقيق وتجار الرِّقيق، ومنها تتجه المراكب إلى مختلف الاتجاهات، وتتصل مباشرة مع السفن الصينية والهندية، أنظر: ياقوت: البلدان، ج٥، ص٤٠٢؛ فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى،: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١١٨؛ ضيف، شوقي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص١٢٨.

٤.عمان: مدينة تقع على البحر اشتهرت بحرها الشديد، ويعمل أهلها بالصيد، وقصبتها صحار، ويعود صلب أهل عمان إلى عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي ولاه الرشيد عمان، ولعبت مدينة عمان دورا في تجارة الرِّقيق، وهي مدينة عظيمة، تجارها أغنياء، وتردها إعداد الرِّقيق من المشرق والمغرب بحكم موقعها، فهي ترتبط مباشرة مع السفن التي تحمل الرِّقيق الصيني والهندي ورقيق بلاد السند، للمزيد انظر: الأصطخري، المسالك والممالك، ص٢٧؛ الجاحظ: التبصرة بالتجارة، ج١، ص٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. الطريق البحري القادم من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى بحر القلزم[٣]:

يعتبر الطريق الأكثر أماناً، والاقصر مسافة إلى الديار المصرية، وهو من الطرق البحرية التي خدمت تجارة الرِّقيق الأسود[٤]، ويأتي هذا الطريق من جهة بلاد الصين وبلاد الهند والسند[٥]، وينقسم عند القلزم الى قسمين الأول يستمر باتجاه الشمال حيث مدينة دمشق وسواحل البحر الأبيض المتوسط، والثاني عبر الصحراء باتجاه القاهرة عبر نهر النيل، ويستمر هذا الطريق باتجاه

١.وتعتبر مدينة سيراف من أهم الموانئ التي خدمت تجارة الرِّق في العصور الوسطى، حيث موقعها المتميز على ساحل الخليج الفارسي وهي مدينة جليلة ولها مرفأ للسفن، وتتصل أبنيتها إلى جبل يصل إلى البحر، ليس بها ماء يحمد ولا زرع، وهي أشد بلاد فارس حَّرا، وأهلها ميسورو الحال يشتغلون بالتجارة، وينتشر فيها الزنا واللواط عندهم غير محظور، وتعد سيراف خزانة فارس وخراسان، الاصطخري: المسالك والممالك، ص٣٤؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤١٣؛ ضيف، شوقي: تجارة المحيط الهندي في ظل السيادة الاسلامية، ص١٢٦.

٢. (كيش– كش) هو تعجيم "قيس": جزيرة في وسط البحر قرب الساحل الشرقي للخليج الفارسي وتعد من أعمال فارس، وتكون حارة في الصيف شديدة السخونة، ومدينتها جميلة المنظر، ذات البساتين، ولها سور وعمارات، وهي مرفأ مراكب الهند والفرس وتعتبر جزيرة قيس (كيش) من الموانئ المهمة التي خدمت تجارة الرِّقيق، بل فاقت باقي المدن والموانئ وتعتبر من أعمال فارس، ومتجر العرب والعجم، وحولها جزر كلها لصاحب قيس، كجزيرة "جاسك"، الحميري: مسالك الابصار وممالك الامصار، ص١٥٧؛ القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص٤٠٦.

٣. أشتق اسمه من القلز الذي هو الشرب الشديد، يقال قلزمه أي ابتلعه والتهمه، وبحر القلزم مشتق منه وبه سمي القلزم وهو المكان الذي أبتلع فرعون وقومه، ونسب إلى مدينة القلزم التي تقع على طرف البحر الأحمر وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء ويحمل إليها الماء من آبار بعيدة منها، ومنها تحمل بضاعات مصر وبلاد الشام إلى الحجاز واليمن، واطلق عليه عدة اسماء كبحر فارس والبحر الحبشي، للمزيد انظر: المقدسي: احسن التقاسيم،ج١، ص١٨؛ المسعودي: مروج الذهب،ج١، ص١٠٩؛ ابن سعيد: الجغرافيا، ج١، ص١٣.

٤. الأصطخري: مسالك الابصار وممالك الامصار، ص١٧؛ فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى،: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص١٢٤.

٥ .المقريزي: الخطط، ج١، ص١٦؛ وانظر:

Rush broke: Western Arabia And The Red Sea, Oxford ١٩٤٦,pp٥٩-٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاسكندرية وسواحل البحر الأبيض المتوسط[1] أنظر الشكل رقم (١)، وقد لعب هذا الطريق الدور الكبير في انعاش حركة التجارة في دولة المماليك منذ نشأتها الأولى، ومن الأسباب التي ساعدة على نشاط هذا الطريق التوغل المغولي نحو الشرق مما ادى إلى عدم استقرار الطرق الأخرى[2].

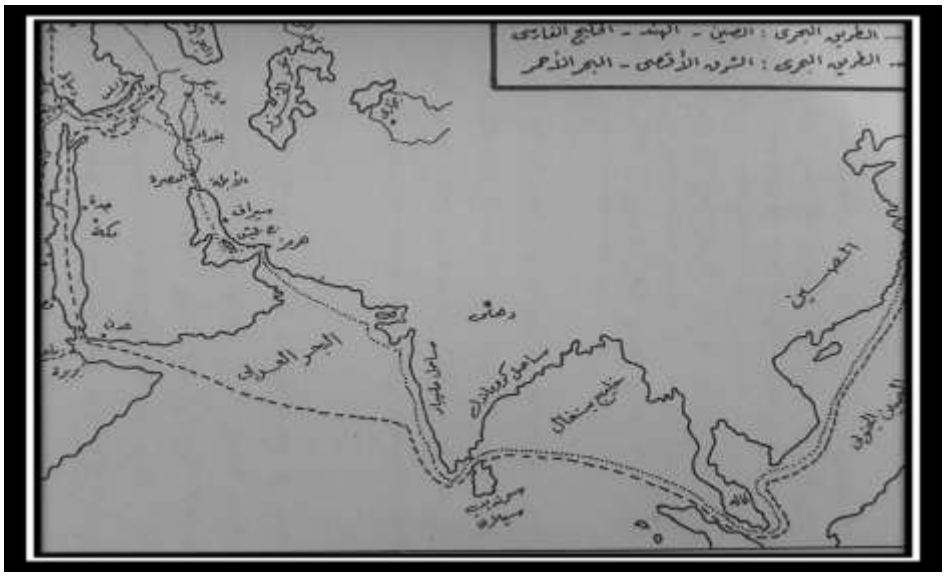

الشكل رقم (١)

نقلاً عن نعيم زكي: طرق التجارة العالمية، ص٢٨١

↑اتجاه الشمال

١ . فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى،: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص١١٨.

٢ .عاشور، بحوث ودراسات، صفحات٢٤٦-٢٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تهب الرياح موسمية شمالية شرقية في فصل الصيف وتتجه إلى الجنوب الشرقي، وفي فصل الشتاء تهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، راسمة خط سير المسافرين والتجار، وكان تجار الرِّقيق المسلمين على دراية بطبيعة هذا البحر ولهم علامات ودلائل يهتدوا بها ويتوارثها الأبناء عن الآباء[١].

لعب هذا الطريق دوراً مهماً في التجارة الرِّقيق بين الشرق والغرب، حيث وصلت الأعداد الكبيرة من الرِّق الأسود من بلاد النوبة والحبشة إلى العراق وبلاد الشام ومصر، وكان الأثر الكبير لتجار اليهود "الراذانية" في تجارة الرِّق حيث استطاع تجار اليهود أن يتجولوا ويربحوا الأموال الطائلة عبر هذا الطريق، وساعدهم على ذلك معرفتهم بمختلف اللغات في التعامل مع مختلف أجناس التجار[٢]، فقد تكلموا اللغة العربية والفارسية، الرومية، والإفرنجية، والصقلبية وغيرها[٣]، فجلب تجار اليهود من الأندلس وبلاد الفرنجة الخدم والغلمان والجواري[٤].

تعتبر الموانئ النافذة الرئيسية وعصب الأتصالات في الدولة كما انها تعطي المؤشر الحقيقي للنشاط التجاري الذي يعكسه ثراء أهل الموانئ، ومن هذه الموانئ شحنت الرِّقيق من خلال السفن الضخمة كالسفن الصينية في تلك الفترة، فمن تلك الموانئ:

ا. ميناء مدينة عدن[٥] : من أهم الموانئ التي خدمت تجارة الرِّق، وهي بوابة البحر الأحمر من جهة الجنوب، وزاد من أهميتها موقعها بالقرب من بلاد الزنج، وعند تسلط ملك كيش على المراكب المارة بالخليج الفارسي وغزوه المستمر إلى السواحل اليمنية وبلاد الزنج أدى إلى انتقال المراكب وتجارات الرِّقيق إلى عدن، ومنها تسافر تلك المراكب إلى بلاد السند والهند وبلاد الصين، وإليها

---

١ .المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص١٧٣.

٢. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٧٩٥.

٣. ابن الفقيه: البلدان، ص٢٧٠

٤. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، صفحات،١٥٣، ١٥٤.

٥.عدن: مدينة ساحلية شديدة الحر لها صيفان وشتاءان، اشتهرت بالتجارات وهي من اقدم أسواق العرب منذ ايام الجاهلية، واشتهرت عدن بتجارة اللؤلؤ والصيد، وعمل الثياب الرفيعة، والواني العجيبة لمزيد انظر: المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٩٦؛ ابن المنجم: آكام المرجان في ذكر المدن المشهورة في كل مكان،ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م،ج١، ص٦٤. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن المنجم، آكام المرجان في ذكر المدن المشهورة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجلب الرِّقيق وبضائع هذه الأقاليم[١]، واشتهرت عدن بالرِّقيق الحبشي والخدم، ومعظم سكان عدن يتكلمون الفارسية[٢] ، ويشتغلون بالصيد، وكانت تؤخذ الضريبة الجمركية على مراكب الرِّقيق التي تدخل ميناء عدن[٣].

٢. ميناء ومدينة دمياط[٤] : وهي من الموانئ التي خدمت تجارت الرِّقيق القادم من بلاد الروم وشمال إفريقيا والخارج من بلاد الحبشة وبلاد النوبة إلى ميناء مدينة دمياط حيث يقع ميناء دمياط على ساحل البحر الأبيض المتوسط وينتهي إليه ماء النيل عند موضع يقال له الأشتوم بعرض نحو مائة ذراع[٥]، ثم يخرج بعضهُ من دمياط إلى بحيرة تنيس[٦]، وكانت تعقد في دمياط أسواق لبيع الرِّقيق، وهي قريبة من جزيرة قبرص والتي تمد ميناء دمياط بالمماليك القادمة من بلاد الروم[٧].

٣. ميناء مدينة عيذاب[٨]: ويقع على ساحل البحر الأحمر اشتهرت بتجارة الرِّق الأسود فكانت ملتقى تجارة البحر الأحمر، وكان ميناؤها عميق غزير المياه، مأموناً من الشعب الثابتة[٩]، ويتزود

١.ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زياتي، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م ج١، ص١٥١؛ عثمان، شوقي عبد القوى: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)، الكويت (١٣٩٩هـ /١٩٧٨م)، ص١٤٣.

٢.المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٩٧.

٣. ينحدر من سلالة الزياديين أو بنو زياد سلالة حكمت اليمن في الفترة (٢٠٣-٤٠٩هـ/٨٠٩-١٠١٩م)، عندما أرسل الخليفة المأمون واليه محمد بن عبد الله بن زياد الأموي حاكماً باسمه إلى اليمن، اقام الزيدانيون دولتهم في زبيد بعد تمرد قبائل الأشاعرة في تهامة طالت مدته في الحكم وبلغ حكمه ٨٠ عاماً وكان يخطب لابي الجيش ويضرب الدراهم على اسمه ويستبد بحاصلات البلاد؛ ابن حوقل: صورة الارض، ج١، صفحات،٢٣، ٢٤.

٤. دمياط: هي مدينة قديمة تقع بين القاهرة وجزيرة تنيس على زاوية البحر الأبيض المتوسط طيبة الهواء، واشتهر أهلها بعمل الثياب الشرب للمزيد انظر: ياقوت: البلدان، ج٢، ص٤٧٢.

٥. ابن حوقل: صورة الارض،ج١، ص١٣٤؛ ياقوت: البلدان، ج٢، ص٤٧٣.

٦. بحيرة تنيس: وهي بحيرة تجري بها السفن والمراكب العظام، وتصبح عذبة في وقت مجيء النيل ولمدة ستة أشهر ثم تصبح مياهها ملحة لمزيد انظر: اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٧٦؛ المسعودي: أخبار الزمان، ج١، ص٤٩.

٧. مجهول: حدود العالم من الشرق إلى الغرب، ج١، ص٣٠.

٨. تقع على ساحل البحر الأحمر وتعتبر عيذاب مركز تجمع الحجاج وسلع اليمن والحبشة، ويحمل التجار من عيذاب التبر والعاج للمزيد انظر: اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٧٣؛ الأصطخري: المسالك والممالك، ص٥٤.

٩. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، ص٤٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التجار منها بالرِّقيق، وهي ليست في أرض البجة وإنما هي من أرض الحبشة[١]، ولا يوجد مثلها وصيف في الدنيا، وينطلق النخاسون منها إلى الجهات المختلفة كمصر والحجاز واليمن والهند والعراق وغيرها من البلاد[٢].

يوجد هنالك طريقين للرِّقيق من عيذاب إلى أسوان، طريق عرف بالوضح وطريق آخر عرف بالعلاقين، أما طريق الوضح هو طريق صحراوي خال من العمران والبشر حتى أسوان، وطريق العلاقين؛ وهو طريق خالي ليس فيه عمران إلا مدينة في وسط الطريق سميت "مدينة العلاقين"، وهي كثيرة الثمار والخيرات ويسلكها تجار الرِّقيق العرب ونسب هذا الطريق إليها، وكانت وسيلة التنقل فيها الإبل وذلك لقدرتها على تحمل العطش[٣]، وترتبط عيذاب بقوص بطريق بري تعبر فيه القوافل الصحراء حتى العبدين وطريق دون قنا[٤].

٤. ميناء مدينة قوص[٥]: هي مدينة تقع على ساحل النيل الشرقي، فيها أبنية عظيمة من الحجارة الكبيرة تبعث العجب في نفس من يشاهدها، وهي محاطة بسور من الحجر[٦]، وهي محطة تجار الرِّقيق القادمين من عدن وبينها وبين أسوان وإخميم[٧] في مسيرة ثلاثة أيام وفيها أسواق كبيرة وحمامات وخانات ومعاصر للسكر، ويخدم الدار الواحدة فيها ما يقارب مائه خادم[٨]، ومن قوص

---

١. ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص٣١.

٢.مجهول(ت ق٦هـ):الاستبصار في عجائب الأمصار، صفحات،٨، ٨٨، خسروا: ناصر خسرو أبو معين المروزي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)."سفر نامه"، تحقيق: الدكتور يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، (١٤٠٤هـ /١٩٨٣م)، ج١، ص١١٩.

٣.المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج٤، ص٤٥١؛ خسرو: سفر نامه، ج٢، ص٦٢٠؛ ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، "رحلة ابن جبير"، دار بيروت، الطبعة الأولى، (ب ت)، ج١، ص٣٩.

٤. المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.

٥.قوص: هي مدينة كبيرة في صعيد مصر على حافة النيل الشرقي، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً واهلها اصحاب ثروات واسعة للمزيد انظر: اليعقوبي: البلدان، ص١٧١؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٤١٣؛ القرماني: اثار الدول وأخبار الاول،ج٣، ص٤٣٦.

٦. اليعقوبي: البلدان،ج١، ص١٧١.

٧. أخميم: بالكسر ثم السكون وكسر الميم بلدة قديمة تقع على النيل عامرة بالنخيل وبها عجائب كثيرة وينسب اليها ذو النون بن إبراهيم الإخميمي المصري الزاهد؛ انظر: ياقوت: البلدان، ج١، ص١٢٤؛ القرماني: اثار الدول واخبار الاول،ج٣، ص٣١١.

٨. البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى عيذاب مسافة عشرون يوماً وتقع على طريقين: طريق العبيدين وطريق دون قنا[١].

٥. ميناء ومدينة جدة[٢]: تعتبر جدة والجار خزانتي مصر، وهي محطة تبادلية للمماليك، فإذا وصلت مراكب أهل سيراف أقامت بها، ويتم تبادل الأمتعة وتحمل أمتعة أهل مصر في مراكبهم، وذلك لأنه لا يتهيأ لمراكب السيرافيين العبور في ذلك البحر لصعوبته ولما يتصف به ذلك البحر من صفات سيئة كالروائح السيئة وظلمة مياهه[٣]، ومنها تخرج السفن المتجهة إلى بلاد الشام إلى بحر الجار بالمدينة، وتقطع البحر هناك باتجاه الشمال[٤]، ومن عدن إلى جدة نحو شهر ومن جدة إلى ساحل الجحفة نحو خمس مراحل ومن ساحل الجحفة إلى الجار نحو ثلاثة مراحل ومن الجار إلى أيله نحو عشرين مرحلة[٥] وأيله سكانها تجار من الفرس وقاموا على تجاراتها ومنها طريق باتجاه مصر وأقصى بلاد النوبة ويمتد عبر البر بين بلاد السودان وبلاد النوبة[٦]، وكانت تؤخذ في جدة الضرائب على البضاعة، فعن كل حمل حنطة يؤخذ نصف دينار وحمل الصوف دينارين وعن سلة الزعفران دينار، وعلى رؤوس الرِّقيق دينار[٧].

٦. ميناء ينبع التجاري: فهو يقع على الطريق الساحلي وإلى طريق الأحساء ثم إلى ينبع وإلى الجار وإلى المدينة[٨] ، حيث خدم التجارة الداخلية في البحر الأحمر، كما ذكر المقدسي أن سكانه التجار من السنة والشيعة[٩].

---

١. ابن جبير: رحلة ابن جبير، ج١، ص٣٩.

٢.جدة: مدينة محصنة تقع على البحر الأحمر أشتق اسمها من حصانتها، وتعتبر جدة فرضة مكة، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً من جدة، غلب على أهلها الفرس لهم بها قصور عجيبة ومتاجر، للمزيد انظر: اليعقوبي: البلدان، ج١، ص١٥٤؛ المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص٧٩؛ البكري: المسالك والممالك، ج١، ص١٤٥.

٣. ابن الفقيه: البلدان، ص٧٨.

٤. ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص١٨.

٥. الأصطخري: المسالك والممالك، ص٢٧.

٦.ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص٣١.

٧. المقدسي: احسن التقاسيم،ج١، ص١٠٤.

٨. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٩١.

٩ .المقدسي: احسن التقاسيم، ج١، ص١٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. ميناء بربرة: يقع على الساحل مقابل اليمن، وتقع بلاد البربر بين بلاد الحبش والزنج واليمن وتتصل بأرض النوبة على البحر الأحمر، واشتهر الميناء بتصدير الرِّقيق الزنجي إلى مناطق العالم المختلفة[١].

٨. ميناء مدينة زيلع[٢]:

وهي تقع على ساحل البحر الحبشي المالح المتصل بالبحر الأحمر من جهة الشرق، وأهلها مسلمون إباضية، ورقيقها أسود، ولها سوق عظيم[٣]، ولعبت دورًا مهمًّا في تصدير الرِّقيق، وهي فرضة للعبور إلى الحجاز واليمن[٤].

٩. ميناء سواكن: خدمت سواكن تجارة الرِّق الأسود وتقع على ساحل بحر الجار بينها وبين عيذاب جزيرة سنجلة، وتعتبر مرفأ السفن القادمة من جدة وتبلغ المسافة منها إلى جدة يوم وليلة[٥]، وتصدر عن طريقها رقيق الحبشة والبجة[٦].

١٠. رشيد النيل: وهي مدينة على كثب من الرمال، وتقع على ضفة النيل قريبة من مصب فوهته إلى البحر، وتعرف الفوهة وهي مدخل من البحر بالأشتوم، ومن أعجب منتزهات الدنيا ضفة النيل من القاهرة إلى مدينة رشيد، وكانت بها أسواق صالحة وحمامات تخدم تجار الرِّقيق وتؤخذ فيها ضريبة على ما يحمل من الأمتعة وتتحول الأمتعة من المراكب في البر إلى الإسكندرية مسيرة يوم أو أقل، ومنها الطريق البري الذي يربط بالمغرب العربي عن طريق الفسطاط، وطريق المراكب باتجاه دمياط مسيرة يومان[٧].

١.البلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص٢٢٧؛ البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٣٢٨؛ ياقوت: البلدان، ج١، صفحات،٣٧٠،٣٦٩؛ ابن عبد الحق: عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل البغدادي الحنبلي (ت٧٣٩هـ/١٣٩٠م)، "مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع"، ٣ج، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)،ج١، ص١٧٦. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع.

٢. زيلع: بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام وآخره عين مهملة، وهي موضع في بلاد السودان، ونسبة إلى جبل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون وتعرف أرضهم بالزيلع للمزيد انظر: البكري: معجم ما استعجم من البلاد والمواضع، ج٢، ص٧٠٦؛ ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٩.

٣. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت٧٧٩هـ/١٣٩٤م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ٢ج، دار الشرق العربي، (ب ت)، ج١، ص١٩٤. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابن بطوطة، رحلة.

٤. الاصطخري: المسالك والممالك،ص٣٦؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٢٨٢.

٥. ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص٤٢.

٦. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ج٢، ص٧٥١.

٧. ابن حوقل: صورة الارض، ج١، ص١٣٩؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، صفحات،٦٢٧، ٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. الطريق البري من وسط آسيا عبر الهند والسند وبلاد الصين:

هو من الطرق القديمة ولأهمية هذا الطريق فقد ذكرهُ كثير من المؤرخين كابن خرداذبة في المسالك والممالك، وابن الفقيه، والرحالة الذين كانوا شهود عيان في تنقلاتهم عبر هذا الطريق الشاق، منهم سليمان التاجر السيرافي الذي كان تاجراً ونقل لنا معلومات قيمة من خلال رحلاته عن تجارة الرِّق ودور التجار العرب في التجارة مع أهل الصين[١].

ينطلق هذا الطريق من أواسط آسيا إلى الهند ومن بلاد الهند وجبالها وممراتها إلى أن يصل إلى نهر الأتل[٢] (الفلجا) يحمل معه الرِّقيق ليلتقي القوافل القادمة من الصين، ويسيران معاً بإتجاه الشمال، وتسلكه القوافل حتى بخارى[٣]، ومن بخارى يتجه فرع منه بإتجاه بحر قزوين فنهر الفلجا وبلاد البلغار.

فرع أخر باتجاه ساحل البحر الأسود ثم باتجاه القسطنطينية وأوروبا، ومن هذا الفرع الثاني تخرج عن هذا الفرع عدد من الطرق الفرعية الجانبية يمر أحدها في الساحل الشرقي للبحر الأبيض، وفرع شمالاً باتجاه مدينة بغداد وديار العرب (ديار بكر)، وفرع ثالث يعبر أرمينيا وآسيا الصغرى برًّا إلى القسطنطينية، حيث ساهم هذا الطريق في حرية حركة تجارة الرِّقيق والسلع القادمة من الشرق الأقصى والسلع القادمة من شرق أوروبا، وحتى تصل جميعها إلى البلاد المصرية[٤].

---

١. فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، ص١٥٤.

٢. نهر الاتل: هو نهر عظيم في بلاد الخزر يجري من بلاد الروس والبلغار إلى بلاد الخزر، واتل قصعتان قصعة على غربي هذا النهر تسمى أتل، وقطعة شرقي النهر وتسمى باك وفي هذه القطعة يسكن قرابة عشرة آلاف مسلم ولهم نحو ثلاثين مسجداً؛ للمزيد انظر: الاصطخري: المسالك والممالك،ص٢٢٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٣٠؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ج١، ص٢٤٦.

٣. من أعظم مدن ما وراء النهر يعبر إليها من آمل، تشتهر بالبساتين وهي مدينة قديمة، واسعة الفواكه والنسب إليها بخاري وإليها ينسب الإمام محمد بن اسماعيل البخاري للمزيد انظر: البكري: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج١، ص٢٢٩.

٤. فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى، صفحات،١٥٤،١٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المحطات التجارية التي خدمت هذا الطريق نذكر بعضها كمدينة بخارى وتعتبر طواويس[١] من المدن المهمة في بخارى حيث يعقد فيها سوق سنوية يقصدها التجار من جميع أرض خُراسان، ويجلب إليها كثير من الرِّقيق[٢]، وكانت بخارى قاعدة ملك السامانية اشتهر أهلها بالتجارة والملاحة[٣]، بينها وبين مرو اثنتا عشرة مرحلة، وبينها وبين خوارزم مسافة خمسة عشر يوماً، وبينها وبين "سمرقند" مسيرة سبعة أيام[٤].

٤. طرق البحر الأبيض المتوسط:

يتميز البحر الأبيض المتوسط[٥] بموقعه المتوسط وحوضه الكبير الذي يعتبر كأنه بحر مغلق، وتميز بربطه الشرق بالغرب، ويوفر طرق النقل البحرية الرئيسية للشعوب، وتعددت الطرق البحرية والبرية التي خدمت جلب الرِّقيق الأبيض القادم إلى البلاد المصرية من بلاد الروم[٦].

فكانت سفن تجار الرِّقيق تحمل من سواحل المدن الإيطالية على البحر الأبيض المتوسط وتسير في اتجاهين، غرباً بإتجاه غرب أوروبا، واتجاه آخر باتجاه سواحل مصر وبلاد الشام والأناضول وعبر هذا الطريق وصل الرِّقيق الأبيض إلى العراق ومصر وبلاد الشام، واشتهرت مدينة جنوة في تجارة الرِّقيق، ونشطت تجارة الرِّقيق في موانئ كل من جنوة والبندقية وسواحل مدن أوروبا الأخرى، وسأذكر من تلك الطرق التي ساهمت بتجارة الرِّقيق إلى الديار المملوكية:

طريق جنوة[٧]:

---

١. طواويس: هي اسم لناحية من أعمال بخارى تقع بينها وبين سمرقند، وهي كثيرة البساتين والمياه الجارية والخصب ولها قهندز وجامع وهي داخل حائط بخارى؛ للمزيد انظر: ياقوت: معجم البلدان،ج٤، ص٤٦.

٢. الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤٠٠.

٣.البيهقي: علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، "تاريخ بيهق"، دار اقرأ، دمشق (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١، ص١٢٥. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: البيهقي، تاريخ بيهق.

٤. ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣.

٥. البحر الابيض المتوسط: أطلق عليه أكثر من اسم كالبحر الروماني نسبة إلى الروم، والبحر الأبيض بالنسبة للأتراك، والبحر الكبير بالنسبة إلى اليهود، والبحر المتوسط بالنسبة إلى الالمان، ويبلغ طوله أربعة الآف ميل، ويختلف عرضه من موقع لآخر وبلغ اقصاه في خليج القسطنطينية بعرض أربعة الآف ميل، للمزيد انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٩٣؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، ص٢٧.

٦. الأصطخري: المسالك والممالك، ص٦٨؛ مؤنس، حسين: أطلس تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الزهراء للأعلام العربي، ط١، القاهرة، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٨٦.

٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٧٥٠؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الاقطار، ص١٧٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو الطريق البحري المار بجنوب أنكبردة (إيطاليا) مروراً بصقلية ثم البسفور والدردنيل، وخليج مدينة الخزر ثم في بحر جرجان (بحر الخزر) ثم إلى بلخ[١] وما وراء النهر ثم العراق[٢]، ويسيطر الجنويون على البحار ولهم اليد الضاربة في ذلك فلهم أسطول قوي يتكون من السفن التي عرفت بـ"غاليس٣"، ويقومون بأعمال القرصنة على أبناء الروم والمسلمين ويعودون إلى جنوة بما نهبوا وسلبوا من الرِّقيق[٣] أنظر الشكل رقم (٢) والذي يمثل طريق جنوة التجاري.

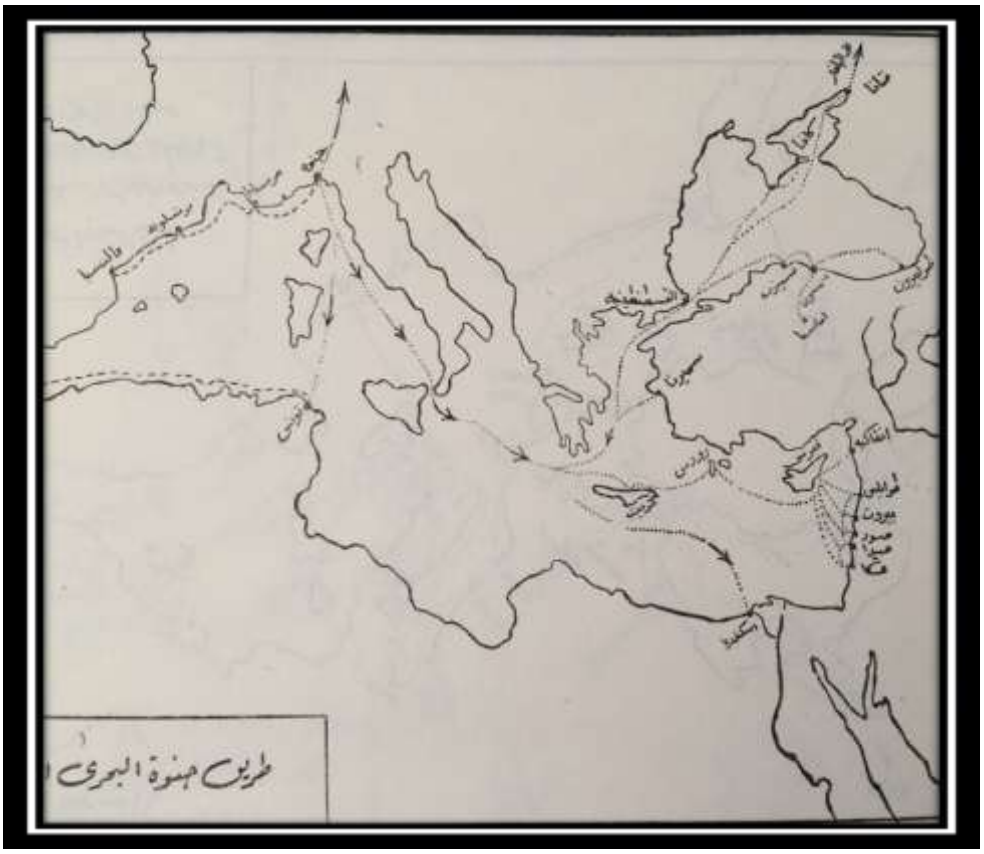

الشكل رقم (٢).

↑اتجاه الشمال

١.بلخ: هي من أعظم مدن خراسان بناؤها من الطين ولها الابواب الشهيرة كباب النوبهار وباب واخته وباب الهندوان وباب اليهود ويتوسطها مسجد جامع وهي معمورة السكان في معظم الأوقات وبها الاسواق ويحيطها الكروم والبساتين لمزيد انظر : الاصطخري: المسالك والممالك،ص٢٧٨؛ ياقوت: البلدان،ج١، صفحات ٤٨٠،٤٧٩؛ كي ليسترنج: بلدان الخلافة، صفحات،٤٦٢، ٤٦٣.

٢. ياقوت: البلدان ،ج٢، ص٢٣.

٣.التيطلي: بنيامين بن الرأبي يونه التطيلي النباري الاسباني اليهودي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، أبو ظبي،٢٠٠٢م، ج١، ص١٩٢. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: التيطلي، رحلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقلاً عن نعيم، زكي: طرق التجارة العالمية، ص٢١٠.

الطريق البحري من صقلية بإتجاه الأندلس:

كان يسلكهُ تجار الروس يحملون الرِّقيق من أقصى بلاد الصقالبة عن طريق البحر إلى طريق الأندلس أو الفرنجة، فيعبرون البر إلى السوس[١] وطنجة[٢]، ويستمرون بإتجاه ساحل شمال إفريقيا وحتى والبلاد المصرية[٣].

يعتبر من أهم الموانئ التي تقع على طريق البحر الأبيض المتوسط ميناء مدينة حلب[٤]، وارتبطت تجارتها بكل من أوروبا وآسيا وإفريقيا لما لها من قيمة حيوية على ساحل البحر، وتعتبر كذلك بوابة مدينة دمشق، وارتبطت حلب بالثغور الشامية والعراق عن طريق سكك متعددة، وارتبطت ببلاد شمال إفريقيا عن طريق البلاد المصرية[٥].

---

١. السوس: بضم أوله وسكون ثانيه وسين مهملة اخرى، بلد تقع في المغرب العربي كانت الروم تسميها قمونية، وقيل هي كورة بالمغرب مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى كورة أُخرى مدينتها طرقلة ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين، ويوجد بلدة بما وراء النهر تسمى السوس للمزيد انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٥٤؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٨١.

٢.وهي مدينة أثرية في المغرب تقع على ظهر جبل على ساحل البحر، وبينها وبين سبته مسيرة يوم واحد، وبينها وبين القيروان ألفا ميل وهي أخر حدود أفريقية، وينسب إليها أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك اللواتي الطنجي؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٤٣.

٣.طنجة: مدينة تقع على الساحل من ناحية مصر يسكنها العرب والقبط واهلها نحاف الاجسام متغيرين الالوان، حولها أرض سبخيه، ليس بها زرع ولا ماء يشرب الا ماء المطر ويحمل إليها ماء النيل في مراكب من تنيس، وبظاهرها ماء يقال له العذيب تنزله القوافل والعساكر؛ ياقوت: البلدان،ج٤، ص٢٥٥؛ ضيف، شوقي: التجارة بين مصر وافريقيا في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ص١٦.

٤.حلب: وهي مدينة نفيسة حصينة من جند قنسرين من أراضي الشام، فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله سنة عنه (١٦هـ/ ٦٣٧م)، سكنها العرب واليهود وأهلها من أحسن الناس وجوهاً واجساماً، جلب أهلها من العرب الموالي؛ للمزيد انظر: المسعودي: التنبيه والإشراف،ج١، ص٣٩؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٥٥.

٥. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٠٠؛ أبو يوسف: الخراج، ص١٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اما ميناء الإسكندرية[١]: فيقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتعتبر ملتقى للطرق البرية والبحرية وكان لموقعها ميزة خاصه أعطتها الاتصال المباشر لدولة المماليك مع أوروبا وأحرزت بذلك التفوق على غيرها ولا سيما مرور المماليك القادم من أوروبا أو القادم من شمال إفريقيا[٢]، ومن الإسكندرية عدة جهات يسلكها تجار الرِّقيق فمن أراد بلاد الشام وأوروبا عبر الساحل البحر الأبيض المتوسط إلى القسطنطينية ومن ثم نواحي سواحل روما و قلورية والإنكبرده والإفرنجة وبعدها تكون جهة أهل الأندلس[٣].

كانت تجبى الضريبة في ميناء الإسكندرية من السفن سواء مراكب الغرب أي الأوروبيين أو مراكب أهل الشام وغيرهم[٤]، ويسكنها كل من المسيحيين واليهود من كبار التجار في ذلك الوقت[٥].

ميناء ومدينة القيروان: هي مدينة شهيرة بناها عقبة بن نافع وبنى مسجدها المشهور وهي من مدن الشمال الإفريقي[٦]، وتعتبر مركزًا تجاريًا مهمًا لكثير من السفن التي تتجه إلى كل من أفريقية والمغرب[٧]، وكان لها ميناء يعرف بالمهدية يتسع إلى نحو ثلاثين مركباً، وترتبط بصفاقس عبر طرفى، وهي بلدة معمورة إلى قصر رباح ومن قصر رباح إلى مدينة القيروان[٨].

١.الاسكندرية: مدينة عظيمة بناها وأسس بناءها ذو القرنين الرومي، واسمه الإسكندر وبه سميت وبنى المقوقس اثنتي عشر مدينة باسم مدينة الإسكندرية والمقوقس نفسه ملك الإسكندرية الذي أهدى الرسول صلى الله عليه وسلم مارية القبطية واختها سيرين جنه؛ للمزيد انظر ابن خياط: تاريخ، ج١، ص١٥٠؛أبي زرعة: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، "تاريخ أبي زرعة الدمشقي"، تحقيق: القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، (ب ت)، ج١، ص١٨٠. وسيشار إليه فيما بعد هكذا: ابي زرعة، تاريخ؛ الدينوري: الاخبار الطوال،ج١، ص٣٩؛ ابن حبيب: المحبر،ج١، ص٩٩.

٢. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٢٢١؛ ضيف، شوقي: التجارة بين مصر وافريقيا في عصر سلاطين المماليك، ص٧٦.

٣. ابن حوقل: صورة الارض، ج١؛ صفحات،١٦,٦٠؛ أبو يوسف: الخراج، ص١٢٠.

٤. المقدسي: احسن التقاسيم ،ج١، ص٢١٣.

٥. التيطلي: رحلة التيطلي،ج١، ص٣٨.

٦ .البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٧٣؛ ضيف، شوقي التجارة بين مصر وافريقيا في عصر سلاطين المماليك،ص٧٩.

٧. البكري: المسالك والممالك، ج١، ص٢٢٥

٨. ابن حوقل: صورة الأرض، ج١، ص٦٦ وما تلاها؛ البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص٦٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتضح مما سبق أن الموقع المتوسط لدولة المماليك ساهم في ازدهار تجارة المماليك، القادم عن طريق البر والبحر إلى الديار المصرية من مختلف المناطق إلى جانب السلع التجارية الأخرى، وازدهار المدن والموانئ البحرية التي ساعدت على ذلك، وإيجاد الأسواق المنتشرة والمختلفة وإلى جانب ذلك نشطت الطوائف التجارية المختلفة كاليهود والروس، وقد تعود شهرة اليهود إلى علاقة الشد والجذب بين العرب المسلمون والروم، الذين منحوا اليهود حرية تجارة الرِّقيق بشرط أن لا يسبوا أبناء الروم، وسنوضح في الفصل الثالث اسباب ذبول تجارة المماليك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث
أسباب تراجع تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك.

١. الصراع على السلطة بين امراء المماليك.
٢. أثر علاقة المماليك الأجلاب بالعامة وأثارت الفوضى والاضطرابات.
٣. دور البابوية في فرض الحصار الاقتصادي على سلطنة المماليك.
٤. أثر حركة الكشوفات الجغرافية على تجارة المماليك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أسباب تراجع تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة

استهدفت في هذا الفصل إلقاء الضوء على أسباب تراجع تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة في مصر، ويلاحظ أن فترة المماليك الجراكسة قد شهدت ازدهاراً لتجارة الرقيق في بدايتها، ومن ثم تراجع ذلك النشاط من جهة أخرى، الأمر الذي تطلب إبراز الأسباب الحقيقية والدوافع الرئيسية وراء تراجع هذه التجارة في هذا الإطار، ومن تلك الاسباب:

١. أثر الصراع على السلطة بين أفراد البيت المملوكي:

يعتبر التنافس بين افراد البيت المملوكي على السلطة، من الاسباب التي ادت الى ذبول تجارة دولة المماليك الجراكسة، وكان نتيجة تلك التنافس بين أمراء المماليك حول مناصب الحكم والسلطة، ان عانت البلاد بصفة مستمرة من المنازعات بين طوائف المماليك، وما كان ينتج عن تلك المنازعات من حوادث وقتال بالقلعة والطرقات، مما أوجد جوا من القلق وعدم الاستقرار، وقد عجز السلاطين عن صد هذا النزاع، فعمدوا أحياناً إلى إيقاع الفتنة ما بين طوائف المماليك بعضها ببعض[١].

كانت هذه المنازعات على مرأى ومسمع من فرق المماليك المختلفة مما دفع بعضهم كالجلبان الى الخروج للشوارع واعلان ثورتهم، وشاركوا في أحداثها كثيراً وتأثروا بها وأثروا فيها، ثم أخذوا يطبقون ما تعلموه، ضد السلاطين والأمراء والموظفين والرعية، بل ضد بعضهم البعض[٢].

من الأمثلة على هذه المنازعات التي كانت منذ بداية دولة المماليك الجراكسة، النزاع ما بين يلبغا ومنطاش في عهد برقوق ٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٢٨-١٣٨٨م، ثم شيخ ونوروز ضد الناصر فرج وططر وطنبغا وجقمق وقرقماش، وغيرهم كثيرين، وما تخلل هذه المنازعات من حروب داخلية وسفك للدماء[٣].

كان أهم الأسباب وراء هذه الفتن بين الأمراء هو اعتقادهم بأنهم جميعاً متساوون ولا فرق بين مملوك وآخر إلا بما حباه الله من صفات خاصة كالشجاعة والذكاء والمهارة، فكان المملوك مهما قلت رتبته أو صغر شأنه كان يتطلع لمنصب السلطنة، فإنه يرى نفسه أهلاً لها[٤].

---

١. سعيد عاشور، مصر في العصور الوسطى، ص٥٠٤.

٢. المقريزي: السلوك، ص٩٥

٣. علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٣٣٥.

٤. سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٣٣٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما كان لانتشار حكم الأوصياء دوراً كبيراً في عدم الاستقرار، حيث كان يتقلد الوصاية على الحكم أكبر الأمراء مكانة وسناً وهيبة ونفوذاً، وتلى ذلك تقلص السلطات المطلقة للسلطان[١] ثم عزله بعد الاستبداد بالأمر بدونه، حيث يتحول الوصي على العرش إلى سلطان غير رسمي، ويصبح السلطان الطفل ألعوبة في نظر وصيه فكان الوصي يقوي مركزه ويستميل إليه الأمراء ويسلب السلطة من يدي السلطان[٢].

شهدت الفترة بعد وفاة المؤيد الشيخ ٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م حكم الأوصياء واستبدادهم سواء أكانوا في منصب الوصاية على أولياء العهود الصغار أو بعد عزل هؤلاء الصغار وقيامهم بالملك أسمياً وعملياً، فهذا أحمد بن المؤيد شيخ خلف أباه وعمره عشر سنوات فتولى الوصاية عليه الأمير ططر أتابك العساكر والذي تزوج من أمه، غير أن استبداد ططر آثار نواب الشام ضده، فخلعه ططر، وتسلطن ثم انتزع برسباي ٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م الملك من ابنه محمد مثلما فعل هو مع ابن المؤيد[٣].

كما كان لتعاقب عدد كبير من السلاطين على حكم البلاد في فترات قصيرة[٤] الدور في خروج الثورات على سلاطين المماليك: حيث أن النزاع على السلطنة في تلك الفترة كان سريعاً وحاسماً، بدليل سرعة تغيير وتعاقب السلاطين، وقصر فترة حكم أكثرهم[٥]، فمثلاً في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م تعاقب على عرش السلطنة أكثر من سلطان في فترة وجيزة، فبعد المؤيد الشيخ المحمودي٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م تولى ابنه الملك أحمد بن المؤيد ٨٢٤/ ١٤٢١م[٦]، ثم تولى الظاهر ططر ٨٢٤هـ/١٤٢١م، ثم ابنه الملك محمد بن الظاهر ططر[٧].

---

١. حكيم أمين عبد السيد، دولة المماليك، ص١١٠.

٢. طرخان، ابراهيم، تاريخ الحضارة، ص٣٤.

٣. علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٣٣٥.

٤. انظر الملحق رقم (١) من هذه الدراسة ص١١٢.

٥. طرخان، إبراهيم: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٣. وسيشار غليه فيما بعد هكذا: طرخان، ابراهيم، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة.

٦. المقريزي: السلوك، ص١٩٨.

٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢١٢ – ٢١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م تعاقب على حكم سلاطين المماليك الجراكسة أكثر من سلطان حيث تولى خشقدم ثم يلباى، ومن بعده تمربغا ثم استقر قايتباي[١]، وفي سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م توالى على حكم البلاد خمسة سلاطين فبعد وفاة قايتباي في هذه السنة تولى من بعده ابنه محمد بن قايتباي، ثم من بعده جانبلاط في سنة٩٠٤هـ/١٤٩٨م ثم العادل طومان باى، ثم قانصوه الغوري في سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م وقد استقر فترة طويلة[٢] وكان هناك سلطان ليلة واحدة مثل خايربك، وكأنه "قد بدا للمماليك أن دولتهم في طريق الزوال فسعى كل منهم للظفر بهذا المنصب قبل فوات الأوان"[٣].

لقد تخلل هذه الفترات ثورات خروج على السلطنة، اشترك فيها فرق المماليك المختلفة كالأجلاب فتأثروا بها وأثروا فيها، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، وتمكن روح التمرد والعصيان والثورة في كيانهم[٤].

٢ـ أثر علاقة المماليك الأجلاب بالعامة وإثارة الفوضى والاضطرابات:

واجه المماليك الجراكسة طيلة فترة حكمهم صعوبات وتحديات كثيرة، تمثلت في أخطار خارجية وداخلية، حيث شغلت حركات التمرد والاخطار الداخلية سلاطين المماليك عن مباشرة أمور الدولة في أصعب الظروف، فأصبح همهم قمع حركات التمرد بدلاً من الانشغال بأمور اصلاحات الدولة.

خرج الاجلاب ضد سلاطين المماليك، وفرضوا وجودهم ومتطلباتهم، وقد عانى السلاطين الأمريّن من جراء ذلك، مما اضطرهم إلى مواجهة اعمال الأجلاب بسلبية شديدة ينعدم معها قيامهم بأي إصلاح.

انتشرت حركات التمرد الأجلاب في الاماكن المختلفة للدولة، فكانت في الطرقات والحارات والدروب والأسواق، مما شل حركة الحياة الداخلية واتسمت بالركود، حيث اذى الاجلاب الناس وأخذوا يتتبعون العوام من الناس في احتفالاتهم، وأثناء قيامهم بأشغالهم أو ممارستهم للبيع والشراء، فيتعرضوا لهم بالأذى والسلب والنهب، مما دفع الناس الى الاقلاع عن ممارسة أعمالهم، وعمدوا

---

١. أبو المنصور الثعلبي (الإمام)، التحفة البهية والطرفة الشهية، القسطنطينية ١٣٠٢، ص١٤١ – ١٤٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٢؛ محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، ط٢، محمد أفندي مصطفى (١٣١٤/١٨٩٦)، ص٣٧.

٢. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، ص٣٩٤؛ الإسحاقي، أخبار الاول، ص١٣٧.

٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٣٧٣.

٤.المصدر نفسه، ج١٢، ص١٨٩وما تلاها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الى إغلاق الدكاكين والانصراف عن اعمالهم، وقد زاد من خطورتهم عدم مواجهة السلاطين لهذه الأفعال بشكل حاسم ورادع، بل أكتفوا بالمراسيم التي تحرمهم من النزول من القلعة لعدة أيام وما إلى ذلك[١].

لعبت الاوضاع الاقتصادية دوراً كبيراً في تشجيع الجلبان على الثورات، فقد تميز عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة بعدم الاستقرار الاقتصادي، بسبب تلاعب السلاطين بالعملة[٢] وتغيير قيمتها وانتشار استعمالها بسبب قلة الذهب والفضة، وقد بدأ هذا النهج من عصر الظاهر برقوق، حيث تم استخدام الذهب لاتخاذه حلياً، وبذلك انتشرت العملات الرديئة "ولما كانت العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة"، فقد ساعدة على أنتشار التلاعب وتردي الاوضاع وانتشار الغش والتلاعب في العملة بما يخدم أغراض السلاطين في الاسواق[٣].

لقد تأثر المماليك سلباً بهذا التغير في قيمة العملة من خلال تأثيرها على قيمة النفقة التي ينفقها عليهم السلطان، فقد ثار الأجلاب في بداية سلطنة الأشرف أينال بسبب إنفاقه عليهم فشة مغشوشة، ثم مناداته على قيمة الفلوس بما يصرف أمور هذه النفقة[٤].

ترتب على الغش في النقود ارتفاع الاسعار وقلة المعروض منها، كما حدث لمادة اللحمة في الأسواق والسلع الاخرى، وتعطل نصيب المماليك منها، مما أدى إلى شعور الغضب والقيام بالثورات والفتن، وقد تكرر ذلك وظهر جلياً في عصر الغوري، حيث ساءت أحوال الريف، وهجرة الفلاحين، بسبب كثرة نهب الأمراء والمباشرين ووقوع المصادرات في الفلاحين[٥].

وكان لمنسوب النيل أثر كبير على الاوضاع الاقتصادية بشكل عام، ولعب دور برفعها أو خفضها مثلما حدث في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م عندما انخفض منسوب مياه النيل[٦]، وتسارع الناس على

١.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٨٩وما تلاها.

٢. سعيد عاشور، مصر في العصور الوسطى، ص٥٤٣.

٣. محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٩٦. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: محمد محمد أمين، الاوقاف.

٤. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٤٤٩.

٥. ابن أياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٧٧– ١٧٨؛ زيان، حامد، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في عصر المماليك، المكتبة العالمية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٩٢. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: زيان، حامد، الازمات الاقتصادية.

٦. زيان، حامد، الازمات الاقتصادية، ص٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شراء الغلة، فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعاً كبيراً، مما أثر على الأجلاب فقاموا بالنزول إلى الأسواق والاعتداء على الناس، وأعمال النهب والسلب منهم، وكما حدث في سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م في عهد الظاهر برقوق، من ارتفاع الأسعار وتوقف أحوال الناس[١].

كما أثرت الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية داخل مصر، وبالتالي تأثر بها المماليك، حيث تعرضت مصر لكوارث طبيعية كثيرة متمثلة في المجاعات والطواعين، التي منيت بها البلاد، وكان يموت في هذه الطواعين الآلاف من المماليك الأجلاب وذلك لاختلاف بيئاتهم التي جلبوا منها عن البيئة المصرية[٢] وقد منيت مصر بطواعين ومجاعات شديدة في عهد أغلب السلاطين مثل "برقوق، والمؤيد شيخ، وأينال وقايتباي"[٣].

يرى المقريزي أن السبب الرئيسي في كثرة هذه الكوارث والطواعين، يعود إلى انتشار الرشوة في سلطنة الجراكسة، حيث يقول: "أن سبب ذلك كله يعود إلى ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة، كالوزارة، والقضاء، ونيابة الأقاليم، وولاية الحسبة"[٤]، ولقد استغل المماليك الأجلاب هذه الأوبئة والطواعين، وقاموا بالاعتداء والجور على الناس وكذلك السلب والنهب، وذلك حيث أن الكساد وغلاء الأسعار يؤثر فيهم، ويجعلهم غير قادرين على مواجهة هذه المشكلات.

وكثيراً ما ثار الأجلاب بسبب الطمع في الإقطاعات التي تخلفت عن الموتى في الطواعين، مثلما حدث في الطاعون الذي أصاب البلاد في سلطنة قايتباي سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م حيث مات عدد كبير من الممالك، مما أطمع الأجلاب الذين بقوا أحياء في أخذ هذه الإقطاعات[٥]، ولقد أثرت الطواعين على الاستقرار التجاري وادت الى رفع الاسعار مما اثار الاجلاب في التدخل والعمل على اثارة الفتن وحركات التمرد الداخلية[٦].

وكان للاجلاب نفسهم دوراً في اثارت تلك الاضطرابات، فقد اثر شراء الاجلاب كبار السن في نفسيتهم، حيث ضعفت رابطة الولاء، ويعود ذلك لانهم لم يمروا بالأدوار التدريبية والتعليمية التي

---

١. المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، ص٤٢.

٢. David Ayalom, Outsiders in the lands of Islam, p. ٣٣٩.

٣. علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص٣٩٠.

٤. المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٤٣.

٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٢.

٦. العسقلاني: أنباء الغمر، ج١، ص٣٥٣ – ٣٥٤؛ الصيرفي: نزهة النفوس ج١، ص١٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تؤهلهم الى الوصول لدرجة الولاء والانتماء لأستاذهم ومن ثم الى اميرهم وسلطانهم، مما أدى إلى خلوهم من الأخلاق وعدم تنشئتهم على الطاعة والوفاء، فقد كانوا قديماً يرون في أستاذهم (سلطانهم) الذي يرعاهم بالطباق أباً جديداً، يعوضهم عن الأبوة التي فقدوها في بلادهم، فكانوا يشبون وهم يحملون له من الولاء والإخلاص الكثير كاعتراف بالجميل[١].

لم يكن المماليك الاجلاب بأحسن حال من غيرهم، حيث ازداد التناحر بين المماليك الأجلاب أنفسهم، حيث قدموا إلى مصر، فوجدوا أن النظام قائم على الأحزاب الذين ينتمي كلاً منهم إلى أستاذه سواء سلطان أو أمير أو غيره، مثل الظاهرية (نسبة لبرقوق) والأشرفية (نسبة لبرسباي) ، قد أدى ذلك إلى تمكن عامل الفوضى والتمرد في دماء المماليك الجلب، وميل بعضهم للاختلاف والانقسام، مما أثر على قيامهم بفتن وثورات كمحاباة وتعصب لأحد الأمراء[٢].

وكان لتردي حال السلاطين الاخلاقية دوراً في اثارة البلابل والاضطرابات، فكان بعضهم يشرب الخمر وينشغل باللهو، ويجعلون أجلابهم يشاركونهم في هذا اللهو ويعتبر محمد ابن قايتباي خير مثال على ذلك حيث "كان يسير في الشوارع ومعه مماليكه الجلبان، وصاروا يدخلون البيوت في جنح الليل معتدين على أهلها بالسخرية والاستهزاء" وكان يجمع معه المغاني وأهل الطرب[٣].

كان لارتباط المماليك الأجلاب بسلطانهم باعثاً قوياً لإثارة الفتن والثورات بعد موته لأنهم كانوا يتمتعون في عهده بكثير من الامتيازات فإذا بهم وبعد عهده يتلاشى أمرهم ويصبحوا عرضه للفتن والسجن، مما أثر في تعزيز نزعة التمرد في نفوسهم[٤]، وسنتطرق لذكر حركات التمرد كالآتي:

أولاً: تمرد الأجلاب ضد السلاطين:

في شهر صفر سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م قام جماعة من المماليك الجلبان بمؤامرة لقتل السلطان برقوق وكان رأس هذه المؤامرة الخازندار[٥] يلبغا الصغير، وقد بلغ السلطان برقوق خبرهم "فرسم ينفيهم إلى الشام بعد أن ضربوا"[٦].

---

١. طرخان، إبراهيم، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص٣٦.

٢. علي حسني الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية، ص٣١٣.

٣. وليم موير، تاريخ دولة سلاطين المماليك، ص١٦٤.

٤. Ayalon, Studies on the Mamluks, P. ٢١٠.

٥. الخازندار: وهو من يتحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٢١.

٦. المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، صفحات٤٩٣-٤٩٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشير ابن تغري بردي في احداث سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م أنه، قام مماليك السلطان فرج، بفتنة كبيرة ضد السلطان، بسبب رفض ترقية السلطان لهم وتأميرهم على أمريات بالشام، وقد شجعهم على موقفهم بعض الأمراء بحجة أنهم إذا سافروا من يبقى، وقد تحول هذا التمرد إلى فتنة كبيرة، بعد انقسام الأمراء في الرأي ودخولهم في هذه الفتنة[١].

وفي ربيع الأول سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ثارت فتنة كبيرة بين السلطان فرج، وبين مماليكه من الجراكسة وذلك بسبب تفضيل السلطان للمماليك من الأجناس الأخرى على الجراكسة، قام الثوار بمطالبة السلطان بتسليم بعض المماليك المقربين إليه، ومنهم تغرى بردي، وبالفعل قام السلطان بتسليمهم فقام الثوار بنفيهم، وفي خضم هذه الأحداث تعرض الناصر فرج لمؤامرة قتل من مماليك[٢].

ثانياً: تمرد الأجلاب ضد الرعية:

كان المماليك في بعد عن المصريين، ويتعاملون مع المصريين حسب الحاجة لذلك، وما يقتضيه حال المماليك ومتطلباتهم ومصالحهم، ففي شوال سنة ٨١٤هـ/١٤١١م قام المماليك الأجلاب بغارات ومعهم عدد من الأمراء مثل الأمير طوغان الحسني الدوادار[٣] والأمير جانبك الصوفي[٤] وغيرهم، إلى عدت اتجاهات داخل مصر بناءاً على أوامر من السلطان الناصر فرج لتوفير الأموال اللازمة لحروبه مع نواب الشام وتسديد احتياجات ونفقات الجند، فقاموا بغارات على الناس، ونهبوا الأغنام والخيول والجمال، ويشير ابن تغري بردي على ذلك، بقوله: "فما عفوا وما كفوا"[٥].

---

١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٧٢.

٢. William Muir, The Mameluke, or slave dynasty of Egypt, London, ١٨٩٦, P. ١٢٥.

٣. الأمير طوغان الحسني الدوادار: وكان يعرف بالمجنون ممن رقاه الناصر، حتى عمله مقدما ثم دوادارا كبيرا وباشرها بحرمه وعظمه إلى أن ظهر مع جماعة كان الناصر قدمهم أمامهم، ثم وجد بمصر القديمة فحمل إلى القلعة، ثم أرسل إلى الإسكندرية وسجن بها حتى قتل في محرم سنة ثماني عشرة وخلف أموالاً جمه. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص١١.

٤. الأمير جانبك الصوفي: أحد المقدمين وصاحب تلك الوقائع والحروب، فر من محبسه بالإسكندرية واعيا السلطان تطلبه، وامتحن جماعة بسببه وإلى أن ظهر عند ابن دلغادر ومات في منتصف ربيع الآخر سنة أحدى وأربعين واختلف في سبب قتله وكان مما قاله المقريزي ظالماً عائباً جباراً لم يعرف بدين ولا كرم. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧٥.

٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٢٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثيراً ما ثار الأجلاب في المناسبات العامة والحفلات الرسمية، وألحقوا بالناس أضرار كبيرة من حيث الاستهزاء والسخرية، والسلب والنهب، والضرب، وكان من أكثر المناسبات التي حظيت بمفاسد من قبل الأجلاب، دوران المحمل[١] ففي رجب سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م تعرض مماليك السلطان إلى الناس بالاعتداء "فحصل لهم غاية الفساد مما جعل القضاة يصدرون فتوى "بإبطال ذلك وقالوا هذه بدعة سيئة"[٢].

تعدى أحد المماليك الجراكسة الأجلاب في سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م على الناس بفرض أموال عليهم بأذن من السلطان فأذى الناس كثيراً سواء نصارى أو يهود أو مسلمين، وفي ذي القعدة ٨٣١هـ/١٤٢٧م قام المماليك الجلبان بالاعتداء على الناس، بسبب ندرة وجود التبن واللحم، فأخذوا يخرجون إلى الضواحي في طلب التبن لخيولهم، ولهذه الغاية[٣]، أخذوا يعتدون على الناس ويسلبونهم حقوقهم فما كان من الناس إلا الامتناع عن جلب التبن من الأرياف، ثم قام السلطان بمنع المماليك من الخروج إلى الضواحي في طلب التبن، ولا يشتروه إلا من تحت القلعة[٤].

في شهر رجب سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م قام المماليك الجلبان بنهب الناس وخاصة الباعة، والتعرض للنساء والشباب، حيث كان دوران المحمل ففعلوا تلك الأفعال "في ليالي الزينة[٥] وصدر منهم شناعات اقتضت تجمع السودان[٦] وقتالهم المماليك أكثر من مرة، فقتل بينهم رجلان"[٧].

---

١. دوران المحمل: هو الموكب الذي يخرج من مصر كل عام جاملاً كسوة الكعبة، ويعتبر يوم مشهود يجتمع فيه أهل الديار يركب فيه القضاة الاربعة ووكيل بيت المال، وامناء الرؤساء وارباب الدولة والمحتسب وغيرهم، ويقصدون باب القلعة، فيكون كساء الكعبة على ظهر جمل، وامامه الامير المعين للسفر لبلاد الحجاز، ويطوفون به احياء القاهرة، ويكون بالامام الحداة يحدون امامهم.

٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٨.

٣. الضواحي: ضواحي كل شيء نواحيه البارزة للشمس والضواحي من النخل ما كان خارج السور على صفة عالية، وقيل الضواحي أي شيء بارز، ويقال هم ينزلون الضواحي ومكان ضاحي أي بارز وضواحي الروم. المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٢٩؛ ابن منظور: لسان العرب، م١٤، ص٤٧٩.

٤. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٨٢.

٥. ليالي الزينة: حيث كان الاحتفال بدوران المحمل من أجل الاحتفالات عند المصريين، فينادى قبل موعده بثلاثة أيام فيزين الناس حوانيتهم ودورهم، وفي ليلة الاحتفال يحرق النفط وتعمل الصواريخ، وكانت الزينة دائماً بشقق من الحرير. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٨١.

٦. السودان: سواد الناس عوامهم وكل عدد كثير .ابن منظور: لسان العرب، المجلد ٣، ص٢٢٥.

٧. ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١٥٥؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٨٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثر اعتداء وفساد المماليك الجلبان وكثر عبثهم ونهبهم للناس وأخذوا يسرقون من الناس الحريم والأموال، فاجتمع الناس وقاتلوهم[١]، وفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م قام المماليك الأجلاب بالاعتداء على النساء والصبيان، وذلك بسبب رسم السلطان بنزولهم جميعاً من القلعة، فحصل على الناس تشويش كثير من جهتهم[٢].

اعتدى جماعة من المماليك الأجلاب سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م على النصارى الموجودين بحارة النصارى[٣] بقنطرة سنقر[٤] لأخذ الخمور منها فوثب عليهم الناس، واجتمع النصارى للدفاع عن بيوتهم، حيث نزل من المماليك عدة أخرى ووقع قتال بين الفريقين، وقتل ثلاثة من الأجلاب[٥].

في جمادي الأولى سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م ثار المماليك الجلبان على المتعممين ومنعوهم من ركوب الخيل، وركب الفقهاء وأعيان الدولة من المباشرين الحمير وبقيت المماليك يقفون في الطرقات والحارات فمن عاينوه من المتعممين على فرس أوقعوا به، وبذلك لم يستثنوا أحد حتى علق نواب الشرع قائلين لقد ألحقونا هؤلاء المماليك الأجلاب بأهل الذمة، في عدم ركوب الخيل، فلا قوة إلا بالله"[٦].

وتمرد العبيد واعتدوا على الناس، في ربيع الأول سنة٨٦٠هـ/١٤٥٥م فأخذوا عمائمهم من على رؤوسهم، ولعل ذلك بسبب عدم أخذ لحوم من القلعة في ذلك اليوم، لتغيب الوزير فرج بن النحال وقد اشتد غضب المماليك الجلبان لذلك، وأرادوا مشاركة العبيد، إلا أنهم أغلقوا عليهم باب القلعة، فما كان من الناس إلا أن تقاتلوا مع العبيد، عندما وصلوا إلى باب اللوق[٧].

---

١. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٨٠٤.

٢. العيني، عقد الجمان، ج٢٥، ١٠٠.

٣. حارة النصارى: تقع بشارع قنطرة سنقر من جهة اليسار ويسكنها كثير من أقباط النصارى. مبارك، الخطط التوفيقية، ج٣، ص٩٤.

٤. قنطرة سنقر: ذكرها المقريزي وقال هي على الخليج الكبير يتوصل إليها من خط قبر الكرماني ومن حارة البديعين المعروضة اليوم بالحبانية ويمر من فوقها إلى بر الخليج الغربي. الخطط التوفيقية، ج٣، ص٩٤.

٥. الصيرفي: نزهة النفوس، ج٤، ص٣٢٦؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج١، ص١٢٣.

٦. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، صفحات٣٦٩ – ٣٧٣.

٧. باب اللوق: معنى اللوق الأرض اللينة، على الأرض التي أنحسر عنها ماء النيل من ساحل المقس على منشأة المهراني بالقاهرة عرفت هذه الناحية باسم باب اللوق، وهو باب الميدان الصالحي، وقد بقي هذا الباب إلى ٧٤٠هـ؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص١١٨ – ١١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمرد المماليك الجلبان على الناس في جمادي الأولى سنة٨٦٠هـ/١٤٥٥م وقاموا بالاعتداء على التجار بالأسواق، فكانوا يخطفون القماش من الدكاكين، وسائر البضائع، وكان ذلك اعتداء عام حيث قاموا بنهب شون الأمراء، وكذلك الاعتداء على الفقهاء والمتعممين وأنزلوهم من على خيولهم[١].

وفي جمادي الآخرة سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م قام المماليك الجلبان بالاعتداء على الناس في ثورتهم ضد زين الدين الاستادار[٢]، فقاموا بنهب الأقمشة والمتاع والأواني ويحملون ما نهبوا على الخيول والبغال والحمير، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يسخرون الناس في حمل ما أخذوه، كل ذلك دون أن يحرك السلطان ساكناً، وكان من نتائج هذه الفتنة السابقة أن الناس أصيبوا الخوف والذعر من الأجلاب[٣].

تعرض المماليك الجلبان للناس وخاصة الباعة والتجار[٤]، في رمضان سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م واستمر الأجلاب في نهبهم للأسواق والعنف مع الناس وأخذ أموالهم[٥]، وفي رجب سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م ثار المماليك الأجلاب على الناس في دوران المحمل، وتضرر الناس من أفعالهم كثيراً "من خطف النساء والصبيان وعمائم الناس وغير ذلك"[٦]، ويضيف أبو المحاسن أن جماعة من الأجلاب جعلوا أنفسهم عفاريت المحمل[٧].

كثر اعتداء المماليك السلطانية الأجلاب على الناس، ففي شعبان سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م لاسيما الباعة والسوقة مما أثر على حالة السوق وأدى إلى غلاء الأسعار وخاصة البطيخ الصيفي[٨]، وفي جمادي الآخر سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٧م وقع حريق بالقاهرة، وبدأ من بولاق وكان حريق لم يسمع بمثله، حيث

---

١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٢٤.

٢. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٥٧٤.

٣. المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨٧.

٤. التجار: وكان لهم وضع مميز حيث اصطفى السلاطين منهم ندماء وأصدقاء وأنعموا عليهم في كثير من الأحيان بأمره طبلخاناه. سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص٣٥.

٥. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٥٩٢ – ٥٩٣.

٦. بان أياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٣٩ – ٣٤٠؛ ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٣٠٠.

٧. عفاريت المحمل: هم جماعة من الأجناد وغيرهم يغيرون صفاتهم بهيئة مزعجة مهولة إلى الغاية، ويركبون خيولاً بالقوافل والأجراس ويعتدون على العامة. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص٤٧.

٨. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هبت ريح مريس[١] وعظمت حتى اقتلعت الأشجار واستمرت في زيادة ونمو حتى احرقت أرباع كثيرة والكل في غاية الاجتهاد لتخميد النار"[٢] وقد أعاد الناس هذا الحريق للقرمان[٣] وأعاده البعض للأجلاب.

قام المماليك الأجلاب بالاعتداء على الناس قبل دوران المحمل بمده، في شهر رجب سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٧م ليطول تحكمهم في الناس وليكثر ما يأخذونه منهم بطول الأيام فقاموا بعمل عفاريت المحمل مرة أخرى، وصاروا يعتدون على الناس من أجل ابتزاز الأموال منهم، وغالوا في أفعالهم هذه عن السنة السابقة[٤].

استغل الأجلاب وقوع الطاعون سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م وقاموا بالاعتداء على الناس طمعاً في اقطاعاتهم، فساروا إذا رأوا شخصاً على حانوت عطار أخذوه وقالوا له "لعل الضعيف كان له اقطاع، فإن كان له اقطاع عرفهم به وإن لم يكن له اقطاع طال امره معهم، إلى أن يخلصه أحد من الأعيان"[٥].

وتمرد المماليك الجلبان على الناس في رجب سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م في وقت دوران المحمل، "حيث حصل من المماليك الجلبان في حق الناس غاية الفساد من خطف النساء والمرد وخطف العمائم، وحصل منهم ما لا خير فيه"[٦].

ثار جماعة من المماليك الجلبان على أصحاب الدكاكين بمصر العتيقة، في شهر رجب سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م وقاموا بنهبها وذلك بسبب قتل مملوك من الجلبان في جزيرة الصابوني[٧].

---

١. ريح مريس: هي ريح الجنوب التي تأتي من قبل مريس وهي بلدة أدنى بلاد النوبة، ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص١٢٠.

٢. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، ص٣٢٤؛ نفسه: النجوم، ج٦، ص١٢٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٩٩.

٣. قرمان: هي إقليم واسع بآسيا الصغرى، وتشمل لارندا وسيواس وقونيه وأرمناك وقسطمونيه وغيرها، مما هو واقع شرقي الخليج القسطنطيني، وقد حكمها أثنا عشر أمير من أمراء بني قرمان ما بين ٦٥٤هـ –٨٩٢هـ، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٩٣.

٤. ابن تغري بردي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص٩٣.

٥. نفسه: النجوم الزاهرة، ج١٦، صفحات١٤٢– ١٤٣.

٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٤٢٨.

٧. جزيرة الصابوني: هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادي وقطعه سن بركة الحبشي فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابوني وأولاده. المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدث اعتداء من غلام لأحد الأجلاب على العامة، في شهر شعبان سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م وتعدى حدوده في هذا الاعتداء حيث كان سكران، فحمله الناس إلى بعض القضاة، فدخل عليهم وهو سكران، ثم ذهب إلى أستاذه فأخذه وعاد إلى القاضي، فحاول القاضي الاستماع إليه هو والعامة، ولكنه شوش "على العامة وعلى أهل الجامع الأزهر بالضميمة[١] ودخل بفرسه إلى قرب باب الطبيرسيه[٢] بدهليز الجامع فأخرجوه على أقبح وجه ثم نقل أمره أزبك حاجب الحجاب إلى السلطان، فقام بضرب أستاذه وكان من الأجلاب وأمر بتوسيطه فوسط بالخيميين[٣] بالقرب من جامع الأزهر[٤].

قام الأجلاب بالاعتداء على الناس في المولد حيث عمل المولد بالحوش[٥] على العادة في شهر ربيع الأول سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م وقاسى الناس من الأجلاب شدائد، من خطف العمائم والشقق الحرير المنعم بها على القراء والوعاظ" فما كان من السلطان إلا أن أبطل مولد زوجته خوند بالحوش وجعله بتربته بالصحراء فخاف أن يقع لها كما وقع له[٦].

تزايد اعتداء الأجلاب وتعرضهم للناس خاصة التجارة، حيث صعد التجار والسوقة في شهر صفر سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م بناءاً على طلب السلطان لهم، فظنوا أنه دعاهم ليكلمهم فيما يفعله الأجلاب، إلا أن السلطان كلمهم بكلام معناه "أنهم يشترون شيئاً من القماش بالجريدة[٧] وأن يخبروا المشترى

---

١. ضميمه: أي ظلومه فالضيم الظلم والضميم المظلوم، ابن منظور: لسان العرب، الملجد ١٢، ص٣٥٩.

٢. باب الطبيرسيه: وينسب هذا الباب إلى علاء الدين الخازنداري نقيب الجيوش طيبرس وما أنشأه من أبنية نسبت له في مصر القديمة حيث قام ببناء المدرسة الطبيرسية بجوار الجامع الأزهر، وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٨٣.

٣. الخيميين: هو المكان الذي تباع فيه الخيام، يقع بالقرب من الجامع الأزهر وكان يعقب سوق الخراطين. المبتدع من شاع السكة الجديدة والمنتهي بشارع الصنادقية. علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج٢، صفحات١٢، ٧٨.

٤. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٣، ص٤٩٧.

٥. المولد بالحوش: أيام الظاهر برقوق عمل المولد النبوي بهذا الحوش في أول ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول في كل عام فإذا كانت وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش ويجلس بجوار السلطان القضاة ورجال الدين ويقرأون القرآن ثم يفرق عليهم نقود. المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٩.

٦. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣، ص٥١٠ .

٧. الجريدة: الجماعة من الخيل وهي التي جردها من الصغار ويقال لا رجالة فيها ويقال ندب القائد جريدة من الخيل وهي الفرقة العسكرية. ابن منظور: لسان العرب، م٣، ص١١٨. ابن طولون: أعلام الورى، ص٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالحق، وأشياء من هذه المقولة ولم يبد في أمر الأجلاب بشيء[١]، وفي ربيع الأول سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م تعرض الأجلاب للناس في المولد النبوي الشريف، حيث عمل السلطان المولد على العادة، فجرى للناس شدائد كثيرة من الأجلاب[٢].

نلاحظ من تلك الثورات أنه كان نصيب المصريين الإهمال والازدراء من قبل المماليك، وخاصة العامة الذين تكبدوا المشاق والظلم، وسواء في المدينة أو الريف، وتجلى هذا الظلم فيما تعرض له العامة من قبل الأجلاب الذين ألحقوا بالناس الضرر من جراء الاعتداء والسلب والنهب داخل الأسواق، وفي الطرقات والمنازل والدكاكين، ونتج عن هذه الأفعال كساد داخل الأسواق وندرة في البضائع الضرورية ليس للمصريين فقط ولكن للمماليك أنفسهم، ووضع الاقتصاد في أزمات حادة، أدت في كثير من الأحيان إلى عجز السلاطين والموظفين عن الوفاء بالتزامات الحكم والسلطنة.

اما عن أثر ثورات المماليك الجلبان على أحوال مصر الداخلية، فلقد تسببت ثورات الأجلاب في إصدار سلاطين المماليك الجراكسة لمجموعة من القرارات التي من شأنها الحد من انفتاح الأجلاب واحتكاكهم المباشر بالناس، وبالتالي الحد من اعتداءاتهم، ومن تلك القرارات ما صدر سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م من قبل السلطان المؤيد شيخ، واحتوى على منع عقد مملوك من المماليك السلطانية على امرأة وهدد من عقد نكاح أحد منهم[٣].

كما قام برسباي في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م بمنع الناس من عمل الأعراس والولائم، وهدد من يعمل ذلك بكل سوء، خوفاً من هجوم المماليك الأجلاب على النساء "وهذا من قصور همتهم ويدهم فلا قوة إلا بالله"[٤]، وفي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م أصدر السلطان برسباي مرسوماً "بمنع نزول المماليك الأجلاب من الطباق إلى القاهرة" لأنهم نزلوا واعتدوا على الناس وتعرضوا للنساء، ولكن لم يلتزم المماليك بهذا النداء إلا يومين، ثم عادوا إلى عاداتهم، كما منعهم السلطان من حمل السلاح فلم يستجيبوا[٥].

---

١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، صفحات ٢٩٠– ٢٩١.

٢. المصدر نفسه، ج١٦، ص٢٩٦.

٣. المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ص٢، ص٢٦.

٤. ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، صفحات١٦٠– ١٦١.

٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص١٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نادى السلطان جقمق في سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م بأن لا يخرج أحد في الليل من الناس، وأن يصلحوا دروب الحارات ونحوها، حيث كثر النزاع بين الأمراء والمماليك الأجلاب[١].

كما أبطل جقمق سوق الرماحة في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م ذلك لفساد المماليك الجلبان فما عمل سوق الرماحة في جل ولايته إلى أن مات كما أبطل عادات أخرى كثيرة مثل مسايرة أمير الحاج، والمولد الذي يعمل في طنتدا، وما كان يعمل بالقلعة من الزفة بالمغاني والمواصيل الخليلية[٢]، فقد كان المماليك الجلبان يستغلون كل هذه المناسبات ويقومون بالاعتداء على الناس بالسلب والنهب[٣].

كان لتمردهم الآثار السلبية على أحوال الموظفين والمباشرين، ففي سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م غضب السلطان برقوق على الوزير علم الدين سن أبره وضربه وخلعه بابي الفرج الذي لقب موفق الدين وذلك بسبب تأخيره لحوم المماليك[٤]. وفي ذي القعدة سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م ألزم سعد الدين إبراهيم بن غراب بتجهيز نفقة المماليك، فالتزم أن يحمل منها مائة ألف دينار، وألزم الوزير ناصر محمد بن سنقر وتاج الدين عبد الرزاق أبي الفرج، ويلبغا السالمى بمائة ألف دينار، فشرعوا في تجهيزها، وكان هذا التعسف في طلبات السلاطين ونفقات الأجلاب، يؤدي إلى اختفاء وعجز المباشرين[٥].

استعفى الأمير صلاح الدين محمد الأستادار[٦] سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٦م من الاستدارية بسبب عجزه عن الوفاء بنفقة المماليك، ثم التزم هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص "بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار في نفقة المماليك"[٧].

---

١. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٥٧؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١٤٢.

٢. المواصيل الخليلية: وكانت تعمل بالقلعة عند غروب الشمس، وعند فتح باب القلعة باكر النهار، وبعد العشاء وهو ما يقال لها نوبة خاتون. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص١١١.

٣. ابن تغري بردي: حوادث الزهور، ج١، ص١١١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٧٣.

٤. العسقلاني: أبناء الغمر، ج١، صفحات٢٦٢ – ٢٦٣؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ص٧٩٨.

٥. المقريزي: السلوك، ج٣ و٤، ق١ و٣، ص ٣٩ و ١٠٦٥ – ج٣، ق١، ص٣٩.

٦. صلاح الدين محمد الاستادار: هو أحمد بن محمد بن بركوت الصلاح بن الجمال بن الشهاب المكيني الأصل نسبة لمكين الدين اليمني، لكونه معتق جده صاحب الترجمة ويعرف أولاً بأمير حاج، السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٠٠.

٧. المقارع: السياط، وكل ما قرعت به. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قام السلطان برسباي في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م بتعذيب كريم الدين بن كاتب المناخ، حيث عراه من ثيابه، وضربه بالمقارع[١]، ثم ضربه على أكتافه بالعصى ضرباً مبرحاً، وعصرت رجلاه بالمعاصر، ثم أعيد إلى محبسه، ثم أنزل إلى بيت التاج والي القاهرة[٢]، وكل ذلك لإرغامه على التصرف فيما ألزم به من مال كنفقة للمماليك.

قام السلطان أينال في ربيع سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م بتوبيخ الوزير شمس الدين نصر الله، وذلك بسبب عدم قيامه بالتزاماته تجاه المماليك، وتأخر اللحوم المقررة لهم لمدة ثلاثة أيام فقام بإحضاره ووبخه ثم هدده بالضرب بالمقارع، ولم يلتفت السلطان لأي أحد حاول تهدئته تجاهه[٣].

من الآثار السلبية الاجتماعية والاقتصادية التي شملت المدينة والريف، فقد أغلقت الأسواق وتوقفت الأحوال الداخلية على أثر ثورتهم ضد الناصر فرج في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م[٤]

كان ذلك نتيجة لاعتداءاتهم المتكررة على الناس في الطرقات والأسواق في سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م أن عانى الناس من قلة المياه بالقاهرة وارتفعت أسعارها، واتفق ذلك مع شدة الحرة المفرط كما أغلقت الأسواق على أثرا أشاعه لقيام ثورة لهم في شوال في نفس السنة وشح الخبز من الأسواق[٥].

وفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م أطلق الناصر فرج يد يلبغا الناصري[٦] بسبب توفير نفقة المماليك لخشيته منهم، فقام بتحصيل الأموال من حواصل القاهرة التي للتجار والأيتام، واستخراج الأموال من الأراضي والأرزاق[٧] ونتج عن ذلك أن عم الضرر جميع البلاد المصرية، وانتشر الغلاء والأوبئة وأهمل ري المياه[٨].

---

١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥٣.

٢. المصدر نفسه، ج١٥، ص٥٣.

٣. المصدر نفسه، ج٢، ص٥٢١.

٤. المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٠٧.

٥. المصدر نفسه، ج٣، ق٣، صفحات١٠١٦ – ١٠١٩.

٦. يلبغا الناصري: نسبة إلى جاليه الظاهر برقوق الأتابكي، أصله من أعيان خاصكية أستاذه، ثم قدمه الناصر ولده ثم ولاه الحجوبية الكبرى، ولما تجرد إلى البلاد الشامية، جعله نائب غيبته بالقاهرة ثم نقل إلى الأتابكية، ومات في سنة (٨١٧هـ/١٤١٤م). السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، صفحات٢٩٠ – ٢٩١م.

٧. المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، صفحات١٠٥٢– ١٠٥٣؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج٢، ص٩٨.

٨. علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج١، ص١٤٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م أطلق السلطان فرج بن برقوق يد وزيره في الناس لاستخلاص نفقة المماليك وثمن اللحوم، فأخذوا يقرون الأموال على الناس، ومن عجز عن الدفع قاموا بنهب حانوته وداره وكان ذلك عندما كانت المعاملة بين الوزير والمماليك بنظام يومي، ثم غيرها بعد ذلك الوزير فخر الدين بن غراب[١].

وفي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م قام الأمير فخر الدين الأستادار بحملة إرهابية على الوجه القبلي لجمع الأموال من دافعي الضرائب، حيث لم يصل فيضان النيل في هذه السنة إلى حده المعتاد، مما أدى إلى ارتفاع سعر الغلال والتأثير على السوق، وبالتالي التأثير على النفقة[٢].

نجد أنه عند حدوث أي عجز في موارد الدولة بسبب الاضطرابات الطبيعية أو الحروب والتجريدات، فكان الرعية هم من يدفعون الثمن، ففي سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م أخذ الأستادار بجمع الأموال من أجل النفقة، باستخدام العسف والظلم فخرب إقليم مصر[٣].

وفي ذي القعدة سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م نهب الأجلاب التبن وصاروا يخرجون إلى ظواهر القاهرة لنهبه من جالبيه، وذلك لخيولهم ودوابهم، حيث كان عزيز جداً في السوق، كما عز وجود اللحم[٤].

وفي سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م أطلق برسباي يد الأستادار على النواحي، حيث سافر وقرر مالاً سماه الضيافة، وقرره على الفلاحين، وذلك لعجز الديوان المفرد عن النفقة، وقد حصل مالاً كثيراً ولكن على حساب الفلاحين والفقراء[٥].

وفي سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م قطعت الجسور، وفسدت غلال كثيرة بما قيمته آلاف الدنانير بسبب الإهمال، وشرقت عدة بلاد، وكان ذلك من جراء نهب الأجلاب وبعض الأمراء للنواحي والتخريب فيها[٦].

وفي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م قطع السلطان أرزاق كثير من الناس لتكفيه المماليك الأجلاب، فقطع مرتبات الناس على الديوان المفرد، وعلى الإسطبل السلطاني، وعلى ديوان الوزارة، "وبذلك ما بين نقد في كل شهر ولحم في كل يوم وقمح في كل سنة"[٧].

---

١. المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، صفحات ٣٩– ٤٠.

٢ المقريزي: الخطط، ج٤، ق١، ٢٣٤.

٣. المصدر نفسه، ج٤، ق٢، صفحات٦٧٨– ٦٨٨.

٤. المصدر نفسه، ج٤، ق٢، ص٧٨٢.

٥. ابن الصيرفي: نزهة النفوس،ج٣، صفحات ١٥٠، ١٥١؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ص٧٩٦– ٧٩٧.

٦. الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٤١.

٧. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩١٤؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج١٦، ص١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م خربت الأسواق والدكاكين حيث قام الأجلاب بثورة ضد موظفي الدولة، وذلك بسبب ارتفاع الأسعار واضطراب الأحوال الاقتصادية، وعدم اسقرار السوق[١].

استمر الغلاء وامتد إلى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥٠م حتى خرج عن الحد[٢] وعبث الأجلاب بالسوق ومصالح الناس وفي وقت غياب الرقابة من الدولة، وفي صفر سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م اضطربت أحوال السوق بسبب تغير سعر النقود، وازدادت الأحوال سوءاً، كما نتج عن ثورتهم في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م إغلاق الحوانيت وتعطل مصالح الناس ومعاشاتهم، وشمل ارتفاع الأسعار جميع السلع التجارية[٣].

كان أخطر تأثير لثورات الأجلاب تلك التي شملت أحوال الدولة الاقتصادية ونظام المعاملة بين الدولة واصحاب الاقطاعات، حيث استغل الأجلاب موت الكثير من المقطعين وسعوا لنهب إقطاعاتهم، ثم غالوا في هذا الأمر بحيث لو سمعوا عن انقطاع أحد الأشخاص في بيته ساعة واحدة أخذوا إقطاعه في الحال حياً كان أو ميتاًن فصاروا يأخذون الإقطاع في اليوم فيصبح صاحبه فيسترجعه من الغد، ومن هنا قصد الأجلاب إقطاعات الأحياء، مما أربك أمور الدولة[٤].

وفي ربيع الآخر سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م تأثر الرعية بأفعال الأجلاب تأثر بالغ الخطورة على كافة المستويات، حيث أمر الناس البوابين بغلق الدروب وقت أذان العشاء، ومنهم من صار يغلقه بعد المغرب، فضر ذلك بحال الناس أكثر من ذي قبل[٥]، وفي نفس السنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م كثر هجوم الحرامية بسبب كثرة مفاسد الأجلاب وإهمال والي القاهرة لمنع ذلك بسبب معرفته أن الذي يقوم به هؤلاء الأجلاب وهو يعلم بميل السلطان إلى أجلابه[٦].

---

١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٨٥٩.

٢. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص٤٣٥، ج١٦، صفحات١– ١٢.

٣. نفسه، حوادث الدهور، ج٢، صفحات٥١٧ ، ٥٩٢.

٤. ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٢، صفحات٣٣٤– ٣٣٧.

٥. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٣٦٠.

٦. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمرد عدد من المماليك الجلبان على السلطان ووقفوا له بالرملة[١] في شهر رجب سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة بسبب النفقة فسعى الأمراء بينهم وبين السلطان بالصلح، حيث سار الأمر إلى أن وعدهم بالنفقة بعد مضي شهر حتى هدي الوضع واصبح احسن من ذي قبل[٢]، وفي سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م مرض السلطان وقد خشى من توليه ابنه محمد بن قايتباي الحكم بسبب ما عاناه من ثورات الأجلاب فخاف على ابنه من أفعالهم، فرفض اقتراح تمراز الشمسي[٣] أتابك العساكر "أن يأخذ العهد لأبنه محمد"[٤].

تمرد الأجلاب ضد السلطان محمد بن قايتباي[٥] في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م بسبب النفقة التي طلبوها لنصرته على آقبردى[٦]، وفي شوال سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م تعرض المماليك السلطانية للسلطان جانبلاط بسبب الأقاطيع، والوظائف، مما أدى إلى جعل السلطان يزهد في منصب السلطنة، ويحاول الهروب فيقول ابن إياس: "وهم بأن يختفي بنفسه، حتى يولوا من يختارونه من الأمراء"[٧]، وبالفعل كانت هذه بمثابة الخاتمة لحياة جانبلاط وذلك "لأنه عزل ومات بالخنق ثم تولى العادل طومان باي"[٨].

---

١. الرملة: مدينة إسلامية، بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه وسميت بذلك لغلبه الرمل عليها، وكانت في العصور الوسطى قصبة فلسطين، تقع جنوب غرب يافا. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٩٩. العيني، (بدر الدين العيني ت٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق، محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٢، ص٩٢.

٢. ابن أياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٩٥.

٣. تمراز الشمسي: الأشرفي برسباي العزيزي نسبة للعزيز بن الأشرف معتقه، أمير سلاح وابن أخت الأشرف قايتباي وكان قدومه في سنة ٨٣٦ هـ وصار ساقياً في الأيام الأينالية ثم أمير عشره، ثم شارك في أحداث الخروج عن الظاهر، ثم صار أحد المقدمين، السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، صفحات ٣٦ – ٣٧.

٤. طرخان، ابراهيم، مصر في عصر دولة سلاطين الجراكسة، ص٣٩.

٥. الناصر محمد بن قايتباي: تولى في سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م، ولم يدم حكمه أكثر من سنتين، وكان صغير السن، وقتله الأمير طومانباي في سنة أربع وتسعمائة. علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج١، ص١٢٨.

٦. Clubb, Soldiers, P. ٣٨١ – ٣٨٢.

٧. ابن أياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٧.

٨. سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٢٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتمرد الأجلاب ضد السلطان الغوري في شوال سنة ٩١٣هـ/١٥٠٣م بسبب النفقة، وتطورت ثورتهم إلى مؤامرة خطيرة لقتله عندما نزلوا من الطباق بكباشيات[١]، وقصدوا أن يهجموا عليه، ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة واستمرت الفتنة ثلاثة أيام[٢]، وفي صفر سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م قام الأجلاب بثورة كبيرة ضد السلطان بسبب نقص وتعطل اللحوم، وقد شملت هذه الثورة جميع من بالدولة من السلطان إلى العامة، حيث اعتدى الأجلاب بالسلب والنهب على الأمراء والمباشرين فعولوا على نهب بيوت الأمراء والمباشرين كما نهبوا الناس والأسواق فمنعوا الأمراء من طلوع القلعة، ونهبوا الدكاكين التي في خرائب التتر"[٣].

يتضح من تلك الامثلة أنه سادت الفوضى وعدم الاستقرار في الحياة الاقتصادية والاجتماعية داخل مصر، من جراء أفعال الأجلاب وتعديهم على العامة في الحارات والدروب، مما نتج عنه في كثير من الأحيان، إلى إغلاق الحوانيت والدكاكين، وإضراب السوق وكساده، وارتفعت الأسعار، وندرة الغلال والتبن والفواكه والقمح وغيرها من السلع الضرورية، وزاد من خطر هذه الأفعال، أنهم كانوا يبالغون فيها وقت الأزمات مثل الطواعين وغيرها مما كان يزيد الأمور سوءاً.

كما نلاحظ مما سبق ان الأجلاب تدخلوا في السياسة الداخلية وأمور الحكم، من خلال مشاركتهم في الصراعات الداخلية، ومن ثم التدخل في قرارات السلاطين بالتأييد أو الرفض، مع فرض إرادتهم على سياسة السلاطين بما يتناسب مع ميولهم، وتجلي خطورة دورهم عندما تدخلوا في تولية السلاطين وعزلهم، وفي التخلص من بعض الأمراء بالقتل أو النفي، وبالرغم من عدم درايتهم الحربية، إلا أن كثرة عددهم مكنت الأمراء والسلاطين الاستفادة منهم في التنافس والصراع كل حسب ذكاءه، وبذلك لا نبالغ إذا قلنا أن الأجلاب كيفوا الحياة السياسية الداخلية في عهد الجراكسة، تأثيرهم على الأمن الداخلي والخارجي وذلك من خلال مشاركتهم في التجريدات الداخلية والخارجية، فمما لا شك فيه أن كل هذه المؤثرات السابقة قد تركت بصماتها على أحوال الأمن داخل البلاد وخارجها، حيث تعرضت السلطنة لأخطار داخلية وخارجية، منها ثورات العربان، مما

---

١. كابشيات: مفردها كبش، ومجمع على كبوش وأكبش، وهو آلة متصلة بالدبابة، لها رأس ضخم وقرنان، تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهديمها. المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٥٦.

٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٩.

٣. خرائب التتب: ذكر المقريزي أن تتراسم لمملوك من مماليك أسد الدين شيركوه الأيوبي، وكان هذا المملوك قد أستولى على حمام بخط دار الوزارة الكبرى مدة الدولة الفاطمية فعرفت الحمام والخط أيضاً باسمه ثم خربت الحمام وصار مكانها دار عرفت باسم دار الأ مير شيخ على وبقى الخط معروفاً بخط خرائب تتر. المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣٧، ج٢، صفحات ٨٠، ٥١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أستلزم إرسال تجريدات بصفة مستمرة من المماليك السلطانية والأمراء لمنع مثل هذه الثورات، وقد استغل الأجلاب هذه التجريدات في إشباع رغبة السلب والنهب كعادتهم ضد الرعية، كما تسببوا في حالة فوضى مستمرة من خلال المشكلات التي أوجدوها مما أضعف الدولة أنهكها.

أما الأخطار الخارجية فقد تمثلت في العثمانيين فضلاً عن الدويلات التركمانية وكذلك التترية، مما ألزم الدولة بالتجهيزات العسكرية المستمرة لصد أخطارها، وقد تجلى تأثير الأجلاب في تدخلهم المستمر في سياسة البلاد الخارجية، والتشويش على قرارات السلطان.

٣. دور البابوية في فرض الحصار الاقتصادي على سلطنة المماليك:

اصدرت البابوية مراسيم تحرم بها التجارة مع دولة المماليك، وتحذر بها امداد المماليك بأي سلعة من السلع سواء كانت عسكرية أو تموينية، فأرادت بذلك سلع الحرب مثل الاسلحة، الحديد، والخيول، والخشب، وشددت على تحريم تجارة الرقيق ليقطعوا بذلك على المماليك خط الامدادات البشرية للجيش المملوكي[١].

تؤكد المراسيم البابوية الخاصة بتحريم التجارة مع المسلمين منذ أواخر القرن الثالث عشر وحتى منتصف الرابع عشر، على توجيه تلك الحرب الاقتصادية ضد سلطنة المماليك، فالعبارات التي استخدمت في غالبية المراسيم البابوية لتحديد المنطقة المستهدفة بالحظر التجاري كانت شبه واحدة ومتكررة؛ ففي بعض الأحيان حددت على أنها "الإسكندرية والمناطق الأخرى للمسلمين في بلاد مصر"[٢].

كانت السلع الحربية في طليعة السلع التي حرمت البابوية تصديرها إلى سلطنة المماليك، خاصة الأسلحة بكافة أنواعها، وكذلك الحديد والأخشاب والسفن والخيول، كما شمل التحريم أيضاً المعادن الأخرى التي يمكن استخدامها في تصنيع الأسلحة، كالرصاص والقصدير وغيرهما من المعادن[٣].

هكذا اعتبرت البابوية أن كل من يقوم بالإتجار مع سلطنة المماليك، أو يقدم لها الدعم، بما في ذلك استخدام الموانئ لأجل هذا الغرض يعد منتهكا للحظر البابوي وأطلق على هؤلاء التجار اسم السكندريين "De Alexandrinis" على التجار الذين أبحروا بسلعهم إلى سلطنة المماليك، أو أرسلوها عبر وسطاء، بل وكذلك على الأفراد الذين ذهبوا في معية التجار الأوربيين، وقدموا العون

١.عاشور، سعيد، العصر المماليكي، ص٢٩٤.

٢. نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٩٤؛ صبحي، لبيب: سياسة مصر التجارية، صفحات١٣٠، ١٣١.

٣. Trenchs Odena: op.cit, p. ٢٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم مثل الخدم والكتاب والقساوسة، وكذلك العلمانيين الذين أرسلوا سلعاً إلى هناك مع التجار؛ بهدف الكسب، كما أطلق الاسم على الممولين الذين أمدوا التجار بالأموال، إضافة إلى البحارة الذين عملوا على متن السفن التي أبحرت إليها ولم يقتصر الأمر على الرجال وحدهم بل شمل النساء أيضاً في حال قيامهن بخرق الحظر[١].

وحذرت البابوية كل من يخالف اوامرها ومراسمها بان تلحق به الضرر بالعقاب والحرمان من مزاولة عملية التجارة، بل وتعدى الأمر إلى حرمانه وإسقاط حقوقه المدنية والاهلية، وحرمانه من الميراث والوصية[٢].

مع ان البابوية حرمت الاتجار مع المماليك الى ان تجار البندقية فضوا هذا الحصار حرصاً على مصلحتهم، وبعثوا بقنصلين من مدينة البندقية الى الاسكندرية في سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م وفي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م ومن هنا نلاحظ ان هذا دليل على وجود مستوطنة تجارية في المدينة، ووجود تلك القنصلية انما يخدم مصالح ابنائها ورعايتهم[٣].

كما عمل تجار البندقية على الطلب من البابوية وبإلحاح السماح لهم بالمتاجرة مع دولة المماليك، وحصلوا على امتيازات خاصة ومؤقته من البابوية للمتاجرة مع المماليك[٤].

أثر سياسة الحظر البابوي على حركة التجارة بين القوى الأوروبية وسلطنة المماليك:

الواقع أن القوى التجارية الأوروبية، وبخاصة المدن التجارية الإيطالية كان لديها من المصالح الحيوية ما يدفعها إلى مواصلة تجارتها المربحة مع سلطنة المماليك رغم الحظر البابوي، منذ أن أصبح رخاؤها الاقتصادي مرهوناً بالاستمرار في المتاجرة بالسلع الشرقية[٥] التي ازداد الطلب عليها منذ أواخر القرن الثالث عشر؛ بفعل النمو السكاني لمدن جنوب وغرب أوروبا[٦].

---

١. Trenchs Odena, Op.Cit, pp. ٢٤٠ – ٢٤٣.

٢.نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها، ص١٩٤.

٣. عاشور، سعيد، العصر المماليكي، صفحات٢٩٤–٢٩٥.

٤.نعيم زكي، طريق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٩٤.

٥. Hill: Op.Cit., Vol. II, p. ١٩٦; Housley, The Avignon Papacy, p. ٢١٣.

٦. Ashtor, Levant Trade, pp. ٣ – ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان من شأن ازدياد النفقات التي كان على سلاطين المماليك تحملها بسبب أغارات القراصنة الفرنج، خاصة مع التدهور الاقتصادي الذي انتاب السلطنة في عصر الجراكسة، أن يدفعهم إلى محاولة تدبير بعض هذه النفقات من كافة الأوجه المتاحة، فلجأوا في بعض الأحيان إلى بيع عقارات وأملاك بيت المال، مثلما حدث منذ عهد السلطان جقمق[١].

فنلاحظ أنه وبالرغم من تحريم البابوية للإتجار مع المماليك إلا أنه استمرت تجارة الرقيق مع البلاد المصرية، حيث كان تجار الرقيق يقومون بشراء الرقيق بأجناسه المختلفة ويبيعونهُ لتجار الرق المسلمين بأغلى الأثمان[٢].

أثر الحصار الاقتصادي الأوروبي على النظام النقدي المملوكي:

إذا كانت السياسة التي درجت على نهجها بعض القوى الأوروبية فيما يسمى بالحصار الاقتصادي قد أثقلت كاهل الاقتصاد بأعباء ضخمة، فإنه كان عرضة في ذات الوقت لآثار سلبية على النقد المملوكي، وفي طليعة هذه الآثار السلبية يأتي نجاح الدوكات البندقي في التغلب على الدينار الذهبي المملوكي داخل أسواق السلطنة المملوكية ويعزى نجاح الدوكات في اختراق الأسواق النقدية المملوكية إلى قوة اقتصاد البندقية، واتساع حجم معاملاتها التجارية مع سلطنة المماليك، كما يعزى أيضاً إلى تمتعه بدرجة عالية من النقاء ووزن ثابت بلغ(٣ ٥٦)جم، فكان يتعامل به عن طريق العد لا الوزن عكس الدينار الذهبي المملوكي[٣]، وأصبح الدوكات البندقي يتداول في كل أنحاء سلطنة المماليك، وهو ما أكد عليه المقريزي بقوله: أن الدوكات "قد غلب من حدود سنة ثمان مائة على أكثر مدائن الدنيا، من القاهرة ومصر وجميع أرض الشام، وعامة بلاد الروم والحجاز واليمن"[٤].

يرجع انتشار الدوكات إلى التداول داخل سلطنة المماليك في الفترة التي أعقبت وفاة السلطان الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م فقد وجدت كميات كبيرة منه في خزانة السلطنة المملوكية استخدمها ابنه السلطان الناصر فرج في اجتذاب الأتباع والمؤيدين[٥]، وكان للأزمات الحادة التي مرت بها السلطنة في سنة ٨٠١هـ/ ١٣٣٩م السبب في انتشار تلك، وقد يكون هناك تراخياً في

---

١. محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ص٣٠٠– ٣٠١.

٢. Heyd: Op.Cit.T.١١,P. ٥٥٨.

٣. Rabie, The financial system of Egypt, London, ١٩٧٢, pp. ١٩٠ – ١٩١.

٤. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠٩.

٥. Bacharach, "The Dinar Versus the Ducat", IN/MES, Vol.٤, (١٩٧٣), p. ٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موقف السلطات المملوكية إزاء الدوكات أدى إلى سيطرته على التداول في أسواق السلطنة، خاصة مع جلب كميات كبيرة منه، فأصبح منافساً للنقد المملوكي بعدما كان عملة لإبرام الصفقات التجارية الدولية[١].

يصف القلقشندي تلك العملة، قائلاً: "وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية"[٢] ويؤكد على هذه السمة للدوكات كل من المقريزي وأبي المحاسن بقولهما: "وعليه شعار كفرهم الذي لا تجيزه الشريعة المحمدية"[٣].

مع أن القلقشندي كان مخطئاً عندما اعتبر أن الشخصين اللذين كانا قد سكا على أحد وجهي الدوكات هما بطرس وبولس؛ إذ كانا في حقيقة الأمر دوج (حاكم) البندقية راكعا أمام القديس مرقس[٤]، إلا أن الطابع الصليبي للدوكات على هذا النحو كان يؤرق سلاطين المماليك بوصفهم المدافعين عن الإسلام، وحماة الخلافة الإسلامية في مواجهة أعدائه من الصليبيين والمغول، فكان عليهم مواجهة هذا المد الصليبي المتمثل في صورة انتشار الدوكات في أراضيهم على حساب عملاتهم الإسلامية[٥].

جاءت المحاولات الأولى لإصدار نقد ذهبي مملوكي جيد العيار والوزن لمواجهة انتشار الدوكات في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق؛ إذ تم إصدار الدينار السالمي –نسبة إلى الأمير يلبغا السالمي استادار[٦] السلطان– في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م على وزن المثقال الإسلامي[٧]٤٢٥جم، ثم اتبع بالناصري – نسبة إلى السلطان الناصر فرج – الذي ضرب على وزن الدوكات[٨]، وقد بدأ

---

١. Bacharach, the dinar versus the Ducat, p.٨١.

٢. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٤٣٧.

٣. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٠٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨٣.

٤. Bacharach, The ducat in fourteenth century Egypt, p ٩٥.

٥. Bacharach, The dinar versus the ducat, p.٨٣.

٦. الاستادار: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراف خاناه والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم، انظر: سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص٣٨٩.

٧. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٤١، ج٤، ق٢، ص٩٤٣.

٨. المصدر نفسه، ج٤، ق١، ص١٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تداوله في سنة ٨١١هـ/١٤١١م ثم كرر المحاولة السلطان المؤيد شيخ، لكن أياً من هذه العملات لم يفلح في أن يحل محل الدوكات في التداول حيث كانت كل عملة من العملات الذهبية المملوكية يتسرب إليها الغش وتناقص الوزن فيتعامل بها عن طريق الوزن لا العد[١].

ثم كان أن حقق السلطان الأشرف برسباي نجاحاً جزئياً في هذا المساق في سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م عندما أبطل التعامل بالدوكات وأحل محلها عملة ذهبية جديدة سميت بالدنانير الأشرفية[٢]، وكان الوزن الذي أعلن للدينار الأشرفي مقارباً لوزن الدوكات؛ إذ كان حوالي(٣ ٤١) جم[٣]، وحاول برسباي دعم الدينار الأشرفي عن طريق إعادة ضرب الدوكات إلى دنانير أشرفية[٤].

كما أعاد ضرب الجزية التي وصلته من قبرس والتي قدرت بـ (٥٠) ألف دوكات إلى دنانير أشرفية في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م[٥] ومن ثم فقد تمكن من إدخال كميات كبيرة من عملته الجديدة إلى أسواق التداول في السلطنة[٦]، في نفس الوقت الذي دعم فيه الدينار الأشرفي بالإعلان عن حظر التعامل بالدوكات أربع مرات في سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م[٧]، ثم مرتين في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٩م[٨].

لم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة للفلوس النحاسية المملوكية؛ إذ إنه في النصف الأول من القرن الخامس عشر كانت مصر تعاني من نقص شديد في كميات النحاس الواردة إلى السلطنة واضطراب في العملات النحاسية، خاصة في الفترة من (١٤٢٠–١٤٣٠م) وكان السبب وراء تلك الأزمة هو تقلص كميات النحاس الواردة إلى مصر مع التجار الأوروبيين[٩]، ومما زاد الأمر سوءاً أن النحاس المصري سواء في صورته الخام أم في صورة الفلوس، كان يأخذ طريقه إلى بلدان

---

١. Bacharach, The dinar versus the ducat, pp. ٨٥ – ٥٦.

٢. ابن حجر: الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ج٣، ص٣٦٤.

٤. المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦٤.

٥. المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٣١١.

٧.المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٢٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ج٣، ص٣٦٤.

٨.ابن حجر: الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ج٣، ص٣٩٩.

٩.النبراوي، رأفت، السكة الإسلامية في مصر في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٣، صفحات ٣٢٠ – ٣٢١. وسيشار اليه فيما بعد هكذا: النبراوي، رافت، السكة الاسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى كالهند، واليمن، والحجاز على يد التجار الذين وجدوا في تصديره إلى هذه البلدان ربحاً وفيراً[١]، أضف إلى ذلك ما كان يستخدم منه في صناعة الأواني والمنتجات النحاسية[٢].

٤. أثر حركة الكشوف الجغرافية على تجارة الرقيق:

شهد عصر سلاطين المماليك في مصر والشام ازدهاراً كبيراً في النشاط التجاري، ونجحت مصر في أن تستأثر بالجزء الأكبر من التجارة العالمية بين الشرق والغرب حيث قامت بدور الوسيط بينهما، وتحققت لدولة سلاطين المماليك ثروات ضخمة جنتها من وراء هذا النشاط التجاري المزدهر[٣].

يعود الفضل إلى سلاطين المماليك الذين اهتموا اهتماماً بالغاً بالتجارة وأشرفوا عليها إشرافاً دقيقاً، فأمنوا طرق التجارة داخل مصر حتى تصل بضائع الشرق سليمة من موانئ البحر الأحمر – وبخاصة عيذاب[٤]– إلى موانئ البحر المتوسط – بخاصة دمياط والإسكندرية[٥]، كما عملوا على إغراء التجار الشرقيين على جلب بضائعهم إلى موانئ مصر المطلة على البحر الأحمر، وكذلك إغراء التجار الأوروبيين على التردد على دمياط والإسكندرية لشراء حاصلات الشرق[٦].

---

١. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، صفحات ٤٣٩ – ٤٤٠؛ المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٩٤؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٣.

٢. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، صفحات ٩٤٣ – ٩٤٤؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٣.

٣. Heyd: Hist. du commerce., T.١١, P.٢٥;

انظر أيضاً نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٢٦ – ١٢٧.

٤. ظلت عيذاب ميناء مصر الرئيسي على البحر الأحمر منذ أواخر العصر الفاطمي، وحتى أوائل دولة المماليك الجراكسة. انظر حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية، ج١، ص٥٨.

٥. أصبحت الإسكندرية منذ العشرينات من القرن الرابع عشر الميلادي/الثامن الهجري، من سواحل آسيا الصغرى إلى تونس، انظر صحبي لبيب: سياسة مصر التجارية، ص١٣٣؛ جاستون فيت: المواصلات في مصر في العصور الوسطى، ص٣٨ – ٣٩؛ شارل ديل: البندقية جمهورية أرستقراطية، صفحات ١٤١، ١٤٢.

٦. سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في مقابل تشجيع حكومة المماليك للبنادقة وإعفائهم من عدة ضرائب، لم يتردد البنادقة في جلب الرقيق والأسلحة والحديد والأخشاب والكبريت وبعض المواد الغذائية إلى المماليك[١]، لهذا تمتع البنادقة بالمكانة الأولى بين الجاليات الأوروبية في مدينة الإسكندرية طوال العصر المملوكي في نهاية العصور الوسطى، وأثناء العهد العثماني في مطلع العصور الحديثة[٢].

اتبعت حكومة المماليك الجراكسة سياسة اقتصادية أثرت على هذا النشاط التجاري لمصر، وكان الهدف من هذه السياسة الجديدة المزيد من الربح السريع من التجارة الشرقية، لذا اتبع سلاطين المماليك الجراكسة سياسة احتكار تجارة التوابل والبخور، فأدى ذلك إلى ارتفاع أثمانها ارتفاعاً فاحشاً، فصار تجار الغرب يشترون قنطار الفلفل بسعر يتراوح بين (١٢٠) و(١٣٠) ديناراً، بعد أن كانوا يشترونه من قبل بسعر (٥٠) ديناراً في القاهرة و(٨٠) ديناراً في الإسكندرية[٣].

أصبح التجار الأوروبيون في ضيق وضجوا من مغالاة المماليك في احتكارهم للتجارة الشرقية وفرضهم الضرائب الباهظة عليها، خاصة في عصر الأشرف برسباي، الذي أصدر مرسوماً لهذا الغرض في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م منع فيه تجار الإسكندرية من بيع توابل خاصة الفلفل[٤] للتجار الأوروبيين، وألزمهم بشراء فلفل السلطان الوارد من جدة بمائة وعشرين ديناراً للحمل، وكانت قيمته مع التجار – أي تجار الإسكندرية – ثمانين ديناراً، لذلك اضطر التجار الأوربيون أن يشتروا

---

١. سعيد عاشور: العصر المماليكي ص٢٩٤ – ٢٩٥؛ أوروبا العصور الوسطى، ج٢، ص٩٦؛ نعيم زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها، صفحات ١٩٤، ١٩٥؛

Heyd: op.cit, T.١١, P.٢٥ .

٢. طرخان، إبراهيم: مصر في عصر المماليك الجراكسة، صفحات ٢٨٤– ٢٨٥.

٣. المقريزي: السلوك، ج٤، صفحات ٧٩١– ٧٩٢؛ طرخان، ابراهيم: مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص٢٨٩.

٤. كان الفلفل أكثر التوابل طلباً في أوروبا مع ندرته وارتفاع ثمنه ارتفاعاً باهظاً، ولذلك كانت له قوة شرائية يتعامل بها في أحوال معينة، فكان رؤساء الكنيسة الفرنسية يتقاضون العشر توابل، سواء كانت فلفلاً أو زنجبيلاً، كما أن العبيد كانوا أحياناً يشترون حريتهم بأحمال من الفلفل، كذلك كان اليهود يدفعون ضريبة من الفلفل والزنجبيل للسماح لهم بحيازة مدافن ومدارس، وكان يؤدى كإيجار للأراضي الزراعية في إنجلترا. انظر:

Heyd: op.cit, T.١١, pp ٦٦٢ – ٦٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جزءاً قليلاً من الفلفل وامتنعوا عن شراء بقية الكمية، وعادوا إلى بلادهم بكثير من بضائعهم التي جلبوها معهم، فشمل التجار وغيرهم من ذلك ضرر كبير[١].

كما أصدر السلطان برسباي مرسوماً آخر سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٣م تأكيدا على مرسومه الأول ينص على "أن يكون الفلفل مختصاً بمتجر السلطان، لا يشتريه من تجار الهند الواردين إلى جدة غيره، ولا يبيعه لتجار الفرنج القادمين إلى ثغر الإسكندرية سواه"[٢].

كان نتيجة ذلك أن كثرت احتياجات الجاليات الأجنبية وحكوماتهم لدى السلطان برسباي، ولكنهم لم يظفروا منه بنتيجة مرضية[٣] لذلك قاموا بإجراء مماثل فرفعوا أسعار السلع الأوروبية التي ترد إلى السلطنة، بل وصل الأمر بالبنادقة والذين يعدون من اكبر تجار للمماليك، أنهم فكروا في قطع علاقاتهم التجارية مع مصر، ولكن السلطان حاول ترضيتهم بدون أن يتنازل عن سياسته الاحتكارية[٤].

من العوامل الهامة التي أضرت بالتجار والناس خلال عصر الأشرف برسباي، بالإضافة إلى سياسة الاحتكار التي اتبعها، كان أبطاله التعامل بالنقد البندقي والفلورنسي وصكه للدينار الأشرفي ليكون أساساً للتعامل مع التجار الأوروبيين[٥].

---

١. المقريزي: السلوك، ج٤، صفحات ٧٩١، ٨٢٣، ٨٢٤؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، صفحات ١٤٥ ،١٨٥.

٢. المقريزي: السلوك، ج٤، ص٨٦٩ ؛ انظر أيضاً صبحي لبيب: التجار الكارمية، ص٤٥ – ٤٦.

٣. كان أول احتجاج من جانب القطلانيين عام (٨٣٦هـ/١٤٣٢م) حين وصل كتاب ملك القطلان يتضمن "الإنكار على الدولة ما تعتمده من التجارة في البضائع، وأن رعية الفرنج لا يشترون من السلطان ولا من أهل دولته بضاعة، فرد رسوله رداً غير جميل". انظر المقريزي: السلوك، ج٤، ص٨٨٥؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٢٥٣.

٤. طرخان، ابراهيم: مصر في عصر المماليك الجراكسة ص٢٨٩.

٥. المقريزي: السلوك، ج٤، صفحات٧٩٣، ٨٠٠، ٨٠٥، ٨٥١ – ٨٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد عصر الأشرف برسباي ظلت العملة تسير في سيء إلى أسوأ، وكثر فيها التلاعب في عيار الذهب، وتغيير وزنها وحجمها، مما جعلها لا تحوز ثقة المتعاملين بها من التجار وغيرهم[١]، ولذلك لجأت البندقية ومدن الجمهوريات الإيطالية إلى نظام التعامل التجاري بالمقايضة وذلك أولاً تفادياً لهذه العملات المشكوك في أمرها، وثانياً لضمان عدم قلة ما يحصلون عليه من التوابل والسلع الشرقية، وثالثاً لقلة الذهب في مصر والشام، وقلة العملات الذهبية في المدن الإيطالية[٢].

لهذا وافقت الحكومة المملوكية على هذا النظام، وذلك لقصور العملة الذهبية والفضية عن الوفاء بأثمان السلع، وبدلاً من تكدس السلع لدى التاجر العربي والبندقي على السواء، وعلى الرغم من أن نظام المقايضة كان غُرماً لا غُنم فيه إلا أن الطرفين وجدا فيه خير وسيلة للتعامل التجاري خلال تلك الأزمة المالية التي استفحلت في القرن الخامس عشر الميلادي/التاسع الهجري[٣].

والجدير بالذكر أن البرتغاليون اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح في سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٨٧م وكان هدفهم من هذا الكشف الرغبة في السيطرة على التجارة الشرقية وانتزاعها من قبضة المماليك والبنادقة، كذلك للابتعاد عن المرور بأراضي دولة سلاطين المماليك لضيقهم وإرهاقهم من الضرائب الباهظة التي فرضتها الدولة على "تجارة التوابل"، وللنظام الاحتكاري المتشدد الذي اتبعته، ثم سرعان ما استطاع البرتغاليون الوصول إلى ميناء كاليكوت في الهند سنة ٩٠٤هـ

---

١. سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٣٠٤؛ نعيم زكي: طرق التجارة الدولية، صفحات ٣٥٦ – ٣٥٧؛ ولمزيد من التفاصيل عن العملة والتطورات التي حدثت فيها. انظر القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، صفحات ٤٤١ – ٤٤٤؛ ويوضح إبن إياس أن العملة الذهبية والفضية في عصر الغوري كان الغش واضحاً فيها جداً، ولهذا السبب "صارت معاملة السلطان لا تمشي في غالب البلاد"، ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٥٣، ج٥، ص٨٩.

٢. عن أزمة الذهب وأسبابها، انظر نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها، ص٣٦١؛ صبحي لبيب: سياسة مصر التجارية، صفحات ١٣٤ – ١٣٥، ١٤٤ – ١٤٥، وانظر:

Heyd: Op.Cit., T.١١, p. ٤٦٢.

٣. توفيق إسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، المجلد السادس، ١٩٥٧م، صفحات ٣٨ – ٤٠؛ نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها ، ج٥، صفحات ٣٦٢ – ٣٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

/١٤٩٨م[١]، وبوصول البرتغاليين إلى الهند بدأ عصر جديد في تجارة الشرق، إذ استطاع البرتغاليون أن يوفروا للسوق الأوروبية التوابل وغيرها من سلع الشرق بثمن ربع القيمة التي كانت تباع بها في أراضي سلطنة المماليك[٢].

ترتب على هذه الكشوف أن فقد طريق البحر الأحمر التجاري أهميته ومركزه، وفقدت مصر سيطرتها على التجارة الشرقية عبر أراضيها، واضطربت الأحوال السياسية والتجارية بين مصر والبندقية نتيجة قلة كميات السلع الشرقية الواردة إلى مصر، فاضطر سلاطين المماليك إلى مضاعفة الضرائب على كميات السلع الشرقية القليلة التي تصلهم، فتأثرت تجارة البندقية بذلك بالغ الأثر وبدأ يختل توازنها، ففي كثير من الأحيان كانت سفنها تعود إلى الإسكندرية خالية من البضائع، أو تعود بنصف الحمولة المقرر حملها وهذا مما لا يحقق لها – حتى – تكاليف الرحلة التي تكبدتها[٣]، وترتب على ذلك أن خسرت البندقية الكثير من عملائها الذين توجهوا إلى لشبونة بالبرتغال للحصول على هذه السلع بأثمان أقل[٤].

ترتب على فقدان سلطنة المماليك لأهم مورد مالي بسبب هذه الكشوف أن ازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً، وعجز سلاطين المماليك عن النهوض بمرافق البلاد، وأصاب الدولة الجمود، وتزايدت الاضطرابات الداخلية بسبب فتن المماليك الجلبان والعسكر وتمردهم على السلطان من أجل تأخر رواتبهم وقلة النفقة عليهم[٥]، وأصبح كيان الدولة مهدداً، وقد صور ابن إياس حالة البلاد الاقتصادية في تلك الفترة تصويراً دقيقاً حيث قال في أحداث سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م"وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية الضعف والتعطيل فإن بندر الإسكندرية

---

١. كاليكوت: من أهم وأشهر موانئ الهند على ساحلها الغربي المسمى ساحل المليبار. زارها ابن بطوطة وقال عنها إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار، يجتمع بها تجارالآفاق، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا. انظر ابن بطوطة الرحلة، ص٥٧٢؛ قطب الدين النهروالي: البرق اليماني في الفتح العثماني نشر حمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٧م، صفحات١٨– ١٩.

٢. زين الدين الملباري: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين، لشبونة ١٨٩٧م، ج٢، صفحات٣٦ – ٣٨؛ نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها، ص٧٢.

٣. نعيم زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها، ص١٤٤ ؛ انظر أيضاً: أحمد دراج، المماليك الفرنج، القاهرة، ١٩٦١م، صفحات١٣٢،١٣٣.

٤. نعيم، زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها،صفحات٤٠٦ – ٤٠٧.

٥.ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، صفحات ١٦، ١٧، ٢٦، ٣٠، ٤٠٠، ٤٣٠ ، ٤٣١، ٤٧٤ ، ٤٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خراب ولم تدخل إليه القطائع (السفن) في السنة الخالية، وبندر جدة خراب بسبب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند، فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدة نحواً من ست سنين، وكذلك جهة دمياط"[١].

من خلال ذلك يتضح لنا أن تدهور الأحوال الاقتصادية في سلطنة المماليك في أواخر عصرها كانت نتيجة لكل العوامل التي ذكرناها مجتمعة، فقد تضافرت جميعها لتهز قواعد الدولة هزاً عنيفاً حتى فقدت أسباب رخائها وثروتها[٢]، وكان هذا التحول في طرق التجارة العالمية من مصر وعالم البحر المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح من أبرز عوامل هذا التدهور الاقتصادي:

وكنتيجة حتمية لهذه الأوضاع الاقتصادية وامتناع الكثيرين من التجار الأوروبيين عن دخول الموانئ المصرية تأثرت تجارة الرقيق تأثراً ملحوظاً فقلَّ الوارد من الرقيق إلى سلطنة المماليك في أواخر سنيها، وكما سبق أن ذكرنا كان الرقيق بمثابة شريان الحياة الذي يمد السلطنة بالدماء الجديدة، فقد كانت الدولة تعتمد عليه في تكوين جيوشها[٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تجارة الرقيق كانت قد بدأت تتأثر بالأوضاع الاقتصادية في مصر منذ عهد الأشرف برسباي، فقد قامت جنوة[٤] بفرض ضرائب كبيرة على تجارة الرقيق ونقله، وقامت باحتكار هذه التجارة وتشددت في سياستها هذه خاصة في عام ٨٣٤هـ/١٤٣١م، ويبدو أن هذا التصرف من جانب جنوة كان بمثابة احتجاج عملي، ورد فعل سريع على موقف السلطان برسباي من تجارها في مصر، فقد قام السلطان بفرض ضرائب باهظة على تجار جنوة المقيمين في مصر، وطالبهم بغرامات ضخمة وضرائب تقدر بمبلغ (١٦٠٠٠)دوك، لهذا أرادت حكومة جنوة عقابه

---

١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٩. وديوان المفرد: هو الديوان الذي يتولى نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوة، وإيراده من البلاد المفردة له. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٥٧. أما ديوان الخاص: فهو الديوان السلطاني الخاص بالنظر في أموال السلطان والتحدث في جهاته ومضافاته. القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، ص٤٥٦.

٢. سعيد عاشور: التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧٣م، ص٨٨.

٣. Ehrenkreutz: Strategic implications of the slave trade between Genoa and Mamluk Egypt, pp. ١-٢.

٤. كانت جنوة أهم ممول للجيش المماليكي بالرقيق الجراكسة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وعلى ذلك يقال إن جنوة كانت تحمل مفتاح الحياة لسلطنة المماليك.

Idem, pp ١٢ – ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورد الصفعة إليه في تجارة الرقيق الهامة لسلطنته[١]، كما أن حكومة جنوة أصدرت أوامرها المشددة بمنع نقل الرقيق إلى مصر، إلا إذا كان رقيقاً مسلماً، واشترطت أن يتم النقل على سفنها الخاصة، وبوجود تجار مسلمين مع الشحنة، كما أصدرت تحذيرات إلى أهالي جنوة بعدم تقديم أي تسهيلات لتجارة الرقيق إلا في حدود ما هو مسموح به رسمياً من قبل الحكومة[٢].

لما بدأت تجارة جنوة تنهار بعد ضمها لفلورنسا، وانتقلت تجارة الرقيق إلى البندقية، وكانت هذه التجارة من عوامل ثراء البندقية خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عندما ازداد طلب سلاطين المماليك للرقيق لإمداد فرقهم وجيوشهم به[٣].

بعد التوسع العثماني الذي حدث في منتصف القرن الثامن الهجري إلى منتصف القرن التاسع على حساب الدولة البيزنطية من ناحية وعى حساب القوى الإسلامية في آسيا الصغرى من ناحية أخرى، نتج عن ذلك سيطرة العثمانيين على الموانئ التجارية على البحر الأسود حيث مراكز تجمع الرقيق، وكذلك سيطرتهم على طريق مرور الرقيق إلى الشام وذلك بعد استيلائهم على إمارتي قرمان ودلغادر التابعتين لحماية سلطنة المماليك، ولهذا قل ورود الرقيق إلى مصر[٤]؛ فقد تحكم العثمانيون في تجارة منطقة البحر الأسود والطرق المؤدية إليها وعملوا على منع توريد الرقيق للمماليك حتى لا يقوى جانبهم، ومن أجل ذلك اشترطوا على البندقية حين نجحت في عقد اتفاقية معهم سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م ان تلتزم بتحديد عدد ما يصدر من الرقيق لمصر حتى لا تزداد قوة المماليك، وكذلك إطلاق سراح الرقيق المسلمين منهم، كما نال العثمانيون امتيازات مماثلة لرعاياهم وتجارهم في البندقية[٥].

ولما علم المماليك بما فعله العثمانيون، وأن هدف العثمانيين هو رغبتهم في إضعاف جانبهم من ناحية، ومن ناحية أخرى للاستئثار بهذا الرقيق لسد حاجتهم من الإنكشارية لتقوية جيوشهم لمواجهة أعدائهم المسيحيين في أوروبا، والصفويين في إيران، والمماليك في مصر والشام، كان ذلك من أهم أسباب الجفوة بين المماليك وبين العثمانيين[٦].

---

١. Heyd: op.cit, T.١١, pp. ٥٥٧ – ٥٥٨.

٢. نعيم، زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها، ص٢٢١.

٣. نعيم، زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها ، ص٢٢١.

٤. المرجع نفسه،ص٢٢٢.

٥. نعيم، زكي: طرق التجارة العالمية ومحطاتها،ص٤٣٧، هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى صفحات٣١٦-٣١٩.

٦. مصطفى زيادة: نهاية سلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥١م، ص٢١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أورد ابن إياس في أحداث سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م رسالة بعث بها السلطان سليم العثماني إلى السلطان الغوري: "وأما التجار الذين يجلبون المماليك الجراكسة فإني ما منعتهم إنما هم تضرروا من معاملتكم في الذهب والفضة فامتنعوا من جلب المماليك إليكم"[١].

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن تجار الرقيق قد أحجموا عن تزويد سلطنة المماليك بالرقيق في تلك السنوات الأخيرة من حياة دولة المماليك، وأن السبب الظاهر لعدم رغبة تجار الرقيق في التعامل مع السلطنة إنما راجع إلى تضررهم وتخوفهم من العملة الذهبية والفضية الرديئة التي امتلأ بها عصر السلطان الغوري أما السبب الخفي وراء هذا الامتناع من قبل تجار الرقيق فيبدو أنه تحريض العثمانيين لهم، والذي ذكرناه آنفاً.

ونستنتج من بين سطور تلك الرسالة أن السلطان الغوري قد أدرك تلك الحقيقة وأنه أرسل رسالة يعاتب بها السلطان العثماني بهذا الشأن، فكانت العبارة التي وردت في رسالة السلطان العثماني رداً على رسالة الغوري، ومحاولة من السلطان العثماني لخداع السلطان وإقناعهُ بأنه ليس له يد وراء هذا الموقف من التجار[٢].

وهكذا تضافرت تلك الأسباب جميعها للقضاء على أهم مورد لثروة المماليك المالية وهو التجارة – وكذلك للقضاء على القوة العسكرية للدولة ممثلة في الرقيق، مما جعل سلطنة المماليك بعد ذلك لقمة سائغة في يد العثمانيين، فسرعان ما انهزمت جيوش المماليك بقيادة السلطان الغوري أمام السلطان سليم الأول في مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٣].

---

١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٤٥؛ انظر أيضاً:
Heyd: op.cit, T.١١, p. ٥٦٢.

٢. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص٤٥؛ انظر أيضاً:
Heyd: op.cit, T.١١, p. ٥٦٢.

٣. دابق: قرية قرب حلب من أعمال عزاز، عندها مرج معشب نزه وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٦.

أما عن تفاصيل معركة مرج دابق بين السلطان الغوري والسلطان سليم العثماني. انظر ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، صفحات٦٨– ٨٧؛ ابن زنبل الرمال؛ كتاب تاريخ السلطان سليم خان، مصر ١٢٨٧هـ، صفحات ١٢– ١٩؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق٢، صفحات ٢٣– ٢٤؛ قطب الدين النهروالي: البرق اليماني، ص٢٤؛ مصطفى زيادة: نهاية سلاطين المماليك، صفحات ٢١٨– ٢٢٠؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص١٨٣ – ١٨٥؛ طرخان، ابراهيم: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، صفحات١٨٠– ١٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسقطت بلاد الشام في يد السلطان سليم الأول، ثم أعقبها مباشرة دخوله مصر بعد هزيمته للسلطان المملوكي طومان باي في معركة الريدانية في أواخر سنة٩٢٢هـ/١٥١٧م[١]، وأصبحت بلاد الشام ومصر والحجاز تحت الحكم العثماني، وانتقلت سلطنة المماليك من مسرح التاريخ إلى كتب وأخيلة المؤرخين[٢].

نتائج سيطرة البرتغاليين على الطرق التجارية بالنسبة للأحوال الاقتصادية لسلطنة المماليك:

كانت سياسة البرتغال في جنوب شرق آسيا قد قامت على أساس الاحتكار الكامل لتجارة التوابل[٣]، فإن هذه السياسة كان من نتائجها الإضرار بمصالح القوى التجارية التي كانت تضطلع بهذه التجارة قبل وصول البرتغاليين إلى الهند، وعلى رأسها سلطنة المماليك ومدينة البندقية، وما يعنينا هنا هو نتائج هذه السياسة من تهديد لأمن طريق البحر الأحمر التجاري، وما صاحبه من عواقب وخيمة أدت إلى إصابة الاقتصاد المملوكي المتدهور بالاختناق البطيء[٤].

ومما زاد الأمر سوءاً أن سلطنة المماليك في أواخر أيامها كانت تعتمد اعتماداً رئيسياً على عائدات تجارة العبور في تدبير احتياجاتها المالية في ظل التدهور الشامل لأوضاعها الاقتصادية[٥] وكان سعي البرتغاليين لحرمانها من هذه العائدات المالية يعني إصابة الاقتصاد المملوكي بالشلل التام وعجز الدولة عن تدبير النفقات اللازمة لمواجهة الأخطار الخارجية التي أحدقت بها من كل جانب، فهنالك العديد من الدلائل التي تشير إلى قلة كميات التوابل الواردة إلى سلطنة المماليك نتيجة الوجود البرتغالي في الهند.

يتضح ذلك إذا ما قارنا كميات التوابل التي كانت معروضة في الإسكندرية أواخر القرن الخامس عشر، والتي كانت من الكثرة بحيث إن البنادقة لم يكن لديهم من الأموال الكافية لشرائها وكميات

---

١. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، صفحات ١١٤– ١١٧؛ ابن زنبل: تاريخ السلطان سليم خان، صفحات ٣٠ – ٤١؛ ابن طولون: مفاكهة الخلان، صفحات ٤٣– ٤٧؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي، صفحات١٨٧ – ١٩٠؛ طرخان، ابراهيم: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، صفحات١٨٧–١٩٠.

٢. مصطفى زيادة: نهاية سلاطين المماليك، ص١٩٨.

٣. Lane, Venice, P.٢٩٢.

٤. Issawi, "The decline of middle eastern trade, ١١٠٠ – ١٨٥٠", In Islam and trade of Asia, ed., by D.S. Richards, Oxford, ١٩٧٠, p.٢٦٤; Bautier, "Les Grands probemes politiques el economques de la mediterrance medieval", In Revue Historique, (١٩٦٥), p.٢٧.

٥. انظر: سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك، ص٦٥ وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوابل المعروضة في أسواق الإسكندرية وبيروت في سنة ١٥٠٢م، والتي كانت من القلة بحيث إن البنادقة لم يجدوا ما يفي بحمولة سفنهم[١].

كذلك يستفاد من رواية الرحالة الايطالي فارثيما Varthema[٢] أن النشاط البرتغالي المُعادي للتجارة الإسلامية في الهند قد تسبب في نقص كميات البضائع والسلع الشرقية الواردة إلى مكة[٣] وبما أن مكة كانت تتلقى معظم هذه السلع والبضائع عبر ميناء جدة، فإن ذلك يدل على تأثر الحركة التجارية بهذا الميناء يضاف إلى ذلك أن المؤرخ المعاصر ابن إياس قد ذكر في حوادث سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م أن تناقص السلع الهندية في أسواق السلطنة كالشاشات – رباط الرأس الهندي – والأرز، إنما يعزى في حقيقة الأمر إلى الأضرار التي ألحقها البرتغاليون بحركة التجارة على طريق البحر الأحمر[٤].

كان من نتائج سيطرة البرتغاليين على تجارة الشرق المربحة أن أنزلوا ضررا بالغاً بتجارة المماليك الخارجية، فقد شهدت الفترة التي أعقبت هزيمة الأسطول المملوكي في موقعة ديو البحرية سنة ٩١٤هـ/١٥٠٩م تزايداً ملحوظا في نقص إمدادات المماليك والتوابل وغيرها من السلع الشرقية إلى سلطنة المماليك[٥]، وتدل الاتفاقية التي أبرمها السفير البندقي تريفزاني مع السلطان الغوري في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م مدى ضجر السلطان المملوكي من نقص الضرائب والمكوس التجارية التي تجبى في الإسكندرية، وهو النقص الذي نشأ في المقام الأول من تراجع واردات التوابل والسلع الشرقية نتيجة السياسة العدائية التي درج عليها البرتغاليون تجاه السفن التجارية المملوكية[٦]، وأدى ذلك إلى تدهور تجارة سلطنة المماليك وخراب أسواقها الكبرى.

---

١. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى،ج٤، ص١٤.

٢. كانت رحلة فارثيما في الشرق ذات طابع تجسسي بتكليف من ملك البرتغال، حيث كان عليه جمع كل المعلومات الميسرة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لهذه البلدان؛ فزار الحجاز واليمن وفارس، وتظاهر فيها بأنه الحاج يونس المصري، بينما تظاهر في الهند بأنه الحاج يونس العجمي، وكانت رحلته هذه مواكبة لبدايات النشاط البرتغالي في الهند، لمزيد من التفاصيل عن ذلك، انظر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ (مترجم)، رحلات فارثيما، صفحات٩ – ١٠.

٣. عبد الرحمن الشيخ (مترجم)، رحلات فارثيما، صفحات٥٩ – ٦٠.

٤. ابن اياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٠٩.

٥. نعيم زكي، طرق التجارة العالمية ومحطاتها، صفحات٩٠ – ٩١.

٦. Reinaud, "Traites de commerce entre la republique de venise et les derniers sultans Mamloucs d'Egypte", In journal Asiatique, T.IV (١٨٢٩), pp. ٣٦ – ٤١, ٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ما أكده ابن إياس في حوادث سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، عندما ذكر أنه "كان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة وديوان الخاص في غاية التعطيل، فإن ميناء الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه القطائع في السنة الحالية، وميناء جده بسب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى ميناء جده نحوا من ست سنين، وكذلك جهة دمياط"[١] وزاد الأمر سوءاً أن حصة التوابل والسلع الشرقية التي كانت تتلقاها سلطنة المماليك في مدن الشام عبر طريق الخليج الفارسي قد توقفت هي الأخرى، بعد أن سد البرتغاليون هذا المنفذ باستيلائهم على مضيق هرمز سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م[٢].

١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٩.

٢. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى في العصور الوسطى،، ج٤، ص٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــة

حاولت في هذه الدراسة تسليط الضوء على تجارة الرقيق في عصر دولة سلاطين المماليك الجراكسة، وحقيقة القول ان الرق نظام اجتماعي متأصل بالمجتمعات البشرية القديمة المختلفة، وتقبلته النفس البشرية وعملت به، وبقي الرق فيها ولم تستطع ان تلغيه من مجتمعاتها بل وعاملته المعاملة الوحشية والغير انسانية.

حاول الإسلام أن يقنن ويضيق على مصادر الرق المختلفة، ولم يدعو إلى تحريمه ونبذه مباشرة وذلك لأنه نظام وراثي موجد في المجتمع البشري، وعمل على إيجاد الحلول للتضييق عليه.

اشارت النتائج من خلال هذه الدراسة ان تجارة الرق (المماليك) في فترة دولة سلاطين المماليك اعتمدت على المملوك الأبيض في زجه بالجيش لرفده بالقوة البشرية، وتم جلبه من مختلف مراكز تجمع الرقيق الأبيض حتى البلاد المصرية، وبرع في جلبه مختلف الاجناس من تجار الرقيق سواء المسلمين أو المسيحيين وغيرهم.

اشارت النتائج من خلال هذه الدراسة إلى أنه تم جلب الرقيق الأبيض من الجراكسة، وتربيته التربية الإسلامية في الطباق في بداية عصر دولة سلاطين مماليك الجراكسة، وأُوكل له مختلف الوظائف في الدولة، إلا أنه تغيرت مفاهيم شراء الرقيق والاهتمام بأعداده الاعداد العسكري السليم، وأصبح الاعتماد على المماليك من كبار السن.

اشارت النتائج من خلال هذه الدراسة إلى انه تجمعت عدد من الاسباب التي أدت إلى ذبول تجارة الرقيق، ومنها التنافس على الحكم في دولة سلاطين مماليك الجراكسة، وتحريم البابوية للتجارة مع مماليك الجراكسة، والاثر الواضح للاكتشاف طريق الرجاء الصالح، وكان للوضع السائد الدور الكبير في تشجيع الاجلاب على القيام بالثورات المختلفة مما انهك التجارة، واشغل الحكام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

العمري: ياسين الخطيب العمري بن خير الله (ت٨٠٤هـ/٨١٩م)،

١. "الروضة الفيحاء في تاريخ النساء"، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٨١ أدب ٢٣٦ ورقة، ورقة رقم١٦٠.

ثانيًا: المصادر العربية المطبوعة:

١.الأبشيهي: محمد بن أحمد الأبشيهي، شهاب الدين (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف"، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤١٩هـ /١٩٩٨م)

٢.ابن الأثير: علي بن أبي الكرم، عز الدين أبي الحسن (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، "الكامل في التاريخ"،١١ج، ط١، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، لبنان (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)

٣.ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي(ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م)

"معالم القربة الظريفة في أحكام الحسبة الشريفة"، دار الفنون "كمبردج" (١٣٥٦هـ /١٩٣٧م).

٤.الإدريسي: محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م).

"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية (١٤٠٩هـ /١٩٨٨م).

٥.الأصطخري: أبو سحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

"المسالك والممـالك"، دار صادر بيروت، ليدن، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٦.الأصفهاني: أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، "الأغاني"، ٣ج، دار الكتب المصرية، القاهرة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م).

٧.ابن أعثم: أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/١٩٢٦م)،

"كتاب الفتوح"، ط١، تحقيق: محمد عبد المعين خان، طبعة أولى، حيدر آباد الهند ١٩٧٥م.

٨.الألوسي: محمود شكري الألوسي البغدادي.

"بلوغ الأرب"، شرح: محمد بهجت، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٩.الإمام مالك: بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني(ت١٧٩هـ/٧٩٥م).

"المدونة"، دار الكتب العلمية، ط١، (١٥١٥هـ/ ١٩٩٤م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠.الأنطاكي: الشيخ داود الأنطاكي (ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م).
"تزيين الأسواق بتفضيل أشواق العشاق"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة (١٣٠٨هـ /١٨٩٠م).
١١.ابن ايبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري (ت٧٣٧هـ /١٣٣٦م)
"كنز الغرر وجامع الدرر(الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية)، ج٥،تحقيق: دورويتا كرافولسكي، بيروت، لبنان،(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
١٢.أبو مخرمة: أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بامخرمة (ت٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م).
"تاريخ ثغر عدن "، ليدن،(١٣٥٠هـ/١٩٣١م).
١٣.ابن بسام: علي بن بسام الشنتريني أبي الحسن (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م).
"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، لبنان (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
١٤.ابن بطلان: الشيخ أبو الحسن المختار البغدادي، المعروف بابن عبدون وابن بطلان المتطبب (ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م).
"شرى الرِّقيق وتقليد العبيد"، تحقيق: عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات المجموعة الرابعة ،القاهرة،(١٣٧١هـ/١٩٥١م).
١٥.ابن بطوطة:محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م).
"رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ٢ج، دار الشرق العربي، (ب ت).
١٦.البغوي:أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المزربان بن سابور بن شاهنشاه البغوي، (ت٣١٧هـ/٩٢٣م).
"معجم الصحابة"، تحقيق محمد الأمين الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
١٧.أبو بكر البغدادي: الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
"تاريخ بغداد أو مدينة السلام "، ١٦ج، تحقيق: السيد محمد السعيد، بيروت.
١٨.البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر المشهور بالبلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
"فتوح البلدان"، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
١٩.البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).
"المسالك والممالك"،٢ج، دار الغرب الإسلامي (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٢٠.البلخي: زيد بن أحمد بن سهل البلخي(ت٣٣٢هـ/٩٤٣م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"البدء والتاريخ"، بروكلمان، باريس، (ب ت).
٢١.البيروني: محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).
"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة"، عالم الكتب، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).
٢٢.البيهقي: علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م).
"تاريخ بيهـق"، دار اقرأ، دمشق،(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٢٣.ابن تغري: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، ١٦ج، القاهرة، (١٣٥١هـ/١٩٣٢م).
٢٤.التطيلي: بنيامين بن الرابي يونة التطيلي الإسباني اليهودي(ت٥٦٩هـ/١١٧٣م).
"رحلة بنيامين التطيلي"، ط١، المجمع الثقافي ، أبو ظبي، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
.التنوخي: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م).
٢٦. "نشوار المحاضر وأخبار المذاكرة"،٨ج، تحقيق مرجيليوت رويل.
٢٧"الفرج بعد الشدة"، تحقيق: عبود الشاجي، دار صادر، بيروت، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
.الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)
٢٨"الشكوى والعتاب"، تحقيق: د. إلهام عبد الوهاب المفتي، كلية التربية الاساسية، جامعة الكويت، الطبعة الأولى(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
.الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ البصري (ت٢٥٥هـ /٨٦٨م).
٢٩. "التبصر بالتجارة"، ط١، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
٣٠"البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ط١، دار الجليل، بيروت،(١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
٣١.."البخلاء"، ط٢، دار الهلال، بيروت(١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٣٢."المحاسن والأضداد"، دار الهلال، بيروت،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
.ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي(ت٦١٤هـ/١٢١٧م).
٣٣. "رحلة بن جبير"، دار بيروت، الطبعة الأولى، (ب ت).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.الجرجاني: حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي الجرجاني (ت٤٢٧هـ /١٠٣٥م).
٣٤. "تاريخ جرجان"، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، بيروت (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
.ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
٣٥."مثير العزم إلى أشرف الأماكن"، ط١، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٣٦."تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيوب التاريخ والسير، ط١،دار الأرقم، بيروت، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٣٧."صفة الصفوة"، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، لبنان،١٩٧٩م.
٣٨."المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، طبعة حيدر آباد، الدكن، الهند.
.الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م).
٣٩. "نهاية المطلب في دراية المذهب"، حققه: عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، ط١، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
.ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (٢٤٥هـ/٨٥٩م).
٤٠. "المحبر"، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
.ابن حجر: الإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).
٤١. "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" بيروت (ب ت).
ابن حزم: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).
٤٢."المحلى بالآثار"، القاهرة، ج٧، ١٣٤٩هـ، ج٨، ١٣٥٠هـ،
الحموي: ياقوت عبد الله الرومي الحموي شهاب الدين (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م).
٤٣."معجم البلدان"، ٧ج، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
٤٤."معجم الأدباء"، مطبعة دار المأمون، بيروت، لبنان، (د.ت).
الحميري: محمد بن عبد المنعم الحميري، أبو عبد الله(ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).
٤٥. "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت، لبنان، (١٤٠١هـ/١٩٨٠م).
الحنبلي: أبو الفلاح، عبد الحي أحمد بن محمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٦. "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ١٠ج، منشورات دار الآفاق، بيروت، (د.ط) (ب.ت).
ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبي القاسم (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٩م).
٤٧."صورة الأرض"، ٢ج، دار صادر، بيروت (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م).
٤٨. "المسالك والممالك"، دار صادر أفست ليدن، بيروت،١٨٨٩م.
خسرو: ناصر خسرو أبو معين المروزي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)،
٤٩. "سفر نامه"، تحقيق: د يحيى الخشاب، الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشبيلي (ت٨٠٨هـ /١٤٠٥م).
٥٠."المقدمــة"، تحقيق: كاترمير عن طبعة باريس، مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٥١."كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر"، ٨ج، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
٥٢."رحلة بن خلدون"، تعليق: محمد بن تاويت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبي العباس شمس الدين (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٥٣."وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"،٨ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
خليفة: خليفة بن خياط الشيباني العصفري أبو عمرو(ت ٢٤٠هـ/٨١٩م).
٥٤. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق، أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩٧هـ/١٩٧٦م).
٥٥."الطبقات"، تحقيق: أكرم ضياء، دار طيبة للنشر، السعودية،١٩٦٧م.
الدبوسي: أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيس الدبوسي (ت٤٣٠هـ/ ١٠١٢م).
٥٦. تقويم الأدلة في أصول الفقه، تحقيق: خليل محي الدين الميس، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي بالمعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ/٨٩٤م).
٥٧."ذم الملاهــي"، ج١، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدينوري: أحمـــد بن داود الدينوري، أبو حنيفة (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).
٥٧. الأخبار الطوال، تحقيق: محمد عبد المنعم، والشيال، القاهرة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).
الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)،
٥٨. سير أعلام النبلاء، ٢٥ج، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادي عشر، بيروت (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
الرازي: زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م).
٥٩.مختار الصحاح، ط٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي (ت٥٢٠هـ/ ١١٩٨م).
٦٠"بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، تحقيق: محمد حجي، القاهرة، (١٣٢٩هـ/١٩١١م).
٦١."البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة"، ط٢، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، (١٤٠٨هـ /١٩٨٨م).
٦٢. "المقدمات الممهدات"،٣ج، دار الغرب الإسلامي، ط١(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)
الزبيدي: محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسيني الزبيدي(ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، ٦٣."تاج العروس في جواهر القاموس"، مجموعة من المؤلفين، دار الهداية.
أبو زرعة: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي (ت٢٨١هـ/٨٩٤م).
٦٤."تاريخ أبي زرعة الدمشقي"، تحقيق: القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، (ب ت).
السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر المصري، الشافعي،
السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م).
٦٥."الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الخدم والموالي"، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، عمان، الأردن (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٦٦."التبر المسبوك في ذيل السلوك"، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، مصر.
السيرافي: أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي (ت٣٣٠هـ/٩٤١م).
٦٧."رحلة السيرافي"، المجمع الثقافي، أبو ظبي (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٨."تاريخ الخلفاء"، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).
الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب القرشي المكي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م).
٦٩. "الأم"، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
الشيزري: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م).
٧٠."نهاية الرتبة في طلب الحسبة"، تحقيق: د. السيد الباز العريني، بيروت (١٤٠١هـ/١٩٨١م).
الصابي: أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي (ت٤٤٨هـ/١٠٥٩م).
٧١"رسوم دار الخلافة" ، تحقيق: ميخائيل عواد، بغداد،(١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).
٧٢."تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء"، عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).
الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م).
٧٣. "أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم" مطبعة الصاوي، القاهرة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).
الطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد محب الدين الطبري(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م).
٧٤. "خلاصة سيرة سيد البشر"، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة الباز، مكة، السعودية (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).
٧٥."تاريخ الرسل والملوك"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤م).
٧٦."تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة بن تيمية، القاهرة.
طرفة: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م) ٧٧. "ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، ط٣،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، أبو عمر القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
٧٨.الكافي في فقه أهل المدينة"، ط٢، تحقيق: محمد أحيد، مكتبة الرياض، الرياض، السعودية،(١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٩."الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ٤ج، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د.ت).

ابن العبري: غريغوريوس ابن أهرون بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بأبن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

٨٠. "تاريخ مختصر الدول"، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، الطبعة الثالثة بيروت، لبنان،(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

ابن عبد الحق: عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي(ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، ٨١."مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع"، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه حيدر الأندلسي (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م).

٨٢."العقد الفريد"، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٨٣.."طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار"، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة (١٤٠٠هـ/١٩٨٥م).

ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن ابي جراده(ت٦٦٠هـ/١٢٦١م).

٨٤. "بغية الطلب في تاريخ حلب"،١١ج، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٨م.

ابن عساكر: محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي (ت١٣٧٢هـ/١٩٥٢م).

٨٥. "خطط الشام"، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، سوريا، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن عسكر: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م). ٨٦. "إرشاد السالك إلى اشرف المسالك في فقه الإمام مالك"، الطبعة الثالثة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (١٤٠٨هـ /١٩٨٧م).

العمراني: محمد بن علي بن محمد المعروف بالعمراني (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)،

٨٧. "الأنباء في تاريخ الخلفاء"، ط١، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله العدوي العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

٨٨."مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ط١، ٢٧ج، المجمع الثقافي، أبو ظبي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الغزالي:(محمـد الغزالي) لم يستدل على تاريخ الوفاة.
٨٩."هداية المريد في تقليب العبيد"، تحقيق: عبد السلام هارون مجموعة نوادر المخطوطات المجموعة الرابعة، القاهرة (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).
أبو فرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني القرشي أبو فرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م).
٩٠. "الإماء الشواعر"، خليل عطية، دار النضال، بيروت(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
ابن فضلان: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م). ٩١. "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة"، دار السويدأبو ظبي، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)
٩٢."البلدان"، ط١،عالم الكتب، بيروت (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب، مجد الدين الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ/١٤١٤م).
٩٣."القاموس المحيط"، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)
القارئ: جعفر بن الحسن السراج القارئ محمد (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م).
٩٤."مصارع العشاق"، تحقيق: كرم البستاني، بيروت (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).
ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبـــة الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م).
٩٥...،"المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة،(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٩٦."عيـون الأخبار" المجلد الثالث، القاهرة،(١٣٤٨هـ/١٩٣٠م).
٩٧....،"الشعر والشعـراء"، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان(١٣٤٩هـ/١٩٣٠م).
القرماني: أحمد بن يوسف الدمشقي(ت١٠١٩هـ/١٦١٠م).
٩٨."أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ"، ٣ج، عالم الكتب، بيروت، لبنان،١٩٩٢م.
ابن قدامه: أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م). ٩٩. "المغنى"، تحقيق طهزيني، القاهرة،(١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
القرطبي: أبو عمر يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ /١٠٧٠م).
١٠٠."الكافي في فقه أهل المدينة"، ط٢،تحقيق: محمد أحمد، مكتبة الرياض، الرياض، السعودية (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
١٠١.."بهجة المجالس وانس المجالس شحذ الأذهان والهاجس"، تحقيق محمد مرسى الخوالي بيروت،(١٤٠١هـ/١٩٨١م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدامة: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد أبو الفرج (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م).
١٠٢."الخراج وصناعة الكتابة"، دار الرشيد للنشر، بغداد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
١٠٣. "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت،(١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
القلقشندي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤٧٦م)، ١٠٤."صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، دار الكتب العلمية، دار الكتب المصرية (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م).
ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م).
١٠٥"زاد المعاد في هدي خير العباد"، ط٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م).
١٠٦."روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
١٠٧."اخبار النساء"، القاهرة،(١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
ابن كثيـــر: اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ/١٣٤٣م)
١٠٨."تفسير ابن كثير"، أختصرهُ أحمد محمد شاكر، محمد نسيب الرفاعي، تحقيق: د. حكمت بن بشر بن ياسين وسامي بن محمد السلامة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠٩."البداية والنهاية"، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي،ط١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
الماوردي: أبو الحسن علي بت محمد بن الماوردي (ت٤٥٠هـ /١٠٥٨م).
١١٠. "الأحكام السلطانية والولايات الإسلامية"، ط١، تحقيق عبد المنعم عبد المقصود ، القاهرة (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
مجهول: مجهول، توفي ما بعد (٣٧٢هـ/٩٨٢م).
١١١. "حدود العالم من المشرق إلى المغرب"، تحقيق: السيد يوسف الهادي
ومترجم عن الفارسية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
المزني: أبو إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي(ت٢٦٤هـ/٨٧٧م)،
١١٢."مختصر المزني في فروع الشافعية"، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسعودي: علي بن الحسيني المسعودي، أبو الحسن(ت٣٤٦هـ/٩٥٦م).
١١٣. "التنبيه و الإشراف"، تصحيح عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.
١١٤."مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).
١١٥."أخبار الزمان"، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م).
١١٦. "تجارب الأمم"، تحقيق: أبو القاسم إمامي، الطبعة الثانية، سروش، طهران، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
المطرزي: ناصر بن عبد السيد برهان الدين الخوارزمي،(ت٦١٠هـ/١٢١٤م). ١١٧. "المغرب في ترتيب المعرب"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د ت).
المقدسي: شمس الدين محمد بن أحمد، أبو عبد الله المقدسي (ت ٣٨٨هـ).
١١٨.أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٤١١هـ /١٩٩١م).
المقريزي: أحمد على بن عبد القادر المقريزي، تقى الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).
١١٩. "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"،٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٨٢١هـ/١٤١٨م).
١٢٠."السلوك لمعرفة دول الملوك"، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط٢، القاهرة، مصر، (١٣٧٦هـ /١٩٥٦م).
المنجم: إسحاق بن الحسيـن المنجم (ت٤هـ/٨م).
١٢١. "آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان"، ط١، عالم الكتب، بيروت،(١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري(ت٧١١هـ/١٣١١م) ١٢٢. "لسان العرب"، ط٣، دار صادر، بيروت،(١٤١٤هـ/١٩٩٣م)
النويـري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).
١٢٣. "نهاية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق: أحمد الزيني، القاهرة، (١٤٢٣ه ـ/٢٠٠٢م).
ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظهر بن الوردي البكري القرشي المعري (ت٨٥٢هـ/١٤٤٧م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٤. "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

١٢٥. "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"، لبنان، (١٣١٠هـ/١٩٨٤م).

أبو يعلى: أبي يعلي محمد بن الحسن الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م). ١٢٦. "الأحكام السلطانية"، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، (١٣٨٦هـ /١٩٦٦م).

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م).

١٢٧."البلـدان"، ط١، تحقيق: دي غويه، دار الكتب العلمية، ليدن، بيروت، لبنان (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٢٨."تاريخ اليعقوبي"، بغداد(١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).

ثالثاً: المراجـــع العربيـــة:

الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد(ت١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) :

١."أسواق العرب في الجاهلية والإسلام"، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، سوريا، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

أمين، أحمد:

٢."ضحى الإسلام"، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)

بدران، جمال:

٣."الجواري والحظايا"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر،(١٤١٣هـ/١٩٩٣م)

برو، توفيق:

٤."تاريخ العرب القديم"، دار الفكر، الطبعة الثانية،(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

بروكلمـــان، كارل:

٥."تاريخ الشعوب الإسلامية"، ترجمة: نبيه أمين فارس- منير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

بسيوني، صلاح الدين:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦."الفكر السياسي عند الماوردي"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

بليغ، أحمد:

٧.مؤسسة الرق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (٢٠٠٣م).

الترمانيني، عبد السلام:

٨."الرِّق ماضيه وحاضره"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، (١٤٠٠هـ /١٩٧٩م)

التونسي، محمد بن عمر:

٩."تشحيذ الاذهان في ذكر بلاد العرب والسودان" تحقيق: د. خليل محمود- د، مصطفى محمد سعد، القاهرة، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)

جاك، ريسلر:

١٠."الحضارة العربية"، ترجمة: د. خليل أحمد خليل، ط١، بيروت(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

الجمل، إبراهيم محمد حسن:

١١."زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، دار التوفيقة النموذجية، الطبعة الثانية، القاهرة، (ب ت)

حتي، فليب:

١٢."تاريخ العـرب"، ترجمة: د. ادوارد جرجى زيدان- د. جبرائيل جبور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،(١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).

حسن، إبراهيم حسن :

١٣."تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي"، القاهرة، طبعة٢، (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)

حسن، إبراهيم حسن، وحسن، علي إبراهيم:

١٤."النظم الإسلامية"، القاهرة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

الحسن، قصي:

١٥."من معالم الحضارة العربية الإسلامية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

حنفي، حسن:
١٦.موسوعة الحضارة العربية٢، دار الفارس للنشر والطباعة، ط١، عمان، الأردن، (١٤١٦هـ /١٩٩٥م)
الخربوطلي، علي حسني:
١٧"الحضارة العربية الإسلامية"، ط١، الخانجي، القاهرة،(١٤١٥هـ /١٩٩٤م)
الدوري، عبد العزيز:
١٨."تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري"، دار الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت،(١٤١٦هـ/١٩٩٥م)
دوزي، رينهارت:
١٩."المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب"، ترجمة: أكرم فاضل، الرباط، المملكة المغربية،(د ت)
ديورانت، ول وايريل :
٢٠."قصـــة الحضارة"، ج٢، المجلد الثاني، ترجمة محمد دران، دار الجليل، بيروت، لبنان.
ربيع، حسنين:
٢١."تاريخ العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية"، المعهد العالي للدراسات الإسلامية"، القاهرة.
رستم، أسد:
٢٢."الروم سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب"، ط١، دار المكشوف بيروت، لبنان، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)
زيادة، مصطفى:
٢٣.نهاية دولة المماليك، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٨٤م.
زيادة، نقولا:
٢٤."الجغرافيا والرحلات عند العرب"، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٨هـ /١٩٨٧م).
زيدان، حامد:
٢٥. الأزمات الاقتصادية والأوبئة في عصر الممالك، المكتبة العالمية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٩٢.
أبو زيد، سهام مصطفى:
٢٦."الحسبة في العصور الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي"، القاهرة (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السايح، أحمد عبد الرحيم:
٢٧. "فلسفة الحضارة الإسلامية"، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
سرور، محمد جمال الدين:
٢٨."تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، القاهرة (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).
سعد، مصطفى محمد:
٣٠. "الإسلام والنوبة في العصور الوسطى"، القاهرة (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)
سعدي أبو حبيب، سعدي:
٣١."القاموس الفقهي"، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، سوريا (١٤٠٨هـ /١٩٨٨م)
شفيق، أحمد:
٣٢. " الرِّق في الإسلام"، ترجمة أحمد زكي باشا، القاهرة.
الشيخ، حسين:
٣٣."اليونان"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)
صقر، نادية حسني:
٣٤.السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)
الصلابي، علي محمد بن محمد:
٣٥."الدولة الأموية عوامل النهضة وتداعيات الانهيار"، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،(١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
٣٦ السلطان سيف الدين قطز، دار الكتاب الثقافي، السعودية، السعودية، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
الأصيبعي، محمد إبراهيم:
٣٧. "الشرطة في النظم الإسلامية"، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.
ضيف، شوقي:
٣٨."تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول"، ط١، القاهرة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)
٣٩،"تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات"، ط٢، دار المعارف، القاهرة.
طرخان، إبراهيم:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠. مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠.

عاشور، سعيد عبد الفتاح:

٤١"العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام"، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٣٩٦هـ /١٩٧٦م).

٤٢."المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك"، النهضة العربية، القاهرة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

عباد، محمد كامل:

٤٣. "تاريخ اليونان، دار الفكر، دمشق، سوريا، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

العبادي، أحمد مختار عبد الفتاح:

٤٤. "الصقالبة في اسبانيا"، مدريد، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م).

عباس، إحسان:

٤٥."العرب في صقلية"، دار الثقافة، الطبعة الأولى بيروت، لبنان (١٣٩٥هـ /١٩٧٥م) "شذرات من كتب مفقودة في التاريخ"، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

عبد الدايم، عبد العزيز محمود:

٤٦. "الرِّق في مصر العصور الوسطى"، القاهرة،(١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

عبد الله، محمد عبد الله:

٤٧."ولاية الحسبة في الإسلام"، طبعة الأولى، الكويت،(١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

عبد المنعم، ماجد:

٤٨."العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين"، القاهرة، (١٣٩٣هـ /١٩٧٣م).

عثمان، شوقي عبد القوى:

٤٩."تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١- ٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م)، الكويت (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م).

عكاشة، علي:

٥٠."اليونان والرومان"، الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن،(١٤١٠هـ/١٩٩١م).

عمارة، محمد:

٥١. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، لبنان، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

عيسى، محمد الأنور حامد:
٥٢."بحوث في اليهودية"، المكتبة المركزية، ط١، القاهرة (١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م).
نعيم، زكي:
٥٣."طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى"، القاهرة، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
القوصي، عطية:
٥٤. "تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية"، القاهرة (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
لوبون، جوستاف:
٥٥. "حضارة العرب"، ترجمة عادل زعيتر، عيسى مكتبة البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م).
محمد فريد بك:
٥٦. تاريخ الدولة العليا العثمانية، ط٢، محمد أفندي مصطفى (١٨٩٦/١٣١٤).
مؤنس، حسين :
٥٧. "أطلس تاريخ المسلمين في البحر المتوسط"، الزهراء للأعلام العربي، الطبعة الأولى، القاهرة،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
متز، آدم:
٥٨. "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية"، ط٢، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م).
٥٩"العباسة أخت الرشيد"، روايات تاريخ الإسلام، تقديم ودراسة: د ناجي نجيب، دار الهلال (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
٦٠."تاريخ التمدن الإسلامي"، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
محمود، حسن أحمد و الشريف، أحمد:
٦١. "العالم الإسلامي في العصر العباسي"، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة (ب ت).
محمود، علي السيد:
٦٢. "الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية"، تاريخ المصريين القاهرة، (١٤٠٨هـ /١٩٨٨م).
المسرى، حسين علي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٣. "تجارة العراق في العصر العباسي"، الكويت (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

مهنا، عبد الأمير و مرتضى، حسين:

٦٤."أخبار المصلوبين وقصص المعذبين في الدولة الأموية والعباسية، دار الفكر، بيروت، (١٤١١هـ/١٩٩٠م).

النبراوي، رأفت:

٦٥. السكة الإسلامية في مصر في عصر سلاطين المماليك، ط١، القاهرة، ١٩٩٣م.

هايد:

٦٦."تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى"، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة وتقديم عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م).

هدارة، محمد مصطفى :

٦٧. "المأمون الخليفة العالم"، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

١- David Ayalom, Outsiders in the lands of Islam, ٢٠٠٠.

٢-Ehrenkreutz: Strategic implications of the slave trade between Genoa and Mameluke Egypt.

٣-Hammouda Ghoraba: Islam and salevery, Islamic Quarterly, London, ٢٣ Oct ١٩٥٥.

٤-Laura Etherdge: Islamic History, New York, ٢٠١٠.

٥-M٠hamed Manazir Ahsan : " Social Life Under The Abbasids" , E. H , London (W O).

٦-Pamir : Haroon EL Rashid Caliph Bagdad", London,١٩٨١.

٧- William Muir, The Mameluke, or slave dynasty of Egypt, London, ١٨٩٦.

خامساً: الشبكة الالكترونية:

١.Lailahassananblog.wordpress.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملاحق

ملحق رقم (١)

ملحق رقم (١) اسماء سلاطين دولة المماليك الجراكسة.

ت	الاســم	اللقب والكنيــة	فترة الحكــم
١	السلطان الملك الظاهر برقوق بن آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي.	أبو سعيد، سيف الدين	م٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م، حكم لمدة ٦ سنوات. الفترة الثانية ٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٠-١٣٨٨م، لمدة ٨ سنوات.
٢	السلطان الملك المنصور حاجي بن الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون.	صلاح الدين	٧٩٠-٧٩٢هـ/١٣٨٨-١٣٩٠م، لمدة١١عام.
٣	السلطان الملك الناصر، فرج ابن الظاهر برقوق.	أبو السعادات، زين الدين	٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م. لمدة ٦ سنوات. الفترة الثانية ٨٠٨هـ/٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م، لمدة ٧ سنوات.
٤	السلطان الملك المنصور، عبد العزيز ابن الظاهر برقوق.	---------	٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
٥	السلطان الملك المؤيد، شيخ المحمودي.	أبو النصر	٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م.
	السلطان الملك المظفر، أحمد ابن المؤيد الشيخ		٨٢٤-٨٢٤هـ/١٤٢١م
٦	السلطان المك الظاهر، سيف الدين	ططر	٨٢٤-٨٢٤هـ/١٤٢١م
٧	السلطان الملك الصالح، محمد ابن الظاهر ططر.	ناصر الدين	٨٢٤-٨٢٥هـ/١٤٢١-١٤٢٢م.
٨	السلطان الملك الاشرف، برسباي.	سيف الدين	٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م.
٩	السلطان الملك العزيز، يوسف ابن الاشرف برسباي	ابو المحاسن، جمال الدين.	٨٤١-٨٤٢هـ/١٤٣٨-١٤٣٨م.
١٠	السلطان الملك الظاهر، جقمق.	ابو سعيد، سيف الدين	٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣، لمدة ١٥ عام.
١١	السلطان الملك المنصور، عثمانبن الظاهر جقمق.	ابو السعادات، فخر الدين.	٨٥٧-٨٥٧هـ/١٤٥٣-١٤٥٣م.
١٢	السلطان الملك الاشرف، إينال	سيف الدين	٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م.
١٣	السلطان الملك المؤيد، أحمد ابن الاشرف إينال.	ابو الفتح، شهاب الدين.	٨٦٥-٨٦٥هـ/١٤٦١-١٤٦١م.
١٤	السلطان الملك الظاهر، خشقدم.	سيف الدين	٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦١-١٤٦٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٥	السلطان الملك الظاهر، بلباي الاينالي المؤيدي.	أبو نصر، أبو سعيد، سيف الدين.	٨٧٢-٨٧٢هـ/١٤٦٧-١٤٦٧م.
١٦	السلطان الملك الظاهر، تمر بغا الرومي.	----------	٨٧٢-٨٧٢هـ/١٤٦٨-١٤٦٨م.
١٧	السلطان الملك الاشرف، قايتباي المحمودي الأشرفي الظاهري.	أبو النصر، سيف الدين	٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧- ١٤٩٦م. لمدة ٢٨ سنة.
١٨	السلطان الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباي	أبو السعادات، ناصر الدين	٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م. سنة واحدة، الفترة الثانية٩٠٢-٩٠٤هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م.
١٩	السلطان الملك الظاهر، قانصواه		٩٠٤-٩٠٥هـ/١٤٩٨-١٥٠٠م. مدة سنتان.
٢٠	السلطان الملك الأشرف، جانبلاط	ابو النصر	٩٠٥-٩٠٦هـ/١٥٠٠-١٥٠١م.
٢٢	السلطان الملك العادل، طومان باي.	----------	٩٠٦-٩٠٦هـ/١٥٠١-١٥٠١م.
٢٣	السلطان الملك الأشرف، قانصواه.	أبو النصر	٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م. مدة ١٥ عام.
٢٤	السلطان الملك الأشرف، طومان باي	----------	٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م. مدة سنة واحدة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق رقم (٢) وثيقة ليع جارية وابنها في طنطا

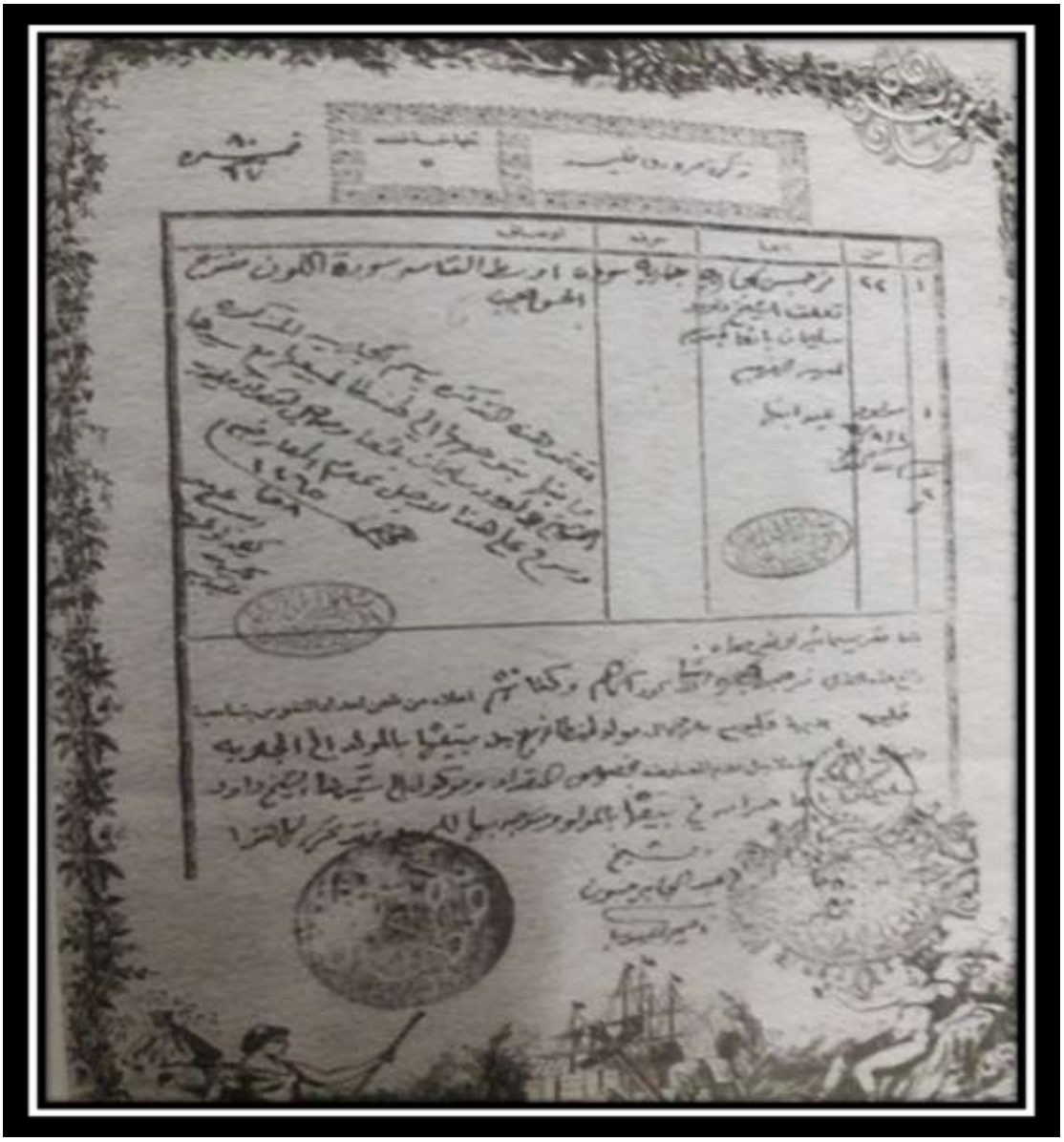

انظر:

Lailahassananblog.wordpress.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This study sheds the light on slave trade in the Mameluke age in Egypt where the global trade thrived then, but no longer it had been stagnated, particularly the Mameluke trade with the ending reign of the Burji Mameluke sultanate . Also it recognizes the Mamelukes whom enslaved from different regions including: pathways, their merchants and markets, force of circumstances to enslave many Mamelukes at the time of Mongolian and Crusade threat, training, and social status in the Military Knightly Castle.

Achieving these purposes, contemporary sources are accredited and temporally close to the relevant subject. The study consists of: introduction, three chapters, conclusion، resources, references, and appendices.

The study concluded that the Mamelukes constituted the integral structure of establishing the Burji Mameluke sultanate realm - in which the trade flourished in era of powerful sultanate while it became weak resulted to less interest over time. Many factors affected their trade such as political and economic issues.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

AL al- Bayt University

Faculty of Art.History, Dept.

Slave Trade During The Burji Mameluke's Sultanate

(٧٨٤-٩٢٣ A.H\١٣٨٢-١٥١٧ A.D)

This Dissertation Was Submitted In Fulfillment Of Requirements For The Master Degree In Arts

(Islamic History Branch)

By

Mahmoud AL- Awad

Supervisor

D r : Anour Auda AL-Khalde

Deanship Of Graduate Studies

AL al- Bayt University

٢٠١٩

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com